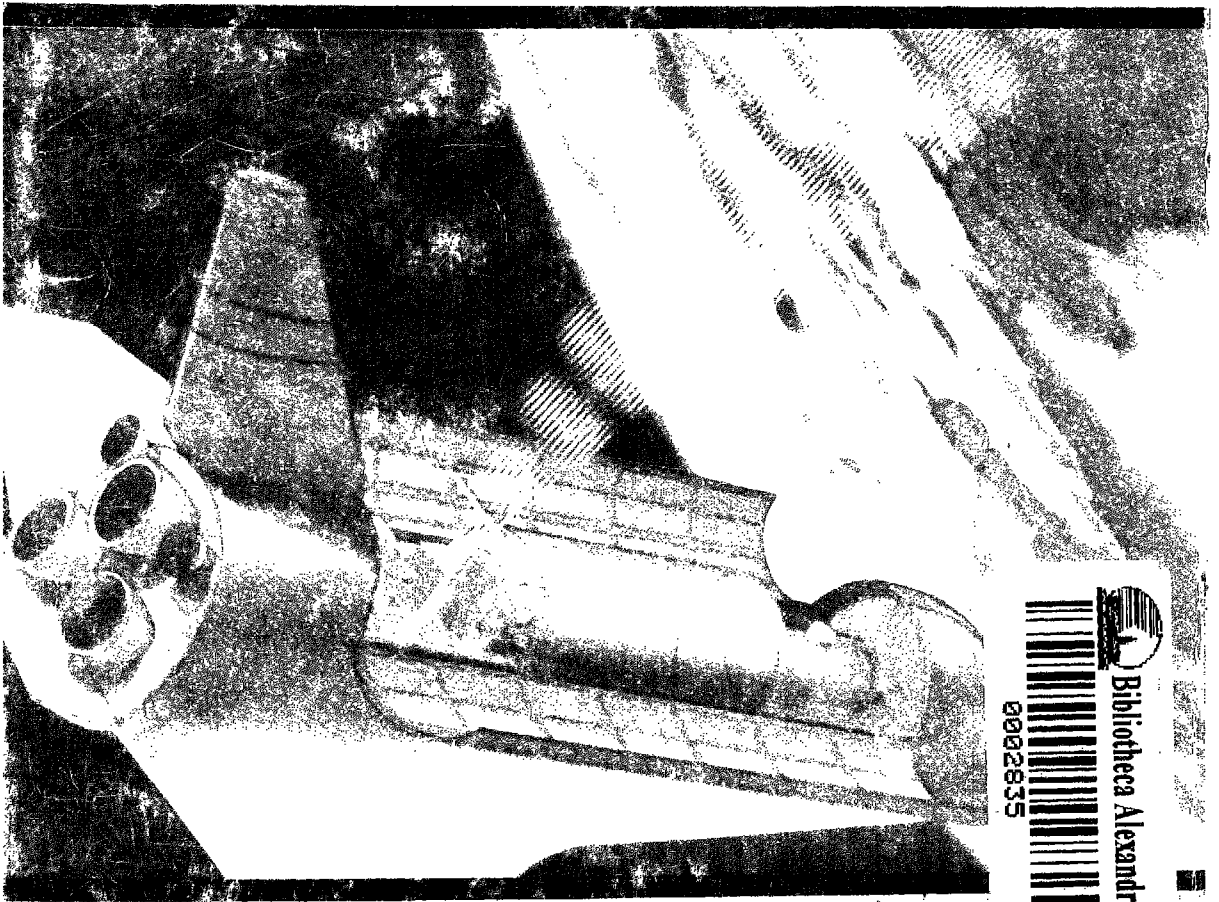


القرآن الكريم والعلم الحديث

د. منصور محمد حسب النبي



القرآن الكريم والعلم الحديث

د. منصور محمد حسَب النبي

أستاذ ورئيس قسم الطبيعة
بكلية البنات بجامعة عين شمس



الجمعية المصرية للتأدية للكتابة

١٩٩١

الاخراج الفنى وتصميم الغلاف

ماجدة البنا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

OF HIS WORSHIPPERS
THE LEARNED FEAR HIM MOST
(HOLY QURAN)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهداء

الى محمد عليه الصلاة والسلام
خاتم النبيين
ورسول الله الى البشرية
والحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

بالرغم من التطور الحديث في الاتصالات والتفاعل الحضارى بين الشرق والغرب ، فان صورة الدين الاسلامى فى الغرب مازالت غير واضحة المعالم ومازال القرآن الكريم مجهولا للكثيرين ! ولهذا كان علينا أن نوضح ونثبت للقارىء الغربى أن القرآن الكريم رسالة الله الخالدة الى البشرية كلها وأنه تسجيل نقى للوحى الالهى الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين . لهذا صدر الكتاب أولا باللغة الانجليزية عن الهيئة . ويسعدنا أن نقدم اليوم الترجمة العربية التى قام بها المؤلف .

وهذا الكتاب دراسة علمية موضوعية لاثبات صدق القرآن الكريم وذلك بتوضيح الآيات القرآنية الخاصة بالظواهر الكونية (التى كان من الصعب فهمها فى الماضى) وبيان الاتفاق بينها وبين العلم الحديث . ولقد تمت الموافقة على طبع ونشر هذا الكتاب من الجهات الاسلامية المسئولة فى كل من المملكة العربية السعودية ومصر :

١ - وافقت الادارة العامة لمتنوع المصاحف ومراقبة المطبوعات برئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية على طبع الكتاب فى ١٤٠٥/٥/٢١ هـ برقم ٥/٣١٠١ .

٢ - وافقت المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الاعلام السعودى فى خطابها للمؤلف على طبع الكتاب فى ١٤٠٥/٦/٤ هـ برقم ٢٤٢٩ .

٣ - وافق الأزهر الشريف بخطاب ا . د . رؤوف شلبى وكيل الأزهر فى ١٩٨٨/٨/٣٠ م (الموافق ١٤٠٩/١/١٨ هـ) الى رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب على طبع ونشر هذا الكتاب باللغتين الانجليزية والعربية لأهميته فى مجال الفكر والثقافة الاسلامية .

والله الهادى الى سواء السبيل

الناشر

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر لكل من الشيخ صالح السالم أمير الطائف بالملكة العربية السعودية والأستاذ الدكتور رؤوف شلبي وكيل الأزهر على اهتمامهما بموضوع الكتاب وتشجيعهما المتواصل لي لإنجاز هذا العمل .

وأعبر عن تقديري لجميع أعضاء هيئتي الاعجاز العلمي للقرآن والسنة يرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وبالقاهرة على الاهتمام والمناقشات المفيدة .

وأقدم بالشكر لأعضاء الهيئة المصرية العامة للكتاب وللسادة ا . د . سمير نرحان والأستاذ نجيب رشدي والأستاذ الدكتور محمد عمارة على حماسهم ومجهوداتهم المخلصة لطبع ونشر هذا الكتاب باللغتين الانجليزية والعربية .

ويسعدني أن أشكر مستر كمبرل وابنتي ماجدة على مراجعة النص الانجليزي للكتاب من الناحية اللغوية . كما أشكر الزميلين محمد كلنتن والدكتور عبد الفتاح بدوى بالطائف على اعارتي لبعض المراجع الاسلامية الانجليزية أثناء تأليف الكتاب .

وأقدم بالشكر لزوجتي على تشجيعها المخلص لي .

وماتوفيقى الا بالله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين -

المؤلف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
« انما يخشى الله من عباده العلماء »
(قرآن كريم)

تقديم

الحمد لله الذى وفقنى لاعداد نص هذا الكتاب باللغة العربية
كترجمة لكتابى باللغة الانجليزية بعنوان :

THE GLORIOUS QURAN AND MODERN SCIENCE.

والذى قمت بتأليفه بهدف دعوة غير المسلمين لدين الاسلام وذلك
بأسلوب موضوعى قائم على بيان الاعجاز العلمى للقرآن لاثبات صدق
نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لمن ينكرونها على اختلاف
بواعثهم ، ومساعدة المسلمين لكي يجدوا جوابا علميا لكثير من التساؤلات
فى الآيات الكونية وليعلنوا للبشرية ان الاسلام دين علم ولاسيما ان العصر
الذى نعيش فيه لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب فضلا عن الاقتناع .

ولقد قصدت الله وحده بهذا العمل الذى أرجو أن يجعله الله خالصا
عنده ومنه وحده أرجو حسن الجزاء ، والله الهادى الى سواء السبيل .

المؤلف

مقدمة

نشأت فكرة هذا الكتاب من خلال عقيدتي الاسلامية ، وثقافتى العلمية ، وكتابى السابق باللغة العربية بعنوان « الكون والاعجاز العلمى للقرآن (١٩٨٠) ، ومن خلال استعراض الدراسة الموضوعية الخاصة بمقارنة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة التى قام بها الجراح الفرنسى الدكتور موريس بوكاى فى كتابه « الانجيل والتوراه والقرآن والعلم » (١٩٧٦) .

ولقد لاحظ الدكتور بوكاى انتشار الايمان بين المسلمين وأعجب بمبادئ الاسلام التى ظلت للآن مجهولة بالنسبة للغالبية العظمى من غير المسلمين ، وتعلم سيادته اللغة العربية ودرس القرآن الكريم فى نسخته الأصلية بالعربية ، وكم كانت دهشته عندما وجد فى القرآن عبارات متعددة تتناول ظواهر طبيعية لا يمكن فهم معانيها الا من خلال المعرفة العلمية الحديثة . ويقول سيادته فى كتابه (*) .

« ان مقارنة العديد من الروايات الواردة فى التوراه والانجيل مع روايات نفس الموضوع فى القرآن تبرز الفروق الأساسية بين بعض نصوص التوراه والانجيل غير المقبولة علميا وبين آيات القرآن التى تتفق تماما مع المعطيات العلمية الحديثة . وهذه الفروق بين القرآن والتوراه والانجيل تدحض كل ما قيل - ادعاء - ودون أدنى دليل - عن نقل محمد صلى الله عليه وسلم للتوراه أو الانجيل حتى يعد نص القرآن » .

ان القرآن الكريم ، وقد استأنف التنزيلين السابقين - لا يخلو فقط من مناقضات الرواية (وهى السمة البارزة فى مختلف الصياغات

(*) د - موريس بوكاى - القرآن الكريم والتوراه والانجيل والعلم - دار للعلم - ١٩٧٦ - ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

البشرية للأناجيل) بل يظهر أيضا لكل من يشرع في دراسته بموضوعية علمية طابعه الخاص في التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة . بل أكثر من ذلك ، يكتشف القارئ في القرآن آيات ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن انسانا في عصر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطاع أن يؤلفها » .

ان المعارف العلمية الحديثة سوف تيسر لنا (كما هو موضح في كتابي هذا) ادراك بعض الآيات الكونية القرآنية التي كانت بلا تفسير دقيق حتى وقت قريب ، وهذا يثبت أن القرآن لا يمكن تأليفه الا بوسيلة الهية .

ان ماثير الدهشة في مشاعر من يواجه القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات العلمية المطروحة عن الأرض : شكلها ودورانها حول نفسها ودورانها حول الشمس وجبالها وغلافها الجوي والمائي وظواهرها الجوية وتاريخها المبكر والمملكة النباتية والحيوانية والتكاثر الانساني ومواضيع أخرى في الفلك والكونيات مثل الشمس والقمر والكواكب والشهب والنجوم ، وغزو الفضاء واحتمالات الحياة على الكواكب الأخرى وأصل ومصير الكون وغير ذلك من موضوعات ، ولايستطيع الانسان ان يكتشف في القرآن أى خطأ ، وعليك عزيزى القارئ أن تسأل نفسك لو كان مؤلف القرآن انسانا فكيف استطاع في القرن السابع الميلادى أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ؟

ونظرا للجهل العلمى السائد في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فان الانسان لايستطيع التصور بأن الآيات الواردة في القرآن الكريم كانت من تأليف وقول البشر ؛ ولهذا فمن العدل والانصاف أن ننظر الى القرآن الكريم ليس فقط على أنه تعبير الوحي الأخير الخالد الذى نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، بل يجب علينا أن نعطي القرآن مكانة خاصة بين الكتب المقدسة لأن صحته لايمكن الشك فيها ، كما أن القرآن الكريم ليس مخصصا لطائفة أو جنس معين ولكنه عالمى وموجه من الله الى كل البشر فى جميع العصور .

ان وجود الآيات العلمية فى القرآن يمثل تحديا واضحا لكل الكافرين . وأتشم أن يكون كتابي هذا مفيدا ومشوقا للقارئ العادى ، ذلك القارئ (الغير مسلم) الذى أضعه فى اعتبارى لايحتاج الى مستوى

خاص من المعرفة العلمية ولكنه يحتاج فقط الى القدرة على ادراك زيف الأحكام الظالمة الصادرة عامة فى الغرب عن الاسلام ، ويحتاج أيضا للقوى الروحية التى يمكن دفعها لمجابهة تلويث كثير من العلماء المعاصرين للفكر البشرى ، فأمام هذه الموجة المادية وغزو الالحاد للغرب يظهر للأسف عجز المسيحية واليهودية عن الصمود . وكل منهما غارق فى حيرة ، ألا نرى من عقد لآخر تناقصا خطيرا فى مقاومة ذلك التيار المادى الملحد الذى يهدد باجتفاف كل شئ ؟!

لذلك فانى أدعو القارئ الى التمتع بالجوانب الروحية والعلمية لهذا الكتاب وأتمشم أن تنق عزيزى القارئ فى القرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم والاسلام ، وأن تدرس القرآن كله دراسة جادة تجعله يفرض فى أعماقك ، وفى قلبك وروحك . اقرأ القرآن ليس فقط بالصوت وبالعين ، بل بضياء النور المنبعث من ذكائك ، وبألقى وأصدق احساس تستطيع الحصول عليه من ضميرك وقلبك . كما أرجو أن تحاول تعلم اللغة العربية (اذا كنت غير عربى) لتتمتع بالنغم الواضح والصيغة المقدسة للقرآن الكريم فى النص العربى الغير مترجم ، هذه هى الروح التى أود أن تقترب بها من القرآن ، وهذا الاقتراب هو جائزتك ، ويسعدنى أن تكتب لى حتى أشعر بأن مجهودى لم يذهب عبثا ، وسوف أدعو الله أن يحقق آمالى وأن يهدينى وإياكم الى الصراط المستقيم ، ويكشف لنا أسرار القرآن ، ذلك الكتاب المقدس الذى لاشك فيه هدى لمن يخافون الله ويؤمنون بالدين المنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويوقنون بالآخرة فى قلوبهم ، وهؤلاء هم حقا المفلحون .

يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم » .

(الحج : ٥٤)

العظمة لله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم خالق كل شئ .
وخالق الانسان .

لقد أعطى الله الانسان منزلة خاصة بين كل المخلوقات ، وكرم
الانسان بأن جعله خليفة في الأرض ، وطهر مشاعره ومنحه الاحساس
الروحي من خلال القرآن الكريم حتى يستطيع أن يفهم نفسه ، وأن
يتعرف على خالقه « الله سبحانه وتعالى » بمعرفة الآيات الكونية الرائعة ،
وأن يعبد الله في صدق وخشوع وتوحيد .

١٩٩٠/٨/١

المؤلف

أ . د . منصور محمد حسب النبي

أستاذ ورئيس قسم الطبيعة

بكلية البنات - جامعة عين شمس

القاهرة - مصر الجديدة

تمهيد

١ - أديان التوحيد الثلاثة

لكل دين من أديان التوحيد الثلاثة كتابه الذى يختص به ، وتشكل هذه الوثائق أساس الايمان عند كل مؤمن يهوديا كان أو مسيحيا أو مسلما . وكل مؤمن يعتبر كتابه تسجيلا ماديا لوحى الهى ، وقد يكون هذا الكتاب منزلا بشكل مباشر كما هو الأمر فيما يتعلق بسيدنا ابراهيم وموسى عليهما السلام ؛ لأنهما تلقيا الوصايا مباشرة من الله ، وقد يكون الكتاب منزلا بشكل غير مباشر كما هو الحال فيما يختص بالمسيح أو محمد عليهما السلام ، فقد أعلن المسيح أنه يتحدث باسم الله ، بينما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة التى نقلها اليه جبريل عليه السلام .

ولقد ظهر القرآن الكريم بعد المسيح بستة قرون وتناول مواضيع عديدة بعضها موجود فى التوراة العبرية والاناجيل ، ويوصى القرآن كل مسلم بالايمان بالكتب السماوية السابقة عليه ، وهذا المبدأ يلزم الانسان المسلم ألا ينكر الكتب التى أنزلها الله على الأنبياء السابقين والا فان ايمانه يكون ناقصا كما فى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا »

(النساء : ١٣٦)

ان موقف المسلم واضح فهو لا يطالب بأن ديانه خاصة به أو مميزة له ، فالاسلام ليس ديننا عنصريا ، ولكن جميع الأديان - فى نظر

الاسلام - دين واحد لأن الحقيقة واحدة . والاسلام دين جميع الأنبياء السابقين ؛ لأنهم أعلنوه كحقيقة واردة في كل الكتب السماوية تتلخص في ادراك الارادة والتنظيم الالهى والخضوع والاستسلام بصدر رحب لتلك الارادة وذلك التنظيم .

ان أى شخص يعتنق ديننا غير الاسلام يكون فى الحقيقة غير صادق مع طبيعته ، لأن الاسلام دين الفطرة الذى يتفق مع الارادة والتنظيم الالهى ، وهذه الحقيقة يعبر عنها القرآن الكريم فى قوله تعالى .

« قل آمنوا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * ومن يبتغ غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

(آل عمران : ٨٤ - ٨٥)

ونظرا للتحريفات التى أدخلها البشر على الكتب السماوية السابقة فان القرآن نزل من عند الله لهدف مزدوج :

١ - تصديق الرسالات السابقة .

٢ - ضبط ما تم من تحريفات من كلام البشر فى الكتب السماوية السابقة .

ولقد أشار القرآن الكريم لهذا الهدف الرئيسى كما فى قوله تعالى :

« وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بمسا انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » .

(المائدة : ٤٨)

ان التحريفات الواردة فى الكتب السماوية السابقة حسيلا لاختلاف كلام البشر ، وعلى سبيل المثال فقد اختلف اليهود فى كتابهم (التوراة) وجاء القرآن ليفصل نهائيا فى هذه المتناقضات ، ويوضح بالحق ما أنزل على موسى وعيسى ، ويشرح أيضا موضوعات : الذات الالهية والوحى القرآنى واليوم الآخر . ويصف الله سبحانه وتعالى القرآن على أنه المعيار النهائى لجميع الكتب السماوية السابقة كما فى قوله تعالى :

« ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذي
هم فيه يختلفون » *

(النمل : ٧٦)

ان التحريفات الناتجة عن أخطاء كلام البشر - أثناء تدوين الكتب
السماوية السابقة - ذنب كبير في حق الله ، ويؤكد القرآن هذه الحقيقة
بقوله تعالى :

« وان منهم لثريقا يلوون ألوانهم بالكتاب لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يملحون » *

(آل عمران : ٧٨)

ولقد تم حديثنا فحص الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية
الحديثة في كتاب « التوراه والانجيل والقرآن والعلم » تأليف الدكتور
موريس بوكاي (١٩٧٦) الذي يقول في مقدمة كتابه (*) :

« ان معالجة الكتب المقدسة من خلال الدراسة النقدية للنصوص
شئ حديث العهد في بلادنا (أوربا) . ولقد ظل الناس يقبلون نصوص
العهد القديم والعهد الجديد على ما هي عليه طوال قرون عديدة ،
ولم يتعرض رجال الدين القساوسة أثناء قراءتهم للكتب المقدسة
الا للعبارة المديحية ، وكان مجرد التعبير عن أى روح نقدية ازاء الكتاب
المقدس خطيئة لا تغتفر ، وكان القساوسة يعتبرون أنفسهم الصفوة التي
تستطيع بغير عناء أن تكون لديها المعرفة الاجمالية التفصيلية للتوراه
والانجيل ، أما عامة الناس فلم تكن تتلقى الا نصوصا قليلة مختارة خلال
الطقوس الدينية أو عبر المواعظ .

والآن وقد أصبح نقد نصوص التوراه والانجيل في أوربا علما ،
فان هذا النقد جعلنا نكتشف مشاكل مطروحة وخطيرة في أحيان كثيرة ،
غير أننا لا بد وأن نصاب بخيبة أمل عندما نقرأ كتبا كثيرة حديثة تدعى
أنها نقدية ولكنها للأسف لاتعطي (في مواجهة الكثير من مشكلات
النصوص الدينية) الا تفسيرات مديحية تهدف الى ستر أخطاء مؤلفي
هذه النصوص دون مواجهة صريحة ، وفي ظل تلك الظروف فان
المتناقضات والأمر البعيدة عن التصديق تظل للأسف باقية في هذه
النصوص بلا حل في نظر كل انسان عاقل يريد أن يحتفظ بسلامة

(*) المرجع السابق - ص ٩ .

مقدرته على التفكير والاحساس الموضوعى (دون تعصب أو مجاملة) .
واننا لنأسف حقا لذلك الموقف الغريب الذى يهدف الى تبرير الاحتفاظ
حتى الآن ببعض المقاطع الباطلة فى نصوص التوراة والانجيل خلافا لكل
منطق ، ان هذا الموقف يسيء كثيرا الى الايمان بالله لدى بعض العقول
المتقفة ، ومع ذلك فقد أثبتت التجربة حاليا أنه اذا كان البعض منا
قادرا على فضح مواطن الضعف فى تلك النصوص ، فان الغالبية من
المسيحيين لم تدرك حتى الآن وجود هذا الضعف فى الكتب المقدسة ،
وظلت فى جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف العلمية المشهورة
التي تعتبر من المعارف الأساسية ، .

ولقد استنتج الدكتور بوكاى(*) من خلال دراسته الموضوعية
للكتب المقدسة مايلي :

١ - القرآن الكريم وحى نقى لايتحوى على أية عبارة قابلة للنقد
من وجهة نظر العلم الحديث ، وأن صحة القرآن الكريم غير قابلة للجدل
وتعطي النص القرآنى مكانة خاصة بين كتب التنزيل الثلاثة ، ولايشترك
مع نص القرآن فى صدقه وصحته أى كتاب مقدس آخر سواء كان العهد
القديم أو العهد الجديد .

٢ - تحوى التوراة والانجيل على تناقضات وأمور غير معقولة .

٣ - هناك فرق جوهري بين اليهودية والمسيحية من جهة والاسلام
من جهة أخرى فيما يتعلق بالكتب المقدسة ، ونعنى بذلك فقدان نصوص
الوحى الأصلي الثابت للتوراة والانجيل ، فالدين المسيحى مثلا يعتمد على
نصوص كثيرة من تأليف البشر ولهذا اختلفت الانجيل ، فى حين أن
الاسلام لديه القرآن الكريم كتعبير وحيد للوحى الالهى المنزل على النبي
محمد بواسطة جبريل ، ولقد تم تدوينه فور نزوله ، وحفظه المؤمنون
بكثرة قراءته عند الصلاة ، كما جمعت الآيات فى سور بأمر النبي محمد
نفسه ، وأصبحت هذه السور النص المكتوب الثابت والوحيد للقرآن
الكريم منذ نزوله وحتى اليوم .

٤ - ان التساوق التام بين القرآن والعلم يدحض فرض هؤلاء
الذين يرون فى محمد صلى الله عليه وسلم مؤلفا للقرآن ! كيف يمكن
لانسان أمى أن يصرح بحقائق ذات طابع علمى لم يكن فى مقدور أى بشر
فى ذلك العصر أن يؤلفها دون أن يقع فى خطأ علمى خلال تصريحه ؟

(*) د . موريس بوكاى - المرجع السابق - ص ٥ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٨٦ .

حقا ان محمدا نبى ، والقرآن الكريم تعبير صادق للوحى الالهى ، ويجب على البشرية كلها منح القرآن منزلة خاصة وذلك لصدق ونقاء روايته .
انه من المؤسف حقا أن نجد الآن كثيرا من الناس فى أوروبا يتحدثون عن المسلمين على أنهم « المحمديون » لتأكيد الادعاء الباطل والاشارة المقصودة بأنهم أناس يتبعون ديننا قام بتأليفه رجل عادى ، وبالتالي فالاسلام فى نظرهم دين عديم القيمة عند الله . ويقول الدكتور بوكاى فى هذا الصدد « كان يمكن أن أظل محتفظا بتلك الأفكار الخاطئة عن الاسلام تماما مثل كثيرين فى الغرب لأن هذه الأفكار للأسف على درجة من الانتشار بحيث أننى أندمى الآن حين التقى نادرا (وخارج المتخصصين) بشخص يعرف حقيقة الاسلام ، وأعترف اذن بأننى كنت جاهلا قبل أن تعطى لى عن الاسلام صورة تختلف عن تلك التى تلقيتها فى الغرب » .

٥ - اذا أخذنا فى اعتبارنا الحقائق الموضوعية لتاريخ الأديان ودون تعديلات البشر للكتب المقدسة ، يجب علينا أن نضع التوراه والانجيل والقرآن على مستوى واحد من حيث انها مجموعات للوحى المكتوب لأديان التوحيد الثلاثة ، غير أن هذا الموقف الذى يعترف به المسلمون مبدئيا ليس هو نفس الموقف الذى يقبله الناس فى الغرب تحت تأثير الدعايات اليهودية والمسيحية التى ترفض للأسف اعطاء القرآن الكريم صفة الكتاب المنزل ! ولا يملك الإنسان سوى أن يأسف لمثل هذا الموقف الذى يحتفظ بأفكار خاطئة وادعاءات باطلة عن الاسلام والنبى محمد والقرآن .

أليس من الواجب أن تتقارب هذه الأديان الثلاثة تجاه هذا الطغيان المادى والالحاد المعاصر وتؤلف جبهة واحدة متماسكة أمام هذا الخطر الجارف ؟

٣ - موقف المسيحية من الاسلام

من وجهة النظر التاريخية فان اليهود والمسيحيين المخلصين المعاصرين لقدوم الاسلام وجدوا في النبي محمد عليه الصلاة والسلام تحقيقا لدياناتهم في دين واحد هو الاسلام . ولقد أرسل الرسول الكريم بعثات في السنة السادسة والسابعة من الهجرة الى جميع البلاد الرئيسية المحيطة بالجزيرة العربية مثل الدولة البيزنطية والامبراطورية الايرانية وسوريا والحبشة ومصر وكانت كلها ماعدا ايران دولا مسيحية ، وقد حدثت اتصالات أيضا بمناطق داخل الجزيرة العربية مثل اليمامة حيث كانت هناك قبائل مسيحية ، وأصبحت جميع هذه البلاد مسلمة ماعدا الحبشة التي ظلت مسيحية رغم أن بها الآن عددا كبيرا من المسلمين ورغم علاقاتها الطيبة بالمسلمين في عصر الرسول . وعلى العموم فان الحقيقة تؤكد انضمام معظم المسيحيين واليهود الذين عاشوا حول الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي الى دين الاسلام . هؤلاء قد ذكرهم القرآن الكريم :

« وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون » .

(العنكبوت : ٤٧)

وبصفة عامة يجب على المسيحيين واليهود الصادقين أن يتحولوا الى الاسلام ، لأن الاسلام تسلسل طبيعي ومنطقي للرسالات السماوية التي نزلت في العصور السابقة . وهناك من المسيحيين واليهود من لم يقتصر على الترحيب والدخول في الاسلام بل أنهم أعلنوا بصدق أنهم كانوا دائما مسلمين ، ولقد كان آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى مسلمين طبقا لقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون*
وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من
قبله مسلمين* أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا
ويدعون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون » .

(القصص : ٥٢ - ٥٤)

وهناك من المسيحيين أناس يقدرون الاسلام وفضائله ويقدمون
القرآن كما فعل أهل الحبشة الذين استقبلوا اللاجئين المسلمين وأكرمهم
أثناء فترة الاضطهاد في مكة عقب ظهور الاسلام وقال المسيحيون المخلصون
« حقا اننا مسيحيون نعتز بالاسلام ونعلم أن القرآن حق وأنكم معشر
المسلمين مؤمنون » هؤلاء النصارى مسلمون بالقلب ويصفهم القرآن الكريم
في قوله تعالى :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا
انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم
لا يستكبرون* وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى
أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون
ربنا آمنا فاتمنا مع الشاهدين* ومالنا لأنؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين* فاتابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين* والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم » .

(المائدة : ٨٢ - ٨٦)

وعلى الرغم من مثل هذا الموقف العادل والمشرق لبعض المسيحيين
القدماء ، فان أحكاما خاطئة قائمة على مفاهيم مزيفة عن الاسلام قد انتشرت
بكثرة في الغرب ، لدرجة أنه يصعب على الانسان اليوم أن يحصل على
فكرة سليمة تعبر عن حقيقة الاسلام في الواقع . لذلك فاذا أردنا اليوم
أن نقارن بين الاسلام والمعارف الحديثة فانه يبدو لنا ضروريا ولازما أن
نقدم فكرة مختصرة في نهاية هذا الكتاب كملحق عن الاسلام الذي طالما
يجهله الكثيرون في الغرب .

ان الاحكام الخاطئة تماما والتي تصدر حتى الآن في الغرب عن
الاسلام ناتجة عن الجهل حيناً وعن التسفيه المتعمد حيناً آخر ، وان أخطر

الباطيل المنتشرة تلك التي تخص الأمور الحقيقية الأساسية للدين الإسلامي ، وإذا كنا نستطيع أن نغفر الأخطاء الناتجة عن أفكار غير واضحة ، فأنا لانستطيع مطلقا أن نقبل هذا التقديم للوقائع بشكل مزيف ينافي الحقيقة ، أو على سبيل المثال فإن انكار نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والادعاء بأن القرآن الكريم ليس كتاب وحى من السماء ما هي الا أقوال تهدف الى التسفيه المتعمد لمهاجمة الاسلام . وان نشر أكاذيب من هذا النوع يساهم في إعطاء صورة مزيفة عن القرآن وعن النبي محمد والاسلام .

ومع ذلك فهناك حاليا أسباب تدعو للأمل ، لأن الأديان اليوم ليست منطوية على نفسها كما كانت من قبل ، وكثير من المتخصصين يبحثون الآن عن التفاهم المتبادل ، وانه لما يبعث على التقدير ما يحدث اليوم على أعلى مستويات المناصب الرسمية في الكنيسة الكاثوليكية لارساء أواصر الصلة مع المسلمين ، ويحاول بعض رجال الكنيسة حاليا مكافحة الجهل بالاسلام ويبدلون مافي وسعهم لتصحيح وجهات النظر غير الصحيحة المنتشرة بين المسيحيين . ولقد أشار الدكتور بوكاي في كتابه (*) الى التغير العظيم الذي حدث في السنوات الأخيرة حيث ذكر نصوصا من الوثيقة الهادرة عن سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين وعنوانها :

« توجيهات لاقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين » وهذه الوثيقة تدل على المواقف العادلة التي ظهرت في العالم المسيحي تجاه الاسلام . وتوضح الطبعة الثالثة (١٩٧٠) لهذه الوثيقة التعليمات التالية :

١ - يجب على المسيحيين مراجعة مواقفهم ازاء الاسلام والتخلي عن الصورة البالية الموروثة من الماضي والتي شوهتها الافتراءات والاحكام المسبقة (الغير مدروسة) وكذلك الاعتراف بالمظالم التي ارتكبتها الغرب المسيحي في حق المسلمين والتي يقع اللوم فيها على التربية المسيحية .

٢ - يجب على المسيحيين أن يحرروا أنفسهم من أكثر احكامهم جسامة وعليهم أن يظهروا معلوماتهم واتجاهاتهم وأن يتجنبوا الاحكام السابقة التي صدرت دون دراسة منطقية عن الاسلام .

٣ - بالنسبة للمسلمين فإن الله عندهم هو نفسه رب موسى وعيسى وتقول الوثيقة بالنص :

(*) د . موديس بوكاي - المرجع السابق - ص (١٣٦ - ١٣٩) .

« نرى باطلا أن نتمسك مع بعض الغربيين بأن الله عند المسلمين ليس اله الحقيقة » ولقد أدانت نصوص مجمع أساقفه الفاتيكان الثاني مثل هذا الزعم الباطل حيث ورد فيها ما يلي :

« ان المسلمين الذين يؤمنون بإبراهيم يعبدون معنا الها واحدا هو الرحيم ، ديان البشر في اليوم الآخر » .

ولقد تناولت وثيقة الفاتيكان بعد ذلك بالنقد الأحكام الأخرى الخاطئة الصادرة عن الاسلام وعلى سبيل المثال : الادعاء بفرض الاسلام بالقوة أى جبرية الاسلام ذلك الحكم المسبق واسع الانتشار فى أوروبا تدرسه الوثيقة وتستعين على انكاره بآيات من القرآن الكريم كما فى قوله تعالى :

« لا اكراه فى الدين »

(البقرة : ٢٥٦)

« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »

(الحج : ٧٨)

٤ - الاسلام ليس دين خوف ولكنه دين حب وأخلاق فاضلة :

٥ - ليس هناك تعصب فى الاسلام ، وتقول الوثيقة :

« الواقع أن الاسلام عبر التاريخ لم يكن أكثر تعصبا من المسيحية عندما كانت تكتسب بشكل أو بآخر مفهوما سياسيا » وهنبا تستشهد الوثيقة بآيات القرآن التى تبين ان ما يترجمه الغربيون بأسلوب خاطئ بالحرب المقدسة (الجهاد فى سبيل الله بمعنى بذل الجهد لنشر الاسلام والزود عنه من المعتدين عليه طبقا للنص القرآنى) ليس مطلقا ما يعرف بال Kherem فى التوراة ، لأن جهاد الاسلام لا يسعى إلى الإبادة (كما يدعى البعض) بل يسعى لمد حقوق الله والانسان الى مناطق جديدة . ولقد كانت أعمال العنف فى حروب الجهاد فى الماضى تخضع عموما لقوانين الحرب ، وفى عصر الحروب الصليبية لم يكن المسلمون هم الذين ارتكبوا المذابح » .

٦ - تعالج الوثيقة أيضا الادعاء القائل بأن الاسلام دالين بالجملة

يبقى أتباعه فى عصر متخلف ويجعلهم غير مؤهلين للتكيف مع متغيرات العصر الحديث ، تماما مثل مواقف مماثلة لوحظت فى بعض البلاد المسيحية أيام اضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء ، ولقد أعلنت الوثيقة

أرد على هذا الادعاء قائلة : « اثنا على العكس نجد في الفكر الاسلامي مبادئ لاتمنع مطلقا من تطور المجتمع علميا » .

وبهذا تظهر الوثيقة في بنودها جزءا من الحقيقة ، ولقد شملت حوالي ١٥٠ صفحة تدعو كلها الى استبعاد الصورة البالية المزيفة التي يصور المسيحيون المسلمين عليها . واني على يقين من أن دفاع الفاتيكان في هذه الوثيقة عن الاسلام سيثير دهشة كثير من معاصرنا سواء كانوا مسلمين أو يهودا أو مسيحيين ، لأن الوثيقة اعلان عادل يتميز باخلاص وبروح انفتاح يتباينان مع مواقف الماضي المؤلمة . وهذه الوثيقة تعبير حقيقي عن الحب المشار اليه بين المسيحيين والمسلمين في الآية القرآنية المذكورة سابقا (المائدة : ٨٢ - ٨٦) وتذكرنا الوثيقة أيضا بأن سكرتارية الفاتيكان قد دعت المسيحيين منذ عام ١٩٦٧ الى تقديم تهانيمهم الى المسلمين بمناسبة عيد الفطر (انتهاء شهر الصوم) الذي يمثل قيمة دينية أصيلة . ولا شك في أن تاريخ العلاقات بين الديانتين سيسجل روح الانفتاح نحو الاسلام والتي عبر عنها البابا بولس السادس في تصريحه « بإيمانه العميق بوحدة العالمين الاسلامي والمسيحي اللذين يعبدان الها واحدا وجدير بالذكر هنا ظهور مشاعر البابا كرئيس للكنيسة الكاثوليكية ازاء المسلمين ، فكثير من المسيحيين الذين عاشوا للأسف في ظل روح عدائية للاسلام - الأمر الذي رثت له الوثيقة المذكورة - هم مبدئيا أعداء لكل تأهل في الاسلام ولذلك فانهم يظلون في جهل تام لحقيقة الاسلام لأنهم يحتفظون بمفاهيم خاطئة عن الدين الاسلامي .

ويقول الدكتور موريس بوكاي(*) في كتابه معلقا على اعلان وثيقة الفاتيكان :

« لقد لحقت تلك البوادر المواتية للتقارب بين الهيئة الباباوية والاسلام لقاءات واجتماعات جعلت تلك البوادر للتقارب أمرا واقعا ، ورغم ذلك فإن فئة قليلة جدا من الناس هي التي علمت بهذه الأحداث الهامة في العالم الغربي رغم توفر وسائل النشر والاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون ، كما ان الصحف للأسف لم تكرر مكانة كبيرة للزيارة الرسمية التي قام بها الكردينال بنيودولي رئيس سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين الى جلالته المغفور له الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية في ٢٤/٤/١٩٧٤ ، حيث سلم الكردينال للعاهل السعودي رسالة من البابا بولس السادس معبرا عن ايمانه

(*) د موريس بوكاي - المرجع السابق - ص (١٣٦ ، ١٣٩) .

انعميق بوحدة العالمين المسيحي والاسلامى اللذين يعبدان آلهما واحدا ،
وعن تقديره لجلالة الملك فيصل ، وفى أكتوبر ١٩٧٤ استقبل البابا
رسميا بالفاتيكان كبار علماء المملكة العربية السعودية وكانت مناسبة
لندوة بين مسيحيين ومسلمين حول حقوق الانسان فى الاسلام . ولقد
استقبل غبطة الأسقف الشنجر الوفد السعودى لكاتدرائيته ودعاهم
لاداء الصلاة الاسلامية أمام مذبح الكنيسة متوجهن الى القبله
(مكة المكرمة) .

ونظرا لقصور الدعاية الاعلامية فان قليلا من الناس هم الذين
علموا بمثل هذا الموقف المنطقى الجديد من جانب الكنيسة معبرا عنه فى
الوثيقة المذكورة واللقاءات الدينية الهامة .

واننى أتعشم حدوث تقارب أكثر وتقدم مستمر فى العلاقات
الاسلامية والمسيحية المتبادلة فى المستقبل ، واذا كان ممثلو العالمين :
الاسلامى والمسيحى على أعلى المستويات يتفاهمون الآن بهذه الكيفية من
الاخلاص لرب واحد والاحترام المتبادل والحوار المثمر فيما بينهم ، فاننى
أقدم كتابى هذا لغير المسلمين لمساعدتهم (من خلال التقديم العلمى
للقرآن) لمعرفة أن محمدا رسول الله وأن القرآن نزل كوحى الهى بواسطة
جبريل الذى أرسله الله طوال فترة الوحي الى النبى محمد عليه الصلاة
والسلام .

١٧ - عيسى نبياً بأحمد

يؤكد القرآن الكريم المكانة البارزة التي يحتلها رسول الله في تاريخ التنزيل مثل نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء خاصة المسيح الذي يحتل مكانة بارزة بينهم. والقرآن مثل الأناجيل يقدم ميلاد المسيح كفعل خارق (يفوق الظنينة) ويخص بالذكر أيضاً مريم ويطلق على السورة رقم ١٩ اسمها أي سورة مريم .

يقول تعالى في القرآن الكريم

« واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

(الصف : ٦)

وتؤكد هذه الآية الكريمة الحقائق التالية :

١ - عيسى هو ابن مريم وليس ابن الله ، فهو مجرد رسول ، أى رجل يحمل رسالة من الله يقول سبحانه :

« يا أهل الكتاب لاتقلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انها المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انها الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكبيرا » .

(النساء : ١٧١)

٢ - عيسى هو رسول الله الى بنى اسرائيل وبذلك فان مهمته كانت محدودة ، ونحن معشر المسلمين نحترم عيسى بنفس احترامنا لكل الأنبياء .

لأن عيسى كان رسول الله ، ولكننا لانقول أن رسالة المسيح شاملة
عالمية مثل رسالة محمد .

٣ - لقد تنبأ عيسى بأحمد . واسم أحمد أو محمد بمعنى
الشخص المحمود هو ترجمة للكلمة اليونانية Parakletos وطبقا للآية
القرآنية السابقة (الصف : ٦) فقد أعطى المسيح البشرى بقدم النبي
محمد من بعده ، ورغم هذا فان الكافرين الجهلاء يعتبرون الاسلام ديننا
غير حقيقي أو شعوذة أو سحرا ! وعلى كل حال وبصرف النظر عن
اعتباراتهم فان الاسلام هو الحقيقة الصامدة فى تاريخ البشرية .

٤ - يقول الله فى القرآن الكريم :

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

(البقرة : ١٤٦)

وبهذا فان أهل الكتاب يعرفون محمدا تمام المعرفة ، وأنه حقا على
طريق ابراهيم ، وهو النبي المنتظر وصوله بعد عيسى ، ولكن الانانية
حرضت بعضهم على اهمال ما يعرفونه بل واخفاء الحقيقة ! .

ولنسمح لأنفسنا الآن أن نرجع الى أحاديث المسيح الأخيرة فيما
يخص ال Paraclete كما جاء وصفه فى انجيل يوحنا يقول الدكتور
موريس بوكاى (*) :

« ان انجيل يوحنا يفرد أربعة اصحاحات من رقم ١٤ الى ١٧ لهذا
الحديث الأخير للمسيح الذى يتعلق بمسائل أساسية ذات أهمية بالغة
للمستقبل البشرية الذى يصفه عيسى عليه السلام ، مهتما بالتوجه فى
خطابه الى تلاميذه والى الانسانية كلها عبر هؤلاء التلاميذ ، معطيا ارشاداته
وأوامره ، ومحددا بشكل نهائى المرشد الذى يتحتم على الانسانية اتباعه
بعد اختفائه .

ان نص انجيل يوحنا - وهذا النص وحده - يسمى بشكل صريح
هذا المرشد باسم يونانى Parakletos والذى أصبح Paraclete
فى الانجليزية وفيما يلى الفقرات الجوهرية من حديث المسيح نقلنا عن
انجيل يوحنا :

(*) د . موريس بوكاى - المرجع السابق - ص ١٢٥ .

« إذا كنتم تحبوننى فستعملون على انبشاع أوامرى
وسأصلى لئلا الذى سيصليكم Paraclete آخر »

(انجيل يوحنا ١٤ ، ١٥ ، ١٦)

ولكن ما معنى كلمة Paraclete ان النص الحالى لانجيل يوحنا
يشرح المعنى كما يلى :

« ال Paraclete (الروح القدس) الذى سيرسله
الله باسمى سيصليكم كل شئ وسيجعلكم تتذكرون كل
ماقلت لكم »

(انجيل يوحنا ١٤ ، ٢٦)

« وهو نفسه سيسهبه بى »

(انجيل يوحنا ١٥ ، ٢٦)

« رحيلى فائدة لكم ، لأننى اذا لم أرحل فان
ال Paraclete لن يأتى لأبيكم ، وعلى العكس فاذا رحلت
فسأبعث به اليكم ، وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص
الخطيئة والعدل والحكم »

(انجيل يوحنا : ١٦ ، ٧ - ٨)

« وعندما سيأتى روح الحقيقة • فسيجعلكم تعرفون
الحقيقة بكاملها ، لأنه لن يتكلم بإرادته ، وانهماسا سيقول
ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى ، وسيوجدنى »

(انجيل يوحنا : ١٦ ، ١٣ - ١٤)

ويتساءل الدكتور بوكاى :

١ - كيف يمكن أن نشرح الغياب التام فى أناجيل متى ومرقس
ولوقا لرواية الوداع المؤثر الذى يحتوى على هذه الوصية الروحية
للمسيح ؟ هل كان النص موجودا فى الماضى عند المبشرين الثالث ؟
الم يحذف فيما بعد ؟ ولماذا ؟ ان الاجابة على هذا السؤال مستحيلة ،
واللغز مستغلق تماما .

٢ - كيف يتفق وصف ال Paraclete على أنه الروح القدس
مع نص انجيل يوحنا ؟ لابد من طرح المشكلة لأنه من الغريب أن ننسب
الى الروح القدس الفقرة المذكورة أعلاه والتي تقول « لن يتكلم بإرادته

وانما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى « يبدو أنه من غير المعقول أن ننسب الى الروح القدس سلطان أن يتحدث وأن يقول ما يسمع ، ويستنتج الدكتور بوكاى ما يأتى :

ذلك يقودنا بمنتهى المنطق الى أن نرى فى ال Paraclete عند يوحنا كائنا بشرياً مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع ، اذن المسيح قد صرح بوضوح بأن الله سيرسل فيما بعد كائنا بشرياً على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى ذكره يوحنا ، ولنعترف باختصار أنه دور نبي يسمع صوت الله ويكرر على مسامح البشر رسالته . ذلك هو التفسير المنطقي لنص يوحنا اذا أعطينا الكلمات معناها الفعلي :

ان وجود كلمة « الروح القدس » فى النص الذى نملكه اليوم من انجيل يوحنا قد يكون نابعا من اضافة لاحقة ارادية تماما تهدف الى تعديل المحتوى الأصلي لفقرة ، تتناقض باعلانها (بقدم نبي بعد المسيح) مع تعاليم الكنائس المسيحية المؤلفة والتي أرادت من جانبها زورا وبهتانا أن يكون المسيح خاتم الأنبياء ! .

والآن وعلى ضوء المناقشة السابقة نستطيع أن نستنتج ما يلي :

١ - تناقضات الرواية فى الأناجيل تدل على الحذف أو الاضافة بواسطة البشر .

٢ - عيسى ليس آخر الأنبياء بينما محمد هو حقا خاتم النبيين كما جاء ذلك فى القرآن وكما تنبأ عيسى . يقول الله تعالى فى القرآن الكريم .

« ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما » .

(الأحزاب : ٤٠)

ولهذا فان النبي محمداً آخر رسول فى طريق الأنبياء .

٣ - الاسلام هو الدين النهائى وهو النور التام للحقيقة ذلك لأن الضوء الساطع ينير ويفوق كل ما قبله من أنوار ، ولهذا فقد أضاء الاسلام بشموليته وعالميته كل الأديان . ويقرر الله هذه الحقيقة بقوله تعالى :

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

(التوبة : ٣٣)

٤ - صحة القرآن

القرآن رسالة موجهة لكل البشرية وليس لطائفة معينة ، ولذلك فالقرآن عالمي لكل مكان وزمان (لجميع العالمين) ، كما يخبرنا الله سبحانه وتعالى بقوله :

« ان هو الا ذكر للعالمين » .

(التكويد : ٢٧)

والقرآن أيضا رسالة سماوية لأنه لا يمكن أن يأتي الا بوسيلة إلهية ، ووحدة القرآن (أى عدم اختلاف مصادره) صفة مميزة له عن باقى الكتب المقدسة الأخرى (كالانجيل والتوراة) ، ونذكر هنا النداء الإلهي - نداء خالق البشر بقوله تعالى :

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

(النساء : ٨٢)

حقا ان القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذى ظل نقيًا صحيحًا دون تحريف الى يومنا هذا . لقد نزل بالحق ولم يحدث له أى تزوير أثناء تناقله عبر الأجيال بقوله الله تعالى :

« وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا » .

(الاسراء : ١٠٥)

وبهذا فان النبى عليه الصلاة والسلام كان مبشرا ونذيرا ولم يكن مستثولا عن الرافضين لرسالة الإسلام . ولقد حقق الرسالة وترك القرآن الكريم ميراثا عظيما للبشرية كلها .

والقرآن كتاب الله وموضوعه تسبيح الله الواحد الرحيم الكريم ،
وتأمل صنع الله الرائع فى الكون ، وتوجيه البشرية للطريق المستقيم
فى الدنيا والآخرة .

ولقد نزل وحى القرآن بواسطة الملك جبريل ، واستغرق نزوله
حوالى عشرين عاما من حياة الرسول وكانت اول الآيات :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق *
اقرأ وربك الاكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم
يعلم » .

(التلق : ١ - ٥)

وبعد نزول هذه الآيات ، انقطع الوحي لمدة ثلاث سنوات ، وعاد
ليستمر عشرين عاما حتى وفاة النبي عليه الصلاة والسلام فى عام ٦٣٢
ميلادية . ويلاحظ هنا أن الآيات الأولى مدحت القلم كوسيلة للمعرفة
البشرية ، وهذا يوضح اهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بحفظ القرآن
مكتوبا حيث كان النبي والمؤمنون من حوله يتلونه ويحفظونه ، وعكف
الكتبة من أصحاب النبي على تدوين الوحي فورا . ويشير القرآن الكريم
الى حقيقة تدوينه بقوله تعالى :

« كلا انها تذكرة * فمن شاء ذكره * فى صحف
مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة * كرام برة » .

(عبس : ١١ - ١٦)

« بل هو قرآن مجيد * فى لوح محفوظ » .

(البروج : ٢١ - ٢٢)

انه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون * لا يمسه الا
المطهرون * تنزيل من رب العالمين » .

(الواقعة : ٧٧ - ٨٠)

« رسول من الله يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب
قيمة » .

(البينة : ٢ - ٣)

القرآن الكريم - ٢٣

وهكذا يخبرنا القرآن ضمن آياته بحقيقة تدوينه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبهذا يتمتع القرآن منذ البداية بعناصر الحفظ والصدق .

ان صحة القرآن الكريم التي لا تقبل الجدل تعطي هذا النص الالهي مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة وصدق الرواية لا العهد القديم ولا العهد الجديد .

ان نقاء القرآن منذ نزوله وحتى الآن دليل على العناية الخالدة التي حفظت بها الحقيقة الالهية في نص القرآن خلال كل العصور ، فلا تحوير أو اضافة أو ابتكار في كلام الله ولكن الحق الصادق النقي المقدس في القرآن باق الى الابد رغم كيد الكافرين ومحاولاتهم الفاشلة لتخريب القرآن ، وبهذا تحقق وعد الله في قوله تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

(الحجر : ٩)

وقوله سبحانه :

« لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

(فصلت : ٤٢)

وهكذا فان الحقيقة الساطعة في آيات القرآن الكريم محفوظة بالعناية الالهية ولا يستطيع أحد أن يتحدى هذه العناية سرا أو علانية بأى حال من الأحوال .

ان القرآن هو الكتاب العظيم الخالد الذي أرسله الله لكل البشرية بما فيهم اليهود والنصارى وخاصة بعد التخريف الذي حدث في كتبهم المقدسة (التوراة والانجيل) ويقول الله تعالى :

« يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »

(المائدة : ١٥)

والكتاب المبين هنا هو القرآن لأنه واضح وليس عليه خلاف وله صفات النور الذي نميز به الحق من الباطل .

ان البشرية كلها مدعوة لقراءة القرآن والايمان بالله ورسوله محمد

صلى الله عليه وسلم ومدعوة للثقة فى الاسلام ، وكم سيكون السرور والاحساس بالدهشة عندما يفتح القرآن عيوننا الروحية لنرى آدقا جديدة وندرك الاعجاز القرآنى وبذلك تتعمق المعجزة فى نفوسنا رويدا رويدا حتى يغمرنا نور القرآن !

والدراسات القرآنية متعددة لدرجة أن الانسان لا يستطيع بمفرده أن يغطى كل جوانبها ، فالأبحاث الاسلامية الجديدة تظهر كل يوم . والنشاط فى مجال البحوث القرآنية واجب على كل مسلم ، وعندما يكتشف الانسان (طبقا لقدراته ودراساته فى مجال معين) اعجازا جديدا فى القرآن فان عليه ابلاغ الآخرين ونشر أبحاثه على الناس ، ليشاركوه الاستمتاع بالاتصال المباشر بالقرآن ودراسة هذا الوحي الخالد .

عزيزى القارىء :

نظرا لكثرة الاساءة والهجوم على الاسلام بواسطة المعادين للدين الاسلامى الذين يشوهون الحقائق ، فقد قمت بهذا التقديم العلمى للقرآن على أمل أن تثق أيها القارىء وتؤمن بهذا الكتاب المقدس للاسلام ، كما حاولت تفسير بعض الآيات القرآنية التى تتناول حقائق علمية حديثة ، وذلك على قدر استطاعتي ، وسنرى معا كيف أن المعنى العام لهذه الآيات القرآنية قد توسع مع ازدياد مقدرتنا على الفهم ، تماما كالصاعد على سفح جبل كلما تقدم الى أعلا زاد مدى رؤيته للأشياء . وسوف ندرك فى النهاية أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لأنه يتفق دائما مع الجديد فى العلم ، وهذا الاتفاق يمثل البرهان المقنع بصحة القرآن والتحدى لهؤلاء الكفار (الذين يحاولون تشويه الاسلام فى نظر غير المسلمين) والاستنتاج المنطقى الذى يؤكد أن القرآن ليس من كتابة البشر لأن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان رجلا أميا عاش فى عصر الجهل التام بالمعارف العلمية .

ان الآيات العلمية القرآنية تبين أن الاسلام رسالة عالمية ، وبذلك فاننا جميعا مطالبون بأمر الله ان نعتنق الاسلام ، ونصغى لدعوة سيدنا محمد التى جاءت بالنور والهداية لجميع البشر حيث يقول الله تعالى فى القرآن :

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السماوات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بألمه وكلماته وتبعوه فاعلمكم تهتدون » .

(الأعراف : ١٥٨)

٥ - الاتجاه العلمى الاسلامى

لم تكن العلاقات بين الأديان والعلوم متماثلة في كل الأماكن وعبر مختلف الأزمنة ، والأمر الذى لا جدال فيه هو أنه ليس هناك اداة أو تحقير للعلم في أى كتاب مقدس ، ولكن المعروف ان العلماء قد واجهوا مصاعب كثيرة من السلطات الدينية في أوروبا حيث بادرت سلطات مسئولة في الكنيسة بمعارضة تطور العلوم في البلاد المسيحية لقرون عديدة دون الاعتماد على نص مقدس يدين العلم ، واتخذت هذه السلطات اجراءات غاشمة ضد العلماء الذين حاولوا تطوير العلم مما دفع كثيرا من العلماء الى الهرب الى المنفى تلافيا للموت ، أو الى طلب الغفران والتماس العفو من كبار رجال الكنيسة ! ونذكر في هذا الشأن قضية العالم جاليليو (١٦١٥) الذى حاكمته الكنيسة لأنه استأنف مكتشفات كوبر - نيكس الخاصة بدوران الأرض ، ولقد أدين جاليليو بسبب تفسير خاطئ للتوراة على الرغم من عدم وجود نص مقدس صحيح لادانته .

ولقد كانت البلاد المسيحية في تلك الفترة من القرون الوسطى في ركود تام وتزمت مطلق حيث توقف البحث العلمى ليس بسبب التوراة أو الانجيل وانما (وعلينا أن نكرر ذلك) ، بأيدي هؤلاء الذين كانوا يدعون أنهم في خدمة الكنيسة .

وبعد عصر النهضة في أوروبا ، بدأ رد الفعل الطبيعى لياخذ العلماء بثأرهم من منافس الأمس (الدين) . وهذا الثار مستمر للأسف حتى اليوم ، لدرجة ان التحدث حاليا في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر دليلا على الرغبة في التسلط ، ولهذا الموقف المضاد تأثير سييء على العقول الشبابة ، ومن المؤسف حقا أن نقول أن هذه الصورة المضادة للدين سائدة في المجتمع المادى المنتشر الآن في الغرب .

وأمام هذه الموجة المادية وغزو الالحاد للغرب يظهر عجز المسيحية واليهودية عن الصمود . كل منهما غارق في الحيرة ! ألا نرى من عقد

لآخر تناقضا خطيرا في مقاومة ذلك التيار المادى الملحد الذى يهدد الآن
باجتراف كل الديانات ؟

ان المادى الملحد لا يرى فى المسيحية الكلاسيكية الا نظاما وضعه
البشر منذ حوالى ألفى عام لارساء سلطة معينة لأقلية من رجال الدين على
البشر التابعين . وهذا المادى الملحد لن يجد فى الكتب المقدسة لغة
تشابه مع لغته ولو من بعيد ، فهذه الكتب (التوراة والانجيل فقط)
تحتوى على كثير من الأمور التى لا تتفق مع معطيات العلم الحديث علاوة
على المتناقضات والأمور الغير معقولة ، وبذلك يرفض الانسان المادى الملحد
النظر بعين الاعتبار الى النصوص الدينية التى يعتبرها علماء اللاهوت
كلا لا ينقسم .

أما فى الاسلام فان الموقف ازاء العلم مختلف تماما ، اذ ليس هناك
أوضح من ذلك الحديث الشريف للنبي عليه الصلاة والسلام الذى يقول
« أطلب العلم ولو فى الصين » ، أو ذلك الحديث الآخر الذى يقول
« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

وسنرى فى الأبواب القادمة من هذا الكتاب قضية أخرى حاسمة
تؤكد أنه بالإضافة الى دعوة القرآن الى المواظبة على الاشتغال بالعلم ،
فانه يحتوى على تأملات عديدة خاصة بالظواهر الطبيعية وبتفصيل
توضيحية تتفق تماما مع معطيات العلم الحديث ، وليس هناك ما يعادل
ذلك فى التوراة والانجيل .

فالقرآن الكريم يشجع الاتجاه العلمى كما هو موضح بالآيات
التالية :

« قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض »

(يونس : ١٠١)

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها
وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف
ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله
عزيز غفور »

(فاطر : ٢٧ - ٢٨)

« ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار
آيات لأولى الألباب »

(آل عمران : ١٩٠)

ويشير القرآن الكريم الى الآيات الكونية التي سيتم اكتشافها في المستقبل بقوله تعالى :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

(فصلت : ٥٣)

ويحث القرآن على تكريم العلماء بقوله تعالى :

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

(الزمر : ٩)

حقا ان الله يعطى درجة عالية وتكريما لهؤلاء الذين يملكون المعرفة كما في قوله تعالى :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

(المجادلة : ١١)

وبهذا فان القرآن يدعونا دائما الى الاشتغال بالعلم والمعرفة ، كما أن الرسول الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يعتبر العلم فريضة على كل المسلمين والمسلمات .

ومع ذلك فمن الخطأ أن نعتقد بأنه لم تكن هناك عقبات . فهناك أحيانا مسلمون لا يدركون حقيقة الاسلام اتخذوا موقفا آخر ازاء العلم ، كما أسى في بعض العصور فهم واجب التعلم وتعليم الآخرين ، وحاول البعض ايقاف التطور العلمي ! ومن المؤكد أن الركود العلمي الحالى للدول الاسلامية يرجع الى الاحتلال الأجنبي لبلاد المسلمين وليس مطلقا بسبب الاسلام . وعلينا أن نذكر هنا عظمة العالم الاسلامي في الماضي في الفترة ما بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر الميلادي . فعلى الرغم من فرض القيود على التطور العلمي في العالم المسيحي في ذلك الوقت فان الجامعات الاسلامية أنجزت كمية ضخمة من الأبحاث والاكتشافات . وعلى سبيل المثال فان مكتبة الخليفة في قرطبة كانت تحتوي على أربعمائة ألف مجلد ، وكان الكثيرون من مختلف بلاد أوروبا يسافرون للدراسة بقرطبة مثلما يحدث في عصرنا أن نسافر مثلا الى أمريكا لتحسين وتكميل بعض الدراسات . وكم هي كثيرة تلك المخطوطات العربية القديمة التي وصلت الى أوروبا بعد الفتوحات العربية ، ولهذا فان أوروبا مدينة حقا للثقافة العربية في الرياضيات والفلك والفيزياء والجيولوجيا والنبات والطب .

لقد اتخذ العلم لأول مرة الصفة الدولية في العصور الوسطى حينما قامت الجامعات الاسلامية بنشر العلم . وفي ذلك العصر كان الناس في البلاد الاسلامية أكثر تمسكا بدينهم ولم يمنعهم اسلامهم من أن يكونوا علماء بارزين ، فالعلم في الاسلام هو أخ توأم للدين ، وبذلك نستنتج ان الاسلام لا يعارض العلم وأن مرحلة الركود العلمي الحالي في البلاد الاسلامية ترجع الى عوامل خارجية . وللأسف فإن أوروبا تجهل هذه الحقائق ، فإذا حدثت أي شخص مادي ملحد عن الاسلام فإنه يبتسم بغرور يدل على جهله بالموضوع ، فهو يمتلك كمية هائلة من الأفكار الخاطئة عن الاسلام والمنتشرة حتى بين المثقفين الغربيين (وهما كانت معتقداتهم الدينية) نتيجة للعوامل التالية :

أولاً : باستثناء بعض المواقف العادلة التي اتخذتها حديثاً سلطات الكنيسة الكاثوليكية نحو الاسلام (والمشار إليها في البند الثالث من هذه المقدمة) ، فإن الغرب منذ عهد طويل وحتى الآن يتعمد التشهير بالاسلام ويقول الدكتور موريس بوكاي (*) .

« ان أي غربي قد أمتلك معرفة عميقة وصحيحة عن الاسلام يعرف الى أي مدى شوه تاريخ الاسلام وعقيدته وأهدافه » .

ثانياً : ان الوثائق المنشورة باللغات الغربية في موضوع الاسلام لا تسهل للأسف مهمة البحث الموضوعي لمن يريد التعرف على الاسلام .

الواقع أن معرفة الوحي الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمر أساسي وحيوي ، بل أن هذه المعرفة واجب على كل البشر وليس على الباحثين فقط ، ولكن لسوء الحظ فإن الترجمات القديمة للقرآن كما يقول الدكتور بوكاي تحاول أن تعطي لأوروبا انطباعاً سيئاً عن الاسلام ، وعلاوة على ذلك فإن بعض الآيات العلمية في القرآن قد ترجم مع الأسف ترجمة سيئة أو علق عليه بأسلوب يجعل العلماء في أوروبا يوجهون انتقادات لا يستحقها القرآن مطلقاً .

وهذه الأخطاء الرجعة الى الترجمة أو الى التعليقات المشوهة (وكثيراً ما يجتمع الاثنان) لم تكن تثير الدهشة في الماضي ولكنها اليوم تصدم رجل العلم لأنه عندما يواجه ترجمة سيئة أو تعليقا خاطئاً غير مقبول علمياً فإنه سوف ينظر عن آيات القرآن لأنه لن يدرك الإعجاز العلمي وقد نسأل عن أسباب أخطاء الترجمة أو التعليق ؟ والجواب أن المترجمين

(*) د . موريس بوكاي - المرجع السابق - ص (١٤٢ - ١٤٣) .

ينقلون في أحيان كثيرة ودون روح نقدية كافية تعليقات المفسرين القدماء . ولقد كان لهؤلاء المفسرين في الماضي عذر اعطاء تعريف غير دقيق علميا لكلمة متعددة المعاني وذلك لأنهم لم يكن في استطاعتهم ادراك المعنى الفعلي للكلمة أو الجملة ، فهناك من المعاني في الآيات العلمية في القرآن ما لم يظهر الا في أيامنا فقط بفضل معارفنا العلمية الحديثة . ويجب علينا الآن مراجعة الترجمات والتعليقات ، وخاصة بالنسبة للآيات العلمية القرآنية ، حيث أننا نملك حاليا المعطيات العلمية الحديثة الصحيحة التي نستطيع بواسطتها أن نتعرف على المعنى الحقيقي لهذه الآيات :

ويقول الدكتور بوكاي (*)

« لقد أثارت هذه الجوانب العلمية في القرآن دهشتي العميقة في البداية . فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير الى هذا الحد من الآيات الخاصة بموضوعات متنوعة ومطابقة تماما للمعارف الحديثة في نص القرآن الموجود منذ أكثر من أربعة عشر قرنا .

وفي البداية لم يكن لي إيمان بالاسلام . وقد تناولت دراسة هذه النصوص القرآنية بروح متحررة من كل حكم مسبق ، وأدركت بنفسى المسافة التي تفصل واقع الاسلام عن الصورة التي اختلقها الغرب ، ولقد شعرت بالحاجة الملحة لتعلم اللغة العربية التي لم أكن أعرفها لكي أكون قادرا على دراسة الدين الاسلامي الذي يجهله الكثيرون في الغرب ، وكان هدفي الأول قراءة القرآن ودراسة نصه آية آية مستعينا بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية . وتناولت القرآن كله منتبها بشكل خاص الى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظواهر الطبيعية الواضحة في النص الاصل العربي للقرآن ، ومطابقة هذا النص (الغير مترجم) للمفاهيم العلمية التي نملكها اليوم عن نفس الظواهر الكونية التي لم يكن ممكنا لأي انسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم أن يعرفها أو يمتلك عنها أدنى فكرة .

ان أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات العلمية ، وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة فأننى لم أكتشف في القرآن أى خطأ . وقد دفعنى ذلك الى أن أساءل : لو كان كاتب القرآن انسانا عاديا فكيف استطاع في القرن السابع الميلادى أن يكتب عبارات تتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ؟

(*) د . موديس بوكاي - المرجع السابق - ص ١٤٤ .

ليس هناك مجال للشك فالنص القرآني الذي نملكه اليوم هو فعلا النص الأصلي في عصر محمد : وليس هناك سبب خاص يدعو الى الاعتقاد بأن أحد سكان الجزيرة العربية استطاع (في العصر الذي كانت فرنسا تخضع فيه للملك داجوير) أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية فيما يخص بعض الموضوعات : ومن الثابت فعلا أنه في فترة نزول القرآن ، أي تلك التي تمتد على مدى عشرين عاما تقريبا قبل وبعد الهجرة (٦٢٢ م) ، كانت المعارف العلمية في مرحلة ركود تام . وأما عصر الحضارة الاسلامية والازدهار العلمي المصاحب فقد كان بالتأكيد لاحقا لنهاية تنزيل القرآن ، وانه من الجهل التام بالأمور التاريخية الأساسية أن نسمح لأنفسنا بقبول الرأي الغريب الذي سمعت البعض يدعونه في أوروبا قائلين : أنه اذا كان في القرآن دعاوى علمية مثيرة للدهشة فسبب ذلك هو تقدم علماء العرب وان محمدا صلي الله عليه وسلم قد استلهم دراساتهم ! ولكن هذه مغالطة واضحة ! لأن من يعرف ولو يسيرا من تاريخ الاسلام ، ويعلم أن عصر التقدم الاسلامي كان في القرون الوسطى أي بعد عصر القرآن بمئات السنين ، لن يسمح لنفسه بمثل هذا الادعاء الباطل ، وخاصة وأن معظم الأمور العلمية في الوحي القرآني لم تعلق التأييد الا في العصر الحديث .

هذه حقا شهادة عادلة بناء على دراسة موضوعية قام بها الدكتور الجراح الفرنسي موريس بوكاي . انها شهادة حقيقية أعلنها عالم فرنسي (مسيحي) اهتم بدراسة مدى صحة الكتب المقدسة ، وانهش بالفعل لوجود آيات علمية في القرآن ينطبق معناها تماما مع العلم الحديث ، بينما اكتشف في حالة الأناجيل والتوراة تعارضا مع العلم !

والآن فاني أدعوك عزيزي القارئ للتعرف على بعض المعجزات العلمية للقرآن والتي تغطي آيات علمية كثيرة ، وتشير الى ظواهر مثيرة ، وانني على يقين أنك بايمانك سوف تثق حتما في القرآن على أنه الوحي المنزل على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم بواسطة الملاك جبريل وصدق الله العظيم بقوله :

« سنزيبهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

(فصلت : ٥٣)

ويحتوي القرآن على أكثر من سبعمائة آية لها ارتباط بالعلوم بصفة عامة ، ومع ذلك فليس القرآن كتابا يهدف الى عرض القوانين التي تتحكم

في الكون ، لأن هناك للقرآن هدفا دينيا أساسيا ، وأوصاف القدرة الالهية تعتبر من الموضوعات الرئيسية في القرآن لتوجيه الدعوات للبشر ليتأملوا أعمال الخالق ، وتصاحب هذه الدعوات اشارات الى أمور كثيرة يمكن للملاحظة الانسانية العادية ادراكها أو الى قوانين الهية لتنظيم الكون سواء كانت في الطبيعة أو خلق الانسان ، ويمكن لنا أن نفهم بسهولة بعض هذه الآيات العلمية في القرآن ، والبعض الآخر لا يمكن ادراكه بعمق الا اذا كان المرء محيطا بمعارف علمية لازمة للفهم الحقيقي . وذلك يعني ان انسان القرون السالفة لم يكن باستطاعته الا ان يتبين في هذه الآيات المعنى الظاهري الذي قاده أحيانا الى استنتاج تفسيرات غير دقيقة بسبب عدم كفاية معرفته العلمية في الماضي . وبهذا فان عدم الدقة في الترجمة والتعليقات الخاطئة يجب أن تؤخذ في الاعتبار حتى يتم تصحيحها في المستقبل بالنسبة لترجمات الآيات العلمية في القرآن ، وخاصة وأن كل المترجمين المحدثين يستعملون في أحيان كثيرة ودون روح نقدية كافة تفسيرات المعلقين القدماء !

وهناك الآن من يحتاطون لتفسيراتهم الجديدة برأى العلماء المتخصصين في الآيات العلمية كما هو الحال في تفسير المنتخب وهو التفسير العربي الذي طبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة (١٩٦٨ م) ، وهذا الموقف الجديد يجب تطبيقه في كل ترجمات القرآن في المستقبل .

ان الأفكار الواردة في هذا الكتاب مستنبطة من أحدث المعلومات العلمية ، وقد تساعد المفسرين في المستقبل ليقدموا الترجمة الصحيحة للآيات العلمية ، كما ستقود هذه الدراسة الى الاستنتاج بعدم معقولية ان انسانا عاديا قد استطاع في القرن السابع الميلادي أن يصدر عبر القرآن فيما يتعلق بموضوعات متعددة أفكارا لا تنتمي أبدا الى آراء عصره ، بينما تتفق هذه الأفكار مع ما أمكن اثباته بعد ذلك بقرون عديدة .

وبهذا فان محمدا - صلى الله عليه وسلم - هو حقا رسول الله المرسل بمعجزة القرآن الى جميع عوالم الأرض . انه نبي الرسالة الخالدة النهائية ، أي نبي الاسلام !

• • الباب الأول

كوكب الأرض

بسم الله الرحمن الرحيم
« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين
لهم أنه الحق »

(الملك : ٥٣)



(شكل رقم ١ - ١)

كوكب الأرض (صورة من الفضاء أثناء رحلة أبوللو)

١ - ١ كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس

تبدو الأرض مستوية ظاهريا ، ولكن بطليموس (١٠٠ - ١٧٠ بعد الميلاد) جمع الأدلة التي تعطي الانطباع بأن الأرض كروية . ولم يستطع أحد رؤية الشكل الكروي للأرض الا عندما بدأ عصر الفضاء في عام ١٩٥٨ م ، وأصبح لدينا الآن البرهان العمل الساطع لكروية الأرض (شكل ١ - ١) ، حيث قام رواد الفضاء لأول مرة برؤية وتصوير الأرض وهم في سفن الفضاء على مسافة شاسعة منها .

وأما عن السؤال التقليدي . هل الأرض ساكنة أم متحركة ؟ فلقد اعتقد الانسان القديم أن الأرض ساكنة ، وأنها في مركز الكون طبقا للفرض الخاطيء لبطليموس عن مركزية الأرض ، ولقد ساهمت الحركة الظاهرية اليومية للنجوم والكواكب والشمس والقمر عبر القبة السماوية في تدعيم هذا الفرض الذي لم يجرؤ أحد على مناقشته أو الشك فيه ، لأن الأرض - تبدو ظاهريا - ساكنة وخاصة وأن الحركة الظاهرية اليومية للأجرام السماوية أعطت انطباعا خاطئا بأن الأرض لا تتحرك ، وظل هذا الاعتقاد سائدا دون مناقشة منذ عهد بطليموس الى ان جاء كوبرنيكس عام ١٥٤٣ ونشر نظريته الجديدة (المعروفة بمركزية الشمس) التي نجحت في تقرير حركة الأرض وأعلن أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة ، وتدور أيضا حول الشمس مرة كل عام ، ودوران الأرض حول نفسها يسبب تتابع الليل والنهار ، بينما يؤدي دوران الأرض حول الشمس الى تتابع الفصول ، ولقد أعلن كوبرنيكس أن النجوم والشمس تبدو ظاهريا متحركة في القبة السماوية من الشرق الى الغرب بسبب الدوران الفعلي للأرض حول نفسها ، وبهذا فان الحركة نسبية ، وكل شيء على الأرض كالهواء والماء والمباني والبشر يتحرك ، ورغم ان معدل هذه الحركة يفوق ١٠٠٠ ميل/

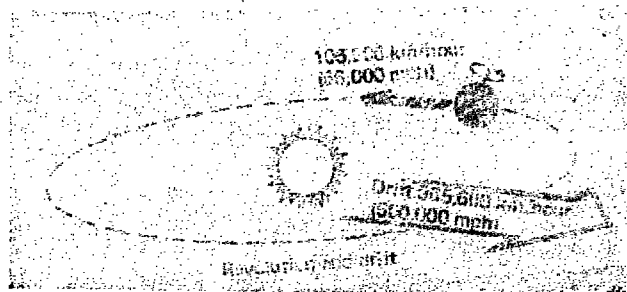
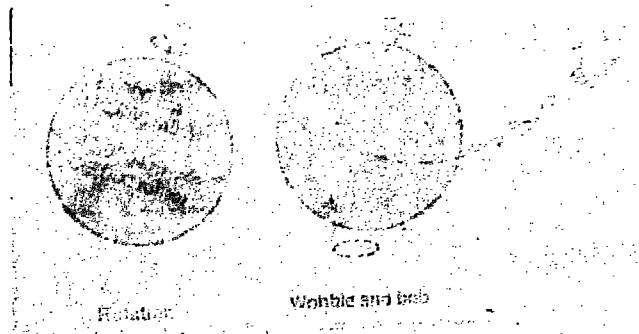
ساعة عند خط الاستواء بسبب الدوران المغزلي للأرض حول محورها ، فاننا ليس لدينا وسيلة مباشرة لادراك هذه الحركة ، ولهذا ظلت فكرة الأرض المتحركة متناقضة مع الاحساس الظاهري لكل البشر في جميع العصور . ونذكر هنا اضطهاد الكنيسة للعلماء كما حدث في محاكمة جاليليو امام الكنيسة الكاثوليكية في روما بسبب دفاعه عن نظرية كوبرنيكس التي اعتبرتها الكنيسة تهديدا للدين المسيحي . ولقد كان جاليليو متدينا ، ويخشى أن تقع الكنيسة في خطأ علمي ، ولهذا كتب كتابا يؤكد فيه مركزية الشمس وتحرك الأرض ، ولكن البابا أمر باحضار جاليليو بالقوة رغم شيخوخته وسوء صحته للتحقيق معه أمام رجال الكنيسة الذين حكموا عليه بالسجن مدى الحياة ، ورغم هذا الاضطهاد فلقد كان جاليليو متأكدا من صحة أفكاره عن نظرية كوبرنيكس واثقا بأن تقدم العلوم التجريبية سوف يساعد في المستقبل على اثبات دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس . ولقد كانت هذه النظرية نقطة تحول في تفكير البشرية حيث بدأت بعدها ثورة علمية في أوروبا في القرن السابع عشر عقب نشر كتاب كوبرنيكس وبعد تأييد العلامة الشهير اسحق نيوتن لهذه النظرية . وعلى الرغم من نجاح كوبرنيكس فان الكنيسة قد أرت بمصادرة واحراق كتابه واتهمته بالكفر فهرب من روما حتى لا يتم القبض عليه بواسطة سلطات الكنيسة نظرا لتعارض نظريته مع ما ورد في الانجيل من عبارات البشر عن الأرض الساكنة ! ، ومع تفكير معظم الناس الذين كانوا يتعجبون ويتساءلون عندئذ عن كيفية تحرك الأرض رغم انها جرم ضخم ثقيل !

ورغم اضطهاد الكنيسة للعلماء فلقد تم تعزيز النظرية الكونية لكوبرنيكس بقوانين كبلر عام ١٦٠٩ م وقوانين نيوتن للجاذبية العامة عام ١٧٠٠ م ، وتم أيضا قياس دوران الأرض حول نفسها بواسطة تجارب فوكولت عام ١٨٥١ م ، كما تم حديثا قياس سرعة دوران الأرض حول الشمس ، وبهذا وطبقا للعلم الحديث أصبحت حركات الأرض (شكل ١ - ٢) وشكلها الكروي حقائق علمية جديدة لا شك فيها .

وبالرجوع الى القرآن الكريم ، فسوف نجد آيات تثير دهشة قارىء القرآن في القرن العشرين . وعلى سبيل المثل فان الشكل الكروي للأرض ودورانها حول نفسها حقيقتان مشار اليهما في الآية القرآنية التالية :

« يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل »

(الزمر : ٥)



(شكل رقم ١ - ٢)

تحركات الأرض

والفعل يكور معناه يلف كما في اللغة العربية (يكور العمامة على رأسه على هيئة حلزونية) ، وبالإضافة الى معنى اللف والدوران فان المعاني الأخرى للفعل تحتفظ بمفهوم التكور ، وخاصة اذا علمنا ان الاسم من فعل يكور هو كرة ، وبهذا فان التعبير القرآني يعطي المعنى العلمي لتتابع الليل والنهار وذلك في عبارة مختصرة معناها « لف الأرض الكروية ، »

ماذا يحدث في الفضاء ؟ لقد لاحظ الرواد الأمريكيون هذه الظاهرة والتقطوا الصور من سفنهم الفضائية وعلى مسافة بعيدة من الأرض (٠٠٠ على سطح القمر مثلا) لقد شاهدوا الشمس وهي تضيء (ماعدا في حالة الكسوف) النصف المواجهة لها من سطح الأرض بينما النصف الآخر للكرة الأرضية في ظلام ، وتدور حول محورها على حين تظل الاضاءة ثابتة

القرآن الكريم - ٤٩

بحيث يدور نصف الكرة المضيء كغلاف حول الأرض مدة كل ٢٤ ساعة ، بينما يتم النصف الآخر المظلم نفس الدورة في نفس الزمن ، وهذا الدوران المستمر للنهار والليل ٠٠٠ . أي اللف المتعاقب والدائم موصوف بوضوح في الآية القرآنية السابقة ، وأصبح الموضوع الآن يسيرا على الإدراك الانساني لأننا نملك اليوم فكرة عن الثبوت النسبي للشمس في مركز دوران الأرض ، وبهذا فان العملية الدائمة في التكور مع الولوج المستمر لقطاع في آخر ، أي تبادل الليل والنهار ، عملية يذكرها القرآن بأعجاز مدهش ، وكأن اكتشاف كروية ودوران الأرض معروفان منذ عصر نزول القرآن ، ولكن الواقع أن هذه الأمور العلمية لم تكن معروفة في ذلك العصر الذي ساد فيه الاعتقاد بأن الأرض ثابتة وموجودة في مركز العالم وان الشمس تدور حول الأرض . وقد تسأل كيف يتحدث انسان في ذلك العصر عن تعاقب الليل والنهار دون ان يذكر الاعتقاد السائد بحركة الشمس من الشرق الى الغرب ؟ ان هذا الاعتقاد الخاطيء لم يظهر مطلقا في القرآن كما هو واضح في الآية القرآنية السابقة والآيات التالية :

« يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا » .

(الأعراف : ٥٤)

« وآية لؤم ائليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » .

(يس : ٣٧)

« ألم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

(لقمان : ٢٩)

« يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » .

(النور : ٤٤)

حقا ان قدرة الله وحكمته وفضاله تنجلي في الظواهر المنتظمة في الطبيعة مثل تتابع الليل والنهار . ان هؤلاء الذين يملكون الرؤية الروحية هم فقط الذين يستطيعون قراءة القرآن الكريم بعقل متفتح مثقف وشعور بالبهجة والارتياح واحساس بالدهشة والاعجاز ٠٠٠٠ ولنفكر معا بعمق في الآيات القرآنية التالية :

« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » .

(يس : ٤٠)

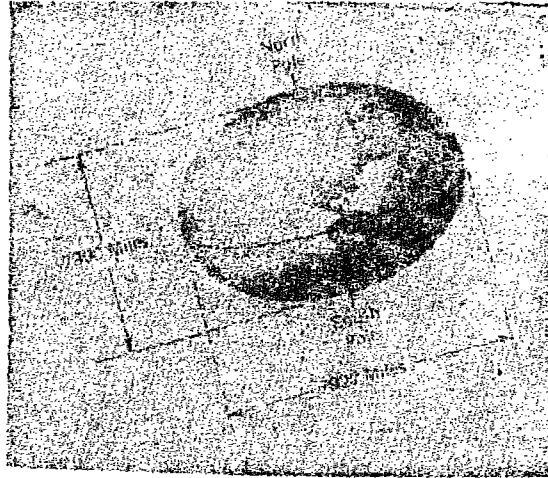
وقوله تعالى :

« وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل
في فلك يسبحون » .

(الانبياء : ٣٣)

هنا يذكر القرآن بوضوح أمرا جوهريا ، الا وهو وجود مدار لكل
من الشمس والقمر وتنقل هذين الجرمين في الفضاء كل بحركة حقيقية
خاصة وليست حركة ظاهرية خادعة . وبذلك (وكما سنرى في أبواب
أخرى من هذا الكتاب) يتضح لنا أن القرآن قد قدم بهذه الإشارة مفهوما
جديدا لم نكتشفه علميا الا بعد قرون عديدة ! . وأيضا فان الآيتين
السابقتين تؤكدان وجود مدار للنهار والليل . وهذا يكفي لكي نفهم أن
الأرض تدور حول محورها .

وعلاوة على ذلك فان تشبيه الحركة هنا بالسباحة توضح جمال
وعظمة مسار الأجرام السماوية وهي تسبح في أفلاكها في الفضاء في
حركة انسيابية ناعمة ، ولكننا لو فكرنا بعنق فان الفعل « يسبح » يبين
حركة انتقالية للجسم مصحوبة بحركة ذاتية له ، وعلى سبيل المثال
فالأرض تدور في مدارها حول الشمس بحركة انتقالية لكنها في نفس
الوقت تدور حول نفسها بحركة ذاتية وبهذا فان الأرض تسبح في
الفضاء ، كما ان التعبير القرآني « ولا الليل سابق النهار » يبين أن الليل
والنهار موجودان في نفس الوقت وهذا يعني أن الأرض لا بد وان تكون
كروية الشكل . وهذا الوجود المتزامن لليل والنهار على الكرة الأرضية
مشار إليه أيضا في الآية القرآنية التالية :



(شكل رقم ١ - ٣)
اختلاف قطري الأرض

« حتى اذا اخذت الأرض زخرفها وأزمنت وظن أهلها
أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فيجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » •

(يونس : ٢٤)

والتعبير « ليلا أو نهارا » يدل على أن الأمر الإلهي بتحطيم كل
المدنيات على الأرض سيحدث ليلا أو نهارا أى فى لحظة تمثل النهار
بالنسبة لنصف الكرة الأرضية والليل بالنسبة للنصف الآخر •
والشكل الكروي للأرض لا يتناقض مع التعبير القرآنى •

• « والأرض مددناها »

(ق : ٧)

فالأرض فعلا كروية ، ولكنها رغم ذلك تبدو ممتدة امتدادا فسيحا ،
وكلمة « مددناها » تعطى المفهوم الكروي لأنك اذا مشيت على الأرض
فانك لن تصل الى نهاية وبهذا فان الأرض ممدودة •

وطبقا للقياسات العلمية الحديثة فان قطر ، الأرض عند خط
الاستواء أكبر بمقدار ٢٧ ميلا (٤٢ كم) عن القطر بين القطبين ، ولكن
هذا الفرق بسيط اذا ما قورن بقيمة القطر نفسه فالأول ٧٩٢٧ ميلا بينما
الثانى ٧٩٠٠ ميل ، وتفرطح الأرض عند القطبين وبروزها عند خط
الاستواء بسبب دوران الأرض حول نفسها ، يعطى للأرض شكلا ليس
كرويا تماما أى شكلا بيضاويا • وهذه الحقيقة مشار إليها ضمن المعانى
المتعددة للفعل « دحا » الذى يعنى مد ، أو شسكل على هيئة بيضة
(شكل ١ - ٣) كما هو مذكور فى الآية الكريمة التالية :

« والأرض بعد ذلك دحاها »

(النازعات : ٣٠)

وظاهرة الظل (تلك الحقيقة التى نجد تعليلها عاديا فى عصرنا
نتيجة دوران الأرض حول نفسها) يعبر عنها القرآن فى الآية الكريمة
التالية :

« ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا • ثم قبضناه اليها قبضا يسيرا »

(الفرقان : ٤٥ - ٤٦)

ويشير النص القرآني هنا الى العلاقات بين الظل والشمس علاوة على خشوع كل شيء مخلوق أمام الله بما في ذلك ظلال كل شيء واسترداد الله كما يريد لكل دليل على قدرته . وفي هذا الشأن لا بد أن نذكر أن الناس كانوا يعتقدون في عصر محمد عليه الصلاة والسلام أن انتقال الظل مشروط بانتقال الشمس من الشرق الى الغرب . وكان هذا الاعتقاد مطبقا فيما يسمى بالمزولة الشمسية لقياس الزمن بين شروق الشمس وغروبها . أما هنا فيشير القرآن الى هذه الظاهرة دون اشارة الى تعلقها الجارى في عصر تنزيله ، وقد كان يمكن لهذا التعليل أن يلقي استحسان الناس طيلة القرون التي تلت عصر محمد صلى الله عليه وسلم ثم يصبح خاطئا في نهاية الأمر ، ولكن القرآن الكريم يتحدث فقط في الآية السابقة عن دور الشمس كمؤشر للظل ، وبهذا لم يدافع القرآن عن النظرية المركزية الأرضية لبطليموس ، وبالتالي فاننا نلاحظ الغياب التام لأى تعارض بين وصف القرآن للظل وبين ما نعرفه عن هذه الظاهرة في العصر الحديث .

وبالإضافة الى الاشارات القرآنية السابقة ، والدالة على تعاقب الليل والنهار ، وكروية الأرض ودورانها حول نفسها ، يجب علينا أن نذكر بعض الآيات عن تعدد المشارق والمغارب لارتباطها بهذه الظواهر ، وهذه الآيات وصفية فقط وملاحظتها أمر شائع كما في قوله تعالى :

« رب المشرقين ورب المغربين » .

(الرحمن : ١٧)

« فلا أقسم برب المشارق والمغارب » .

(المارج : ٤٠)

والمشرقان هنا ربما يحددان نهايتى مواضع مشرق الشمس على مدار السنة ويقع بينهما مشارق كثيرة ، وبالمثل المغربان هنا ربما يحددان نهايتى مواضع مغرب الشمس أثناء السنة ويقع بينهما مغارب كثيرة ، كما أن ذكر تعدد المشارق والمغارب يشير أيضا الى دوران الأرض حول الشمس وما ينتج عنه من نشأة الفصول ، بالإضافة الى ان القسم الالهي هنا فى الآية الأخيرة يبين قدرة الله وعظمته وهى تتجلى فى ظهور الضوء الوهاج الجذاب المصاحب للمشروق والغروب فى مناطق مختلفة على مدار اليوم والسنة ، وان الله سبحانه وتعالى هو رب جميع المناطق فى الأرض والسما ، وهو الذى يوزع أفضاله فى كل مكان على العالمين .

والفصول الأربعة ظاهرة واضحة لكل من يشاهد الطبيعة فليالي الشتاء الطويلة الباردة وأيام الصيف الدافئة لها تأثير على البيئة حولنا ، وعلى سلوكنا لدرجة أن ملابسنا التي نرتديها تختلف باختلاف الفصول . ويرجع تكون الفصول الى ميل محور دوران الأرض حول نفسها على مستوى دورانها حول الشمس . فائثناء شهوز الصيف يميل القطب الشمالي للأرض مقتربا من الشمس بينما يميل مبتعدا عنها خلال شهوز الشتاء ، ونتيجة لذلك فان عدد ساعات النهار مثلا تختلف من شهر الى آخر ، فالانسان في الولايات المتحدة الأمريكية يعيش نهارا طوله ١٦ ساعة خلال شهر يونيو بالمقارنة بنهار طوله ثمانى ساعات فى شهر ديسمبر ، وهناك أماكن على الأرض تحدث فيها ظواهر غريبة فعند القطب الشمالى والقطب الجنوبى للأرض يدوم النهار أو الليل ستة شهور ، وعلى سبيل المثال فعند القطب الشمالى تشرق الشمس فى أول أيام الربيع وتظل فى كبد السماء الى أول أيام الخريف ، وهناك منطقة فى الأرض تظل الشمس فى سمائها لمدة ٢٤ ساعة وذلك ليوم واحد فى السنة على الأقل وطوال هذا اليوم يرى الناس الشمس حتى فى منتصف الليل . ويشير القرآن الكريم الى اختلاف الليل والنهار كظاهرة مذهشة تستلهم ذكاء الانسان وعقله كما فى قوله تعالى :

« ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب » .

(آل عمران : ١٩٠)

ويذكر القرآن أيضا آية أخرى قد تشير بالذات الى مناطق فى الأرض تشرق الشمس عليها لمدة طويلة كما فى قوله تعالى :

« حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » .

(الكهف : ٩٠)

والرحلة السنوية للأرض حول الشمس تشرح لنا الحركة الظاهرية للشمس خلال البروج فيما نسميه بالحركة السنوية حيث تحملنا الأرض فى مدارها خلال مناطق مختلفة وبذلك نرى الشمس أثناء السنة من أماكن ذات خلفية مختلفة من النجوم فى السماء ، وعلى هذا فان بعد المشرقين يمثل أقصى بعد بين موضعى الأرض فى فلكها حول الشمس (أى قطر مدار الأرض حول الشمس) ، وهذا البعد مشار اليه فى الآية

القرآنية التالية ليعبر عن اقصى مسافة تفصل نقطتين فى مدار الأرض بالنسبة للبشر الذين يسكنون هذا الكوكب :

« حتى اذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين »

(الزخرف : ٢٨)

وتدور الأرض حول الشمس مرة كل سنة وكل شىء على الأرض يتحرك معها ، ورغم ان سرعة الأرض تصل الى ٦٧٠٠٠ ميل /ساعة نتيجة هذا الدوران السنوى ، فان أحدا لا يشعر بهذه الحركة ولقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة بقوله تعالى :

« وترى الجبال تحسبها جاهدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء » .

(النمل : ٨٨)

وقد كانت هذه الآية صعبة الفهم على المفسرين القدماء فاعتبروها اشارة الى زوال الجبال يوم القيامة ضمن الزوال الكامل لكل شىء ، ومن هنا ندرك كيف ان مفسرى القرآن قد اختلط عليهم الأمر (طيلة قرون ماضية) فى تفسير بعض الآيات العلمية التى لم يكن فى استطاعتهم أن يفتنوا الى معناها الدقيق . ان عبارة (صنع الله الذى أتقن كل شىء) فى الآية الأخيرة تؤكد ان هذه الآية تختص بوصف الطور الحاضر لعالمنا الفيزيائى وتشير بذلك الى حركة الأرض (وظواهر أخرى كما فى البند القادم) ، هنا أيضا ، عندما نقابل نص القرآن الكريم بالمعطيات العلمية الحديثة ، كيف لا ننبهر بتلك التحديدات الدقيقة التى لا يمكن افتراض أنها صدرت عن فكر انسان عاش منذ أربعة عشر قرنا تقريبا ؟ ان القرآن حقيقة وليس سحرا أو شعوذة . واليك عزيزى القارىء بعض الآيات القرآنية الروحية التى تؤكد أن القرآن وحى جاء به جبريل كما فى قوله تعالى :

« فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ، والليل اذا عسعس ، والصبح اذا تنفس ، انه لقول رسول كريم ، ذى قسوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين ، وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين ، وما هو على الغيب بضنين ، وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ، ان هو الا ذكرا للعالمين ، لمن شاء منكم ان يستقيم » .

(التكويد : ١٥ - ٢٨)

حقا ان القرآن رسالة من الله أحضرها الملاك جبريل ، وبهذا فان القرآن قول رسول كريم ، وليس قول شيطان رجيم . ولقد رأى النبي محمد جبريل فى السماء خلال الوحي ، وكلماته القرآن واضحة وحقيقية نزلت بمنتهى الحكمة بوحي الهى الى النبي ليبلغها لجميع البشر (العالمين) ، وليس القرآن قاصرا على طبقة أو جنس معين ولكنه عالمى موجه الى جميع الناس فى كل زمان ومكان . والقرآن يهديك عزيزى القارىء بوضوح بارادتك الى الطريق المستقيم . فلماذا تتردد ؟ تقبل هذه النعمة الالهية وتب الى الله ، واستغفره لذنوبك فأبواب الرحمة مفتوحة لمن شاء منكم ان يستقيم والله الرحمن الرحيم وذب العالمين يقول فى القرآن الكريم :

« ان الدين عند الله الاسلام » .

(آل عمران : ١٩)

١ - ٢ الجبال

جذور الجبال :

لقد تم حديثاً تعيين التركيب الداخلى لباطن الأرض عن طريق دراسة الزلازل . وكشفت هذه الدراسات عن وجود ثلاث طبقات هى القلب والرداء والقشرة . ويتكون القلب الداخلى للأرض على الأرجح من مادتى الحديد والنيكل فى حالة صلابة ودرجة حرارة عالية تصل الى ٥٠٠٠ درجة مئوية ، ويمتد القلب من المركز الى نصف قطر قدره ٨٠٠ ميل ، ثم القلب الخارجى بسمك ١٣٥٠ ميل ويتكون من حديد ونيكل فى حالة سائلة ، ثم يبدأ الرداء بسمك ١٨٠٠ ميل بين القلب الخارجى والقشرة ، ويتكون الرداء من صخور منصهرة ، أما القشرة فيبلغ سمكها من ٢٠ الى ٢٥ ميلا فى المتوسط تحت القارات ويزداد الى ضعف هذا المقدار تحت الجبال العالية ، وبهذا فان القشرة الصلبة لا تمثل أكثر من ١٪ من نصف قطر الكرة الأرضية .

ويصل متوسط كثافة الأرض الى ٥.٥ جم/سم^٣ ، وهذا المقدار أكبر من كثافة الصخور السطحية طبقاً للقياسات الحديثة المستنتجة من دراسة أمواج الزلازل والتي تؤكّد أن باطن الأرض أكبر كثافة من سطحها . والقشرة هى الجزء الهام الذى يغطى سطح الأرض وتحدث بها جميع الظواهر الجيولوجية ومن أهم هذه الظواهر الالتواءات التى تكون سلاسل الجبال فيما يسمى Orogenesis (أى نشأة الجبال) فى علم الجيولوجيا ، ولهذه العملية أهمية بالغة فى تكون البروز الذى يؤدى الى جبل مرتبط ومثبت بأساس يمتد فى عمق القشرة الأرضية داخل الرداء فيؤكد بذلك وجود جذور للجبال . ويقول الله سبحانه وتعالى فى وصف الجبال فى القرآن :

« ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً »

(النبا : ٦ - ٧)

والوتد قطعة من الخشب أو الحديد لتثبيت جبال الخيمة • ويدق الوتد عادة الى أن يفوص الجزء الأكبر منه (الجذور) تحت الأرض • ومن المعروف علميا ان قشرة الأرض أكثر عمقا تحت الجبال مما يؤكد وجود جذور لسلاسل الجبال العالية قد تصل الى عمق قدره ٤٠ ميلا تحت سطح الأرض طبقا لأحدث قياسات القرن العشرين ، مع العلم بأن أعلى قمم الجبال المعروفة تصل فقط الى ارتفاع قدره ٦٠٠٠ من الميل فوق سطح الأرض •

ويمكن توضيح الشبه المذكور في الآية القرآنية السابقة بين الجبال والأوتاد • كما يلي :

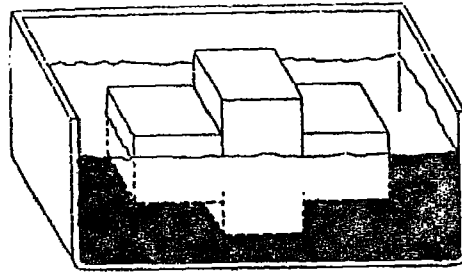
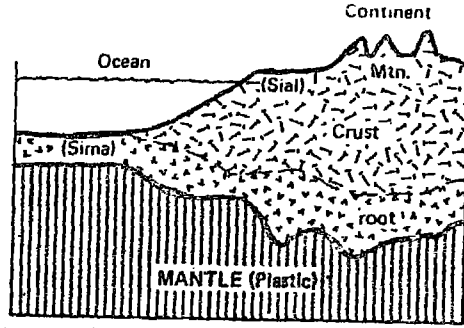
١ - الأوتاد تغوص تحت الأرض بقوة المطرقة والجبال تغوص تحت الأرض بقوة الجاذبية • الأوتاد تمسك الخيمة وتثبتها ، بينما الجبال تعمل كهيكل عظمي يمسك بالأنسجة التي تمثل الأرض المحيطة بالجبال • وقد يتضح علميا في المستقبل ان الجبال تساهم في تثبيت الغلاف الجوى على سطح الأرض ومنعه من الهروب وكان الجبال أوتاد تثبت الخيمة الجوية التي تملو رؤوسنا وتحفظنا من الاشعاعات الخطيرة والشهب الحارقة • وعلى أي حال فانا يمكننا اعتبار القشرة السطحية للأرض كما لو كانت سجادة مثبته بواسطة أوتاد (جبال) •

حقا ان التشبيه القرآني للجبال بالأوتاد تشبيه بليغ يلفت نظرنا لحقائق علمية مذهلة في الطبيعة من حولنا ، ويبين لنا كيف أن وجود الله ، وأفضاله علينا ورحمته بنا ، حقائق تظهر للبشرية في صور مختلفة في هذه اللوحة الكونية •

توازن الجبال :

قد يعتقد الانسان أن ثقل الجبال محمول بفضل قوة وصلابة القشرة الأرضية • ولكن هذه الفكرة ليست واردة الآن عند علماء الجيولوجيا ، لأنهم يؤكدون توازن الجبال على الأرض بظاهرة تدعى الاتزان الايسوستاتيكي ، أي طفو الكتل القارية والجبال الأقل كثافة على طبقة أكبر كثافة في باطن الأرض ، تماما كالسفن الراسية • وهذا التوازن الايسوستاتيكي (شكل ١ - ٤) أثبت طبقا للأبحاث الجيولوجية والتجارب الجيوفيزيائية أن الجبال تطفو فعلا بواسطة جذورها (الأقل كثافة) المنحورة في رداء الأرض اللين (الأكبر كثافة) تحت القشرة مباشرة ، وهذه الحقيقة العلمية تشمل أيضا اتزان القارات مع أحواض المحيطات حيث يتم التوازن الرأسى بين الكتل الضخمة البارزة مثل الجبال العالية

وبين ما يحيط بها من وديان ممتدة ، وكذلك التوازن الراسي بين القارات وأحواض المحيطات حيث تبرز القارات فوق مستوى البحر لأن القارات تتكون من قوالب أو ألواح من المادة القشرية تطفو على الصخور الثقيلة اللينة للرداء وتتوازن في نفس الوقت مع الصخور الأكبر كثافة التي تغطي قيعان المحيطات .



(شكل رقم ١ - ٤)

ظاهرة توازن الجبال الراسي بعيداً الطفو وجذور الجبال

وبذلك فإن الجبال تشبه السفن الراسية المثبتة في الشاطئ ، لأن الجبال تطفو بواسطة الدفع الواقع على جذورها العميقة المغمورة في الصخور الثقيلة اللينة للرداء ، علاوة على أن الجبال محاطة بالوديان المترنة معها والتي تساعد على تثبيتها .

وانه لمن المدهش أن تجد إشارة لهذه الحقيقة في التعبير القرآني الذي يستخدم الفعل « أرسى » في وصف انشاء الجبال وتثبيتها ، وهذا الفعل يطلق في اللغة العربية عادة على السفن الراسية ، كما أن القرآن يطلق على الجبال لفظ (رواسي) وهو الاسم من فعل « أرسى » وكان الجبال سفن راسية ، ولم يدرك المفسرون المقصود من استخدام الفعل

أرسي والاسم رواسى كوصف للجبال فى القرآن ، واقتصروا جميعا فى تفسيرهم على اعتبار الارساء بمعنى التثبيت بشدة ولكننا الآن نذكر الحكمة فى استخدام هذا التعبير القرآنى الدقيق كما فى قوله تعالى :

« والجبال ارساها » *

(النازعات : ٣٢)

« وألقى فى الأرض رواسى أن تهيد بكم » *

(لقمان : ١٠)

ان الفعل أرسى ولفظ الرواسى هى أنسب تعبير عربى يتفق تماما مع المعلومات العلمية الحديثة . فكيف لا نندهش لمعجزة القرآن الذى يفتح عيوننا ويجذب انتباهنا لمثل هذه الحقائق العلمية ويطلبنا بأن نتمعن ونفكر بعمق فى أسرار الطبيعة التى نراها فى حياتنا اليومية ، لتتدبر المعانى العلمية والتصميم الالهى وتذكر أفضال الله علينا كما فى قوله تعالى :

(أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت * والى السماء كيف رفعت * والى الجبال كيف نصبت * والى الأرض كيف سطحت *)

(الفاشية : ١٧ - ٢٠)

فهل يعجز الانسان وهو يرى كل هذه الأشياء المدهشة أن يدرك الغرض من وجوده فى هذه الحياة ، وهل يرفض الانسان الاتجاه نحو الخالق العظيم الذى سيحاسبنا على أعمالنا ؟ وهل يخفق الانسان فى ان يثق فى القرآن الكريم ذلك الكتاب المقدس الحقيقى الواضح (الغير مزيف) الذى يمثل الوحي النقى الخالد ؟ وهل يؤمن الانسان بالآخرة ؟ وهل يدرك مصير الجبال يوم القيامة كما ورد فى القرآن الكريم ؟ ويصف الله عز وجل يوم القيامة على أنه زوال عظيم يغير تماما من وجه الأرض. التى نعرفها ، لدرجة أن الصخور الضخمة الصلبة للجبال ستصبح هشة كالهباء المتناثر كما فى قوله تعالى :

« يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا

مهيلا » *

(الزمل : ١٤)

وبهذا فان ما نعتبره ماديا ملموسا في هذه الحياة سيفنى في الآخرة ، وعلى سبيل المثال فان الجبال التي تمثل في عالمنا رمز القوة والاتزان والبقاء تكون يوم القيامة كالسراب حيث تزول كما لو كانت غير موجودة من قبل ، ويصف القرآن هذه الحوادث بقوله تعالى :

« واذا الجبال سيرت » *

(التكوين : ٣)

« يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » *

(القارة : ٥)

وبذلك يشير القرآن الكريم من خلال هذه التشبيهات الروحية الى أسرار القيامة مؤكدا زوال هذه الدنيا بطواهرها الملموسة عندما يأتي الأمر الالهي ليوم القيامة وعندئذ يسود العدل الكامل المطلق . وعلينا نحن البشر أن نعمل من أجل اليوم الآخر الذي يمثل الحياة الخالدة والقيم الحقيقية الباقية .

الجبال كعوامل توازن الأرض :

يوضح الله سبحانه في الآية القرآنية التالية أن الجبال الشامخة تعمل على توازن الأرض التي نعيش عليها آمنين دون أن تميد بنا أو تتأرجح كما في قوله تعالى :

« والقي في الأرض وواسى أن تميد بكم » *

(النحل : ١٥)

وهذا التعبير القرآني قد يشير الى أن الأرض التي تمثل سجادة تحت أقدامنا مثبتة بواسطة الجبال ، وبهذا فان الأرض لا تميد ولا تهتز ولا تتزحلق لأن الطريقة التي تم بها تثبيت الجبال تضمن استقرار الأرض ، وعلاوة على ذلك فان اتزان الأرض أثناء دورانها حول نفسها دون أن تميد قد يشير علميا الى تماثل توزيع الجبال على جانبي محور الدوران .

وتوضح الآية السابقة أيضا أن الله سبحانه وتعالى قد أنشأ الجبال بالقائها فوق سطح الأرض بدليل استخدام الفعل « ألقى » مما قد يشير الى نوع شائع معين من الجبال يدعى الجبال الرسوبية التي تتكون عادة

بالبقاء وتراكم الرواسب طبقة فوق طبقة كما يتضح من الترتيب الزمني في طبقات الصخور الرسوبية . وعلاوة على ذلك فإن الفعل ألقى قد يشير الى جبال أخرى أقيت من السماء على هيئة نيازك ضخمة وهذه الفكرة قد تمت مناقشتها بواسطة الجيولوجي الفاريز عام ١٩٧٩ في جامعة كاليفورنيا في بركلي حيث أوضحت النتائج أن الطبقة الرقيقة المحتوية على صخور غنية بمعدن الايريديوم الموجودة في قيعان المحيطات ربما ترجع الى اصطدام نيزك ضخم بالأرض في الماضي السحيق لأن الايريديوم أكثر شيوعا في النيازك عنه في صخور الأرض . وعلى أي حال فإن علماء الجيولوجيا يؤكدون الآن أن الأرض لا تعيش بمعزل عن الفضاء ، وان عالمنا هذا خاضع لمجموعة من المؤثرات الخارجية ، وأن مثل هذه الكوارث الكونية التي حدثت في الماضي قد تصيب الأرض مرة أخرى في المستقبل .

ولقد عبر القرآن الكريم أيضا عن انشاء الجبال باستخدام الفعل « جعل » بدلا من الفعل « ألقى » كما في الآية التالية :

« وجعلنا في الأرض رواسي أن تهيد بهم » .

(الانبياء : ٣١)

وهنا نلاحظ أن الفعل « جعل » يشمل جميع أنواع الجبال الرسوبية والبارية ، كما أن الضمير المجرور « بهم » يشير الى البشر بصفة عامة والى الكفار بصفة خاصة (من سياق الآية رقم ٣٠ من نفس السورة) الذين لا يؤمنون بالله ولا يحاولون ادراك الرحمة الانهية ولهذا تجذب الآية انتباههم الى الحقيقة الخافية على أذهانهم بأنهم يعيشون على سطح هذه الأرض بفضل التنظيم الالهى ورحمة الله التى تحميهم من الكوارث الطبيعية مثل الزلازل ، وان الله يستطيع أن يدمرهم بذنوبهم فى لمح البصر من حيث لا يشعرون .

الجبال العالية والثلج :

هناك علاقة بين الجبال الشاهقة والماء العذب كما يتضح من الآية القرآنية التالية :

« وجعلنا فيها رواسي شاهقات ، واسقيناكم ماء فراثا »

(الرسالات : ٢٧)

وكما نعلم بأن قمم الجبال العالية تعمل كالأسفنج لتجميع وتخزين وترشيح الماء العذب النقى ، لأن الارتفاعات العالية تؤدي الى انخفاض

درجة حرارة هذه القمم التي تستطيع بذلك تكثيف بخار الماء في الهواء الرطب المحيط بها . وهذا الماء المتكثف يتجمد على هيئة ثلج يغطي هذه القمم الشامخة ، وينصهر هذا الثلج تحت ضغط الطبقات الثلجية المتراكمة فوقه ويتحول الى ماء عذب يسيل على سفوح الجبال منحدرًا بتأثير الجاذبية الى أسفل . ويدعى أقل ارتفاع يتكون عنده ثلج دائم بخط الثلج الذي يحدث عند ارتفاعات قدرها ١٢ ، ٢٧ ، ٥٥ كيلو متر بالنسبة لجبال الترويج والألب والكليمنجارو على الترتيب (أنظر شكل ١ - ٥) .



(شكل رقم ١ - ٥)

قمة جبل الهيمالايا والثلج الدائم ومنبع نهر الجانج

والجبال العالية منابع مناسبة للأنهار ، وكل نهر يميل عادة الى الانسياب من انحدار كبير عند المنبع ، والأنهار بالغة الأهمية للإنسان نظرا لاستخدام مائها العذب في الشرب أو الري ، واستخدامها كمساقط للمياه في توليد الكهرباء ، علاوة على التمتع بمناظرها الخلابة والصيد والسباحة .

وتزدهر المدنية دائما في الوديان الخصبة حول الأنهار لأن الوديان
تعتبر أصلح الأماكن لشق الطرق .

ويشير القرآن الكريم الى الارتباط بين الجبال والأنهار والطرق في
الآية التالية :

« **والقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم وأنهارا وسبلا
لعلكم تهتدون** » .

(النحل : ١٥)

حقا ان الأنهار والسبل تمهد لنا طرق المواصلات في هذه الحياة
الدنيوية ، ولكن المهم هو أن نسلك طريق الايمان ونهتدى بأنوار الوحي
الالهي في القرآن الكريم تمهيدا لرحلتنا في الطريق الروحي نحو
العالم الآخر .

حركة الجبال :

يقرر القرآن حقيقة هامة تخص الجبال وتجذب انتباهنا بكل تأكيد
كما في قوله سبحانه وتعالى :

« **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب
صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون** » .

(النمل : ٨٨)

هذه الآية تبين لنا بأنه على الرغم من الثبوت الظاهري للجبال التي
تبدو كما لو كانت ساكنة لا تتحرك أو باقية لا تزول فانها في الواقع
تمر من السحاب ! ، وهذه الحقيقة من روائع خلق الله الذي يستطيع
وضع وتنظيم كل شيء في المكان والزمان المناسب بتقدير متقن محكم
في هذا العالم المادي الملموس الذي يحيط بنا .

وطبقا لمعطيات العلم الحديث يمكن فهم حركة الجبال الموصوفة في
هذه الآية الكريمة على أنها اشارة للعوامل التالية :

- (أ) تعرية الأرض
- (ب) حركة الأرض
- (ج) ازاحة القارات

(١) تعرية الأرض :

يقول الشاعر الفريد ثينيسون ١٨٠٩ - ١٨٩٢ ميلادية :

• هناك تتدفق أمواج البحر فى نفس المكان الذى كانت به الغابات
أيتها الأرض كم من تغيرات مرت بك ؟ • فأقد امتدت الشوارع المزدحمة
مكان البحيرة الهادئة ! • والجبال تذوب كالضباب لأنها كالظلال تمر
من شكل لآخر ولا شئ يبقى ، والأرض الصلبة تشبه السحاب لأنها تشكل
نفسها ثم تتحرك وتختفى عن الأنظار •

هذه الأبيات تبين بوضوح قائل هذا الشاعر بعلماء عصره الذين
أنشأوا علم الجيولوجيا الحديث مثل جيمس هاتون فى القرن السابع
عشر وخليفته شارلز لايل فى القرن الثامن عشر ، فلقد أعلن هؤلاء المبدأ
الجيولوجى الهام المعروف بالتغير المستمر والتدرجى لسطح الأرض عبر
الأحقاب الجيولوجية الطويلة Uniformitarianism حيث أعلن هاتون
أن الآثار المرئية لعوامل التعرية كالأنهار والأمواج والتدفقات البركانية
والعمليات الطبيعية الأخرى هى التى تغير من تضاريس الأرض عبر
الزمن ، وبهذا أثار هاتون دون قصد جدالا مع رجال الكنيسة فى ذلك
الوقت لأن نظريته الجيولوجية التى أكدت بأن الجبال زائلة أعطت انطبعا
بخطأ الانجيل لأن هذا التفكير العلمى الجديد يختلف عن صورة الجبال الباقية
والتلال الخالدة الواردة فى الطقوس والتعاليم الدينية للكنيسة (كما أن
هاتون اعترض على تقدير كاتب الانجيل الذى أعطى تواريخ تشير الى
نشأة الأرض عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد بينما عمر الأرض فى الحقيقة أقدم
من ذلك بكثير ، وهاجم هاتون أيضا قصة خلق الأرض فى ستة أيام كما
وردت فى التوراة) •

وهذا التناقض بين الانجيل والتوراة والعلم هو موضوع رئيسى فى
كتاب الدكتور موريس بوكاى (١٩٨٧) •

ولقد برهنت الأبحاث العلمية الحديثة صحة توقعات هاتون ،
فالصخور ما هى إلا مستندات ووثائق لعلم الجيولوجيا الجديد حيث
تعتمد الحقائق والمبادئ والتعليقات المستنتجة فى هذا العلم على الملاحظة
الدقيقة للصخور لأنها فقط هى التى تحتفظ بآثار القوى والعمليات التى
شكلت قشرة الأرض • ولقد تبين علميا أن الصخور ليست دائمة بل
تتحول مع مرور الزمن من نوع لآخر • ودورة الصخور معروفة لدى
علماء الجيولوجيا حيث تتحول الصخور النارية (المتبلدة من المواد
المتلتهبة المعروفة باللافا والمقدوفة من البراكين) الى صخور رسوبية

بواسطة عوامل التعرية والنقل والترسيب ، وكذلك تتحول الصخور الرسوبية الى صخور متحولة (ميتامورفيك) أثناء تكوين الجبال حيث تندثر الصخور الرسوبية تحت الأرض ، وقد ترتفع حرارتها الى درجة الانصهار فتتحول الى صخور نارية . وتعرض الصخور أيضا لتفاعلات كيميائية تتم تحت ظروف مختلفة من الضغط ودرجة الحرارة علاوة على تأثير الرطوبة والهواء مما يغير من شكل وطبيعة الصخور .

لقد كشف علم الجيولوجيا حديثا عن الحقيقة العلمية التي تؤكد التغير المستمر لما يبدو لنا ثابتا وخالدا كالصخور والجبال ، وهذا التغير قد يحدث تدريجيا عبر ملايين السنين وقد يحدث فجائيا كما هو الحال في حوادث الكوارث الطبيعية مثل زلزال ألاسكا عام ١٩٦٤ م الذي هز جبلا عاليا هزا عنيفا لدرجة أن جزءا كبيرا من قمة هذا الجبل تحطم ، وتحرك الحطام بالسقوط والتدحرج نحو الوادي . وتشير الزلازل الصخور المحطمة بانهيار الأرض كما حدث في مونتانا عام ١٩٥٩م حيث انزلقت خلال دقائق كمية هائلة من حطام الصخور تقدر بحوالي ٣٥ مليون ياردة مكعبة من منحدر منبع نهر ماديسون وهدمت بذلك مساحة ضخمة من مجرى للنهر بارتفاع يصل من ١٠٠ الى ٢٠٠ قدم وتكونت عند منبع النهر بحيرة بطول قدره ٦ أميال وعمق ١٧٥ قدما في المكان الذي انحدر منه الحطام .

وهنا يجب علينا أن نتذكر حقيقتين أساسيتين :

١ - قد تكون الزلازل عقابا لهما وقد روى لنا التاريخ الديني مثل هذا العقاب فهل يتذكر البشر هذه الحقيقة في كل جيل ؟ ويحسدنا الله بقوله تعالى في القرآن الكريم :

« أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دهر الله عليهم وللكافرين أمثالها » .
(مائدة : ١٠)

٢ - الجبال ليست دائمة أو خالدة لأن الصخور تتحطم وتتآكل بمرور الزمن نتيجة عوامل التعرية ، ويتحرك حطام الصخور من جبال مرتفعة الى وديان منخفضة بمساعدة المياه الجارية والرياح الشديدة ، وقد يكون الانتشار على هيئة رواسب في البحر مصيرا نهائيا لهذه الصخور المتهشمة لتتكون بذلك فيما بعد جبال رسوبية جديدة ، وهكذا يتشكل سطح الأرض باستمرار الى جبال أو وديان أو تضاريس مختلفة بالتأثير المشترك للطقس وعوامل التعرية . وهذا التغير المستمر ينقل حطام

الصخور لصالح البشر حيث تتكون التربة الصالحة للزراعة بسبب وجود الرواسب المعدنية فى الطمي وحطام الصخور الذى ينتقل بصفة مستمرة ليغضى التربة .

أن كل ظواهر التعرية تتم بتقدير الهى ينظم كل شىء فى ترتيب متقن محكم ، وبذلك فاننا نستطيع على ضوء التغييرات البطيئة والمفاجئة للجبال فهم معنى الآية الكريمة :

« وترى الجبال تحسبها جامدة • وهى تهر من السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء » •

(النمل : ٨٨)

حقا ان الجبال ليست ساكنة أو دائمة ولكنها تمن من السحاب ، فالجبال تتشكل وتزول تدريجيا عبر ملايين السنين ، أو تزول بصورة مفاجئة كما فى حالة الكوارث الطبيعية ، وبهذا يوضح القرآن لنا فى أسلوب رائع حقائق علمية فى عالمنا الفيزيائى .

(ب) حركة الأرض :

هناك تفسير منطقي آخر للآية السابقة (النمل : ٨٨) يشير الى أن حركة الجبال دليل على حركة الأرض ، فالآية تنص على أن الجبال ليست ساكنة ولكنها تمر من السحاب ، وحيث أن السحاب محمول بواسطة هواء ديناميكي متحرك (الرياح) فان الجبال لابد وأن تكون محمولة على كوكب متحرك طبقا للتشبيه البليغ فى الآية الكريمة السابقة • وبهذا فان القرآن يجذب انتباهنا الى تحرك الأرض كحقيقة لم يتم التعرف عليها الا فى العصر الحديث ، ولم يلاحظ المفسرون القدماء هذا المعنى العلمى للآية ، وليس هذا عجيبا فلقد ساد الاعتقاد بعدم تحرك الأرض لأن الاحساس العام والخبرة الشخصية والملاحظات الظاهرية للقبة السماوية تعطى انطباعا خاطئا بأن الأرض ساكنة فى مركز هذا الكون ! ، وأن الشمس والقمر والكواكب المرئية أجرام صغيرة ظاهريا تبدو وكأنها تدور حول الأرض ! ، وأن النجوم ما هى الا نقط مضيئة فى قبة كروية سماوية تدور أيضا حول الأرض ! ، وظل هذا الفكر الخاطيء المعتمد على مركزية الأرض سائدا منذ بطليموس فى القرن الثانى الميلادى حتى جاء كوبرنيكس فى القرن السادس عشر وأعلن نظريته الجديدة المعتمدة على مركزية الشمس والتي تمثل حقيقة المجموعة الشمسية التى تقبلها اليوم ، وهذه الحقيقة أثبتت أن الأرض وباقي كواكب المجموعة تدور فى مداراتها حول الشمس ، وبذلك انتصر العلم على الاحساس القديم ،

ولكنه اصطدم مع رجال الكنيسة الكاثوليكية ، فلقد حوكم جاليليو أمام الكنيسة بتهمة الكفر لأنه أيد نظرية كوبرنيكس وأعلن أن الأرض ليست ثابتة وليست مركز الكون ، وبصرف النظر عن رأى الكنيسة واضطهادها للعلماء فإن موضوع تحركات الأرض تمت معالجته لأول مرة من خلال التصور العلمي الدقيق المعلن في القرن السادس عشر ، أى بعد نزول القرآن بحوالى ألف سنة ! فكيف لا ننبهر ونعبر عن الدهشة عندما نلاحظ بأن القرآن لم يدافع عن النظرية الخاطئة لبطليموس (، والتي كانت سائدة في ذلك الوقت) بل على العكس أشار بصراحة الى حركة الأرض (أنظر فصل ١ - (١) ؟

ومع تطور العلم أمكن حديثا اثبات دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ، فالأرض تدور حول محورها المار بقطبيها الشمالي والجنوبي وهددة الدورة الواحدة هي الآن حوالى ٢٤ ساعة وبهذا فإن أى نقطة على سطح الأرض عند خط الاستواء تدور بسرعة ١٦٠٠ كم/ساعة ، كما أن الأرض تدور في مدارها حول الشمس وعلى مسافة قدرها ١٤٩ مليون كياو متر من الشمس مرة كل ٣٦٥ يوم ، وبهذا يمكن حساب سرعة جريان الأرض في هذا المدار حول الشمس بمقدار ١٠٦٠٠٠ كم/ساعة أى ٦٦٠٠٠ ميل/ساعة .

حقا إن كل شئ على سطح الأرض يتحرك معها ، فالهواء والماء والمباني والبشر والجبال ٠٠٠٠٠ كلها تجرى بجريان الأرض ! ، ورغم أن السرعة تفوق كما ذكرنا ١٦٠٠٠ كم/ساعة عند خط الاستواء نتيجة الدوران المغزلى للأرض ، وتصل الى ١٠٦٠٠٠ كم/ساعة نتيجة الدوران حول الشمس ، فإننا لا نشعر مطلقا بهذه الحركة ولا نستطيع الكشف عنها مباشرة .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ » .

(النمل : ٨٨)

حقا إن الأرض تتحرك

ولقد اكتشف العلم أيضا حركات أخرى للأرض فهناك حركة ثباتدور محور الأرض بمعدل مرة كل ٢٦٠٠٠ سنة ، وكذلك حركة الأرض وهى تابعة للشمس أثناء جرياتها حول مركز مجرة سنكة الثبانية فى فلك دائرى

مرة كل ٢٥٠ مليون سنة ، وهذه الحركة تعطي للشمس سرعة قدرها ٤٩٧٠٠٠ ميل/ساعة .

ولقد أشار القرآن الكريم لحركة الشمس في فلکها هذا بقوله تعالى:

« وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلک يسبحون » .

(الانبياء : ٣٣)

وبالإضافة الى حركة الشمس فى فلکها فانها تجرى فى الفضاء بسرعة ٤٣٠٠٠٠ ميل/ساعة نحو نقطة قريبة من المكان الحالى لنجم فيجا ، هذه الحركة قد يشار اليها بصفة عامة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »

(يس : ٣٨)

وسوف نعود لمناقشة هاتين الآيتين فى فصل (٥ - ٢) ولكننا هنا نريد التأكيد على أنه طبقاً لحركة الشمس ، فان كواكبها بما فيها الأرض تتحرك معها . وبهذا فان أى شىء على سطح الأرض يتحرك فى الواقع أربع حركات مركبة هامة فى الفضاء رغم السكون الظاهرى ونستطيع الآن ادراك قوله تعالى فى وصف الجبال بأنها تمر مر السحاب رغم أنها تبدو ساكنة جامدة .

(ج) تحركات القشرة الأرضية (اذاحة القارات)

يمكن تفسير حركة الجبال المذكورة فى الآية القرآنية (النمل : ٨٨) اذا أخذنا أيضاً فى اعتبارنا تحركات القشرة الأرضية من وجهة نظر العلم الحديث ، والذى أوضح فى العشرين سنة الأخيرة بأن سطح الأرض يتكون فى الداخل من طبقتين : طبقة الليثوسفير الذى يبدأ من القشرة الصلبة الخارجية الى الجزء العلوى من الرداء بسماك متوسط قدره ٦٠ ميلاً تحت سطح الأرض ، وهذا الليثوسفير يبدو كوحدة صلبة تطفو فوق الطبقة الثانية البلاستيكية التى تقترب صخورها من درجة الانصهار وتدعى الأينوسفير .

وبذلك نستطيع أن نتخيل القارات بجبالها وكأنها ركاب مسافرون

على ظهر الواح ضخمة هائلة سمكها ٦٠ ميلا تسمى الليثوسفير تنزلق أو تتحرك ببطء على طبقة الأثينوسفير فى ما يسمى بازاحة القارات .

وطبقا للمناقشة السابقة يتضح أننا تناولنا ثلاثة مفاهيم علمية وهى : التعرية وحركة الأرض وحركة القشرة كتفسير حديث للآية القرآنية (النمل : ٨٨) التى تقرر أن الجبال ليست ساكنة أو دائمة . ولقد اعتقد المفسرون القدماء أن هذه الآية تعبر عن أحداث القيامة حيث تزول الجبال وكأنها لم تكن تماما كالسحاب الذى يتشكل ثم يختفى ، وبهذا فإن مصير الجبال يوم القيامة يعطى الانطباع بأن الأشياء مهما عظمت وارتفع شأنها وتأسس بنيانها فانها جميعا الى زوال وتصبح فى النهاية خيالا يزول أمام الحقيقة الالهية . ومن هنا فإن المعنى الذى أخذ به المفسرون القدماء قد تم تصحيحه من خلال العلم الحديث ليشير الى أحداث فى عالمنا الدنيوى مبينا صنع الله الذى أتقن كل شئ .

٦ - أصل وعمر الجبال :

الجبال كتل جبارة تبرز بوضوح فوق سطح الأرض . وتعتبر تحركات القشرة والنشاط البركانى وتصادم ألواح الليثوسفير والتعرية الجزئية كلها عوامل هامة فى تكوين الجبال ، ومن العسير أن نحدد الاجابة على سؤال يبدو سهلا وهو :

« كم عمر هذا الجبل ؟ فقد نقوم بتعيين عمر الصخور التى تكون هذا الجبل ، وهذا يعطينا جوابا واحدا لجميع الجبال الا وهو عمر الأرض . ولكن الجبال الحالية مثلا لم تتكون مع نشأة صخورها على الأرض ، لأن عمر هذه الجبال يعود فقط الى زمن حدوث الانثناءات والالتواءات وقوى الرفع ، ولهذا فإن النتيجة المطلوبة سوف تكون عمرا آخر غير عمر الأرض ، فالجبال قد تكونت على مراحل بدأت فى الماضى بعوامل تعرية وترسبات سبقت تكوين الجبال ، وبهذا فإن الجواب المتكامل لعمر أى جبل يجب أن يشمل هذه الاحتمالات .

ولقد دلت الدراسة الجيولوجية بأن الطور الابتدائى فى نمو معظم الجبال هو تكوين أحواض رسوبية على هيئة مناطق ممتدة منخفضة لتجميع الرواسب عبر أحقاب زمنية طويلة ، وربما يكون هذا الترسيب سببا فى أن معظم سلاسل الجبال الضخمة الحالية قد نشأت فى مناطق كانت فى الماضى قيعانا لبحار قديمة تم فيها تراكم الرواسب لسمك بلغ عدة أميال أو أكثر فى عملية هائلة تمثل أحد الأسرار الكبيرة فى علم

الجيولوجيا ! . فلقد تراكمت أيضا في هذه الأحواض كميات هائلة من اللافا المنطلقة من البراكين مرات متتالية وتراكمت أيضا صخور جرانيتية وبازلتية ضخمة وصخور متحولة بكميات هائلة في هذه الأحواض الرسوبية ، ثم انضغطت هذه الأحواض في فترة معينة من طرفيها بقوة هائلة أدت الى بروز هذه الصخور فوق السطح ، والتي كانت سابقا مدفونة في الأعماق ، وبذلك رفعت الصخور بقوة جبارة أزاحت الستار عنها وأصبحت جبلا شاهقة تدعونا للبحث والتأمل . ولقد تم التعرف على هذه الظواهر علميا ولوحظ تكرارها من جبل الى آخر رغم اختلاف التفاصيل بحيث أن عملية الترسيب وتتابع الحوادث صفات مشتركة واضحة في معظم الجبال . وطبقا لتحرك ألواح القشرة الأرضية فان التتابع الزمني لهذه الحوادث قد يتم في منطقة تصادم أو التقاء هذه الألواح المعروفة بالليثوسفير ، وهذه النظرية بالاضافة الى تكون أحواض الترسيب وظاهرة مد قيعان البحار قد تساعدنا في تفسير الآيات القرآنية التي نصف عملية مد أو امتداد الأرض قبل عملية ارساء الجبال الرواسي (الرواسي في اللغة العربية أجسام طافية مثبته مثل السفن المرتبطة بالشاطئ مما قد يعطى مفهوم الجبال الرسوبية وأحواض الترسيب) .

ويذكر القرآن الكريم عملية مد الأرض في ثلاث آيات مختلفة مما قد يشير الى ثلاث فترات جيولوجية لارساء الجبال لأن كل آية تتحدث فيما يبدو عن فترة جيولوجية معينة من فترات الخلق . وهذه الفترات الثلاث يمكن ترتيبها زمنيا من الأقدم الى الأحدث طبقا لترتيب الوصف القرآني كما يلي :

« ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين ، وحفظناها من كل شيطان رجيم ، الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » .

(الحجر : ١٦ - ١٩)

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » .

(ق : ٦ - ٧)

« الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسهي

يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلفظ بلقاء ربكم توقنون ، وهو
الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون » .

(الرعد : ٢ - ٣)

وهذه الآيات تبين أن الله هو القوة المطلقة التي تخلق كل شيء ،
وتمنح الوجود والحياة وتحافظ على استمرار الكون من خلال قوانين
وضعتها الله للتنظيم والتحكم الشامل . كما أن هذه الآيات بعباراتها
الجميلة تدعونا للتفكير والتأمل في أسرار وروعة السماوات بما فيها من
نجوم لا تحصى ولا تعد كمصادر للضوء المنبعث ذاتيا وكواكب وأقمار
كمصادر للضوء المنعكس وكمثال لقوانين الحركة والنظام والتماثل وغير
ذلك من ظواهر كونية تخضع دون خطأ لقوانين رياضية ذات تصميم
الهي . حقا ان الصدفة العمياء لا تستطيع أن تؤلف هذه القوانين بهذا
النظام والتماثل . وليس أمامنا نحن البشر الا الاعتراف بوجود الله
الخالق المنظم سبحانه وتعالى .

وبالإضافة الى المعاني العامة السابقة فان هذه الآيات الثلاثة تبين
عملية معينة مشتركة وأساسية تم فيها مد الأرض قبل انشاء الجبال مما
قد يشير الى عمليات الترسيب التي تتراكم فيها الرواسب في البحار
مؤدية الى زيادة مساحة اليابسة أي مد الأرض ، ولكن لماذا وصف الله
هذه العملية ثلاث مرات في ثلاث آيات مختلفة ؟ ربما يشير هذا الوصف
المتتالي الى تعاقب زمني لثلاث ثورات جيولوجية تبين تطور شكل سطح
الأرض بواسطة ثلاثة التواءات متتابعة حدثت في عصور مختلفة من
تاريخ الأرض . وبالرجوع الى هذه الآيات القرآنية نلاحظ ما يلي :

١ - الآية الأولى (الحجر : ١٦ - ١٩) تتناول الخلق الأول للجبال
على كوكب الأرض وتزين السماء بالبروج ، وبهذا فان الجبال المذكورة
هنا قد تمثل أقدم الجبال ربما في فترة التواءات ما قبل الكمبري (منذ
فترة تتراوح بين ٥٧٠ مليون الى ٤٥٠٠ مليون سنة) .

٢ - الآية الثانية (ق : ٦ - ٧) تشير الى مد الأرض والقاء الرواسي
بعد فترة غير محددة من تمام بناء السماء وتزيينها كما هو واضح من
سياق الآية ، وبهذا فمن الجائز أن يكون المقصود هنا فترة الالتواءات
الكاليدونية والهرسينية (منذ ٢٥٠ مليون الى ٤٠٠ مليون سنة) . كما
أن النباتات بأزواجها البهيجة المختلفة الأنواع المذكورة في هذه الآية قد
تشير الى صحة هذا الافتراض .

٣ - الآية الثالثة (الرعد ٢ - ٣) قد تشير الى الجبال الحديثة ربما في فترة التواءات الألب والهمالايا (منذ ٦٥ مليون سنة) لأن تعبير الأنهار والثمار من كل نوع يعطى انطبعا بالتضاريس الحديثة للأرض ، وعلاوة على ذلك فإن التعبير القرآني يثنى الليل النهار المذكور هنا بدون وصف حال الاغشاء بعبارة « يطلبه حثيثا » المذكورة في آية أخرى (الأعراف : ٥٤) يبين لنا أن دوران الأرض حول نفسها في المراحل المبكرة للخلق كان سريعا وأما الآن فقد أصبح بطيئا عن ذي قبل وبالتالي فإن الجبال المذكورة هنا جبال حديثه (أنظر فصل ٤ - ١) .

وبهذا نرى أن القرآن الكريم يشير الى جبال ذات أعمار مختلفة قد تنطبق على فترات الالتواءات الثلاثة التي تم التعرف عليها في العلم الحديث وبهذا يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى حريص على توضيح آياته في الطبيعة بأسلوب رائع واعجاز علمي بالغ . ولقد أمرنا الله بالنظر في هذا الكون الذي يحتوي على آيات وعلامات لمن يريد أن يعتبر ، وإذا تمعن الانسان في آيات القرآن فلن يساوره أدنى شك في عظمة وصدق كلام الله . يقول سبحانه وتعالى في وصف القرآن :

« لو أنزلنا هذه القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون »

(الحشر : ٢١)

وهنا يؤكد القرآن أن الجبال رغم ارتفاعها وصلابة صخورها وشموخها ، فإن الوحي الالهي أعلى سموا لدرجة أن الجبال نفسها تخر تواضعا أمام هذا القرآن . فهل تصل كبرياء الانسان وعجرفته الى درجة العناد والترفع على هذا الوحي العظيم ! أو أن يصبح قلب الانسان من القساوة لدرجة عدم التأثر بهذه الرسالة القرآنية القوية الخالدة ؟ والجواب هنا طبعا بالنفي بالنسبة للانسان المؤمن أما بالنسبة للكفار فهم بانغماسهم في الخطيئة ينكرون الرسالة لأنهم أحقر المخلوقات .

أرجو أن تدرك عزيزي القارئ هذا المثل القرآني المذكور في الآية السابقة فالأمثلة القرآنية تبدو بسيطة ولكن معناها العميق يدركه الباحثون عن المعرفة وهذا الإدراك يتم بتوفيق الله وهدايشه . يقول سبحانه :

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون »

(التنبؤات : ٤٣)

١ - ٣ الزلازل

الزلازل تعكس آثار القوى المختزنة في باطن الأرض والتي قد تغلق القشرة الأرضية وتشوه من تضاريسها . ولقد أثارت الزلازل الرعب للإنسان عبر آلاف السنين . وكلمة زلزال تثير عند الكثيرين صورة الموت والدمار . وعندما يحدث الزلزال العنيف تتسابق أمواج المحيط وتغطي المياه المناطق الساحلية ، وتهتز المباني وقد تنهار وتندثر القرى نتيجة انهيار الأرض وتشقق التربة وتندفق المياه الجوفية وتجف الينابيع والأنهار .

وتحدث الزلازل عندما تصدر فجأة مجموعة من الأمواج المرنة من منطقة مثارة في قشرة الأرض أو رداؤها . وتتجه هذه الأمواج الى الخارج في جميع الاتجاهات مسببة الهزة الأرضية . وتتحرك بذلك الطاقة المختزنة في باطن الأرض عبر السنين بصورة فجائية ويتسرب جزء من هذه الطاقة في الداخل بينما يتجه الجزء الآخر الى قشرة الأرض حول سطحها . وتمر الموجات الناتجة في مكان ما محدثة اهتزاز وارتعاش الأرض في زلزال مفاجيء ، وتسجل المراصد أكثر من مليون زلزال في العام ، ولكننا نشعر فقط بحوالي ٧٠٠ زلزال بعضها يكون شديدا لدرجة احداث خسائر ملحوظة في أماكن وقوعها . ولقد أصبحت دراسة الزلازل علما يدعى سايزمولوجي . وتدل الأبحاث الحديثة أن معظم الزلازل الشديدة تحدث نتيجة مرور مجموعة من الأمواج المرنة (المتولدة نتيجة انزلاق سريع بين طبقتي القشرة والرداء) عبر الطبقات السطحية المتصدعة . وقد يتسبب الطفح البركاني وازاحة الماجما تحت القشرة في تولد بعض الزلازل الضعيفة نسبيا . وقد تحدث حركة بطيئة في القشرة في اتجاهين متضادين على جانبي المنطقة المجهد خلال السنوات التي تسبق الزلزال فتؤدي الى انحناء الصخور تدريجيا حتى تصل الى حد المرونة فتنكسر ويحدث الزلزال بهذا التمزق الفجائي وتعود الصخور الملتوية الى حالتها الأصلية فجأة وبصوت شديد لتتحرك الطاقة المختزنة

فيها عبر السنين . ومعظم الزلازل المؤدية للشروخ في القشرة تحدث تحت المحيطات . كما أن الزلازل تنبعث عادة من مراكز داخل القشرة الخارجية في حدود سمك ٥٥ كيلو متر ، ولكن بعض الزلازل تنشأ في مراكز عميقة تصل الى ٧٠٠ كم تحت سطح الأرض عبر مناطق تجمع لوحين من ألواح الليثوسفير وانزلاق أحدهما تحت الآخر .

وتدل الاحصائيات عن مدى الرعب والدمار والكوارث الحادثة في المناطق الآهلة بالسكان عند وقوع الزلازل ، وعلى سبيل المثال فقد تسبب زلزال لشبونة في البرتغال عام ١٧٧٥ م في وفاة ٦٠٠٠٠ شخص واصابة أعداد أخرى لاحصر لها ! . وزلزال طوكيو يوكوهاما عام ١٩٢٣ م الذي أدى الى وفاة أو فقد ١٧٤٨٠٩ واصابة ١٠٣٧٣٣ شخصا وتحطيم ٥٧٦٢٦٢ منزلاً ، ولحسن الحظ فإن معظم الزلازل أقل شدة من هذه الأمثلة وتحدث عادة في مناطق أقل كثافة سكانية وقد تحدث في قاع المحيط .

وتستغرق الهزة الأرضية في معظم الزلازل الشديدة فترة قصيرة بالقياس الى الخسائر الناتجة حيث تتراوح مدة الزلازل ما بين بضع ثواني الى حوالى دقيقة ونصف ، ولهذا فان عنصر المفاجأة وقصر الزمن الذي تستغرقه الهزة الأرضية هما سبب اللغز المحير للانسان بالإضافة الى أنه ليس هناك منطقة ما على سطح الأرض لديها مناعة ضد الزلازل . يقول الله سبحانه وتعالى محذرا الكافرين

« أقامن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون »

(النحل - ٤٥)

« وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين »

(الأنبياء - ١١)

ولنذكر هنا قصة قارون الذي ابتلعه الأرض فجأة وهو في أوج عظمته وكبريائه ، كمثال لنهاية هؤلاء المغرورين بثروتهم المالية أو بتقدمهم العلمى أو بكليهما ، فالثروة والمعرفة والتقدم يجب الا تكون للمزايدة والاستعراض والتفاخر بل يجب أن تهدف أساسا لخدمة البشرية .

يقول الله تعالى (فى وصف هلاك قارون)

« فخشفنا به وبدارم الأرض فما كان له من قوة
ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين »

(القصص : ٨١)

حقا أن عنصر المفاجأة وقصر زمن الزلزال لا يعطى فرصة للانسان للهرب من الكارثة . ولقد أدت الدراسات السيسمولوجية الحديثة للزلازل الى الاستنتاج بأن باطن الأرض يحتوى فى المركز على حديد فى حالة صلابة رغم درجة الحرارة العالية (٤٠٠٠ م) وذلك لارتفاع الضغط . ويوجد حول الحديد الصلب طبقة أخرى سميكة من الحديد السائل تليها طبقة سميكة من صخور كثيفة لينة تدعى الغلاف أو الرداء تليها طبقة سطحية صخرية رقيقة نسبيا تدعى التشرة ، وهى الطبقة التى نعيش عليها وبهذا فان الطبقات الداخلية للأرض أكبر كثافة من الطبقات السطحية الخارجية ، وهذه الحقيقة ربما تشير الى معنى الآية القرآنية التالية :

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »

(الحديد : ٢٥)

والبأس الشديد هنا قد يشير الى :

(أ) الخواص المغناطيسية القوية للحديد .

(ب) استخدام الحديد فى الأغراض العسكرية .

(ج) أهمية الطبقات الداخلية لباطن الأرض (الحديد السائل)

كما يقرر الخبراء الدارسون لهذا الكوكب . ويفترض أن الطبقات السفلى من هذا الحديد السائل أعلى حرارة من الطبقات العليا مما يؤدي الى حدوث تيارات حمل فى اتجاه رأسى ، وتؤدي هذه التيارات مع دوران الأرض حول محورها الى توليد الطاقة اللازمة لانتاج التيار الكهربى فى باطن الأرض الذى يولد بدوره مجالا مغناطيسيا قويا لكوكب الأرض . وهذا المجال يمكن اعتباره قوة أى بأس شديد .

(د) الحديد أيضا مصدر قوة ورخاء الأمم الصناعية الحديثة علاوة

على أهميته فى تركيب الدم .

وبالرجوع للآية القرآنية السابقة فإن الفعل « أنزلنا » قد يشير الى إحدى الحقيقتين التاليتين :

١ - من المعروف علميا أن النجوم تولد الضوء فى هذا الكون

وعلاوة على ذلك فإنها مسخرة في غرض آخر بالغ الأهمية لنا نحن البشر،
فهي تمدنا بأنواع من العناصر المختلفة التي تيسر لنا سبل الحياة على
الأرض ، ولتوضيح ذلك لابد أن تعلم أن الحديد الذي نستفيد منه اليوم
في أغراض متنوعة كان قد تم طبيعته في الماضي في باطن نجم معين في
درجة حرارة تصل الى آلاف الملايين من الدرجات ثم قذف به عند انفجار
النجم (سوبر نوبا) ونزل الحديد بذلك الى الأرض .

٢ - ان القياسات السيسمولوجية في القرن العشرين تقرر بأن
قلب الأرض ربما يتركب من الحديد والنيكل فكثافة الأرض في المتوسط
٥٥ جم/سم^٣ وهذه القيمة أكبر من كثافة الصخور السطحية مما يؤكد
وجود أثقال في باطن الأرض ، وهذا قد يفسر لنا عبارة « وأنزلنا الحديد ،
في الآيه السابقة كما قد يشير الى الأثقال المذكورة في الآيه القرآنية
التي تصف الزلزال النهائي العظيم يوم القيامة :

« اذا زلزلت الأرض زلزالها واخرجت الأرض أثقالها »

(الزلزلة : ١ - ٢)

والزلزال العادى ظاهرة مرعبة بالنسبة للانسان نظرا لمفاجأة
الحدث ، وسر منبع الزلزال وقدرته على تحطيم وانهيار المباني الضخمة
القوية ، وانطلاق المواد الغريبة أحيانا من أحشاء الأرض . فما بالك
بالحدث المروع الشامل الذي سيهز كل الأرض في يوم الحساب ؟ ذلك
الزلزال العظيم الذي سيكون أكبر وأشمل من أى زلزال نعرفه فالزلازل
الحالية تعطينا صورة مصغرة جدا لتذكر زلزال القيامة العظيم الذي
سيخرج أثقال الأرض من أعماق باطنها وليس فقط من قشرتها . ان
الزلازل الحالية ماهي الا انذار للبشرية وتذكرة بيوم القيامة ، فالأموات
الذين دفنوا في الأرض وطواهم النسيان سوف يبعثون ويحاسبون
بالعدل الالهى في ضوء الحقيقة المطلقة ، وبذلك فان زلزال القيامة سوف
يزيح الستار عن الأسرار المختبئة التي ستخرج في هذا اليوم الى
عالم النور .

حقا ان الزلزال العظيم الذي سيحدث يوم القيامة كمقدمة لانهاية
النظام الحالى على الأرض سوف يكون واحدا من عدة أحداث كونية ستتم
أيضا لتنهى هذا العالم الفيزيائى . يقول الله سبحانه وتعالى فى وصف
احدى الحوادث الكونية يوم القيامة .

« واذا الأرض مدت والقلم ما فيها وتخلت »

(الانشقاق : ٣ - ٤)

وبالإضافة الى التسليم بخشوع كل شيء مخلوق أمام الله ، فان بعض التنبؤات العلمية تقرر أن قوة الجاذبية سوف تنقص مع الزمن كما جاء في اقتراح ديراك ونظريات بران وديك وهويل ونارليكار وبالتالي فان الأرض سوف تتمدد وتحدث بذلك شروخ عظيمة بالقشرة الخارجية .
فهل هذا ما تشير اليه هذه الآية القرآنية ؟ الجواب على ذلك فى علم الله لأنه وحده يعلم كل شيء عالم الغيب والشهادة .

وهل بتذكر الانسان يوم القيامة ليبدأ من الآن بتجنب الشيطان ؟ وهل سيظل الانسان مجادلا فى حقيقة الله وفى نبوة محمد ؟ وهل سيستمر الكفار فى انكار القرآن الكريم ؟ وهل سيتعظ البشر من حدوث الزلازل الحالية المفاجئة كاشارة للأخرة ؟

أستمع الى نصيحة الله تعالى فى القرآن الكريم

« يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم»

(الحج : ١)

١ - البحار والمحيطات

تعرف الأرض بتركيب الماء ، وهذا التعريف مناسب جدا لأن منابع الماء المتوفرة في الأرض جعلتها فريدة بين كواكب المجموعة الشمسية .
فالبحار تغطي حوالي ٧١٪ من سطح الأرض ، وتعتبر القارات جزرا ضخمة تطل على محيط جامع شامل .

يقول الله تعالى :

« اخرج منها ماءها ومرعاها »

(النازعات - ٣١)

وبهذا يوضح القرآن في هذه الآية أن الماء نبع من مواد منبعثة من باطن الأرض الأمر الذي يتفق تماما مع العلم الحديث (أنظر فصل ١-٦)

والبحار والمحيطات ، والتي كانت قديما حواجز هائلة تمنع انتقال الانسان بين القارات ، تعتبر الآن وسيلة للمواصلات فلقد اخترع الانسان حديثا سفنا ضخمة كالجبال تطفو فوق سطح البحر مثل البواخر التي تعمل بالبتروول أو الطاقة النووية ، والسفن الشراعية أو البخارية - وكذلك الطائرات التي تسبح في الهواء ، كلها من صنع الانسان الذي وهبه الله الذكاء والعلم وسخر له ما يحتاجه لصنع هذه المخترعات .

يقول الله تعالى :

« وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون*
* وخلقنا لهم من مثله ما يركبون »

(يس : ٤١ - ٤٢)

والوصف القرآني بعبارة « من مثله » يشمل بالتأكيد كل أنواع السفن بل والطائرات الحديثة التي تسبح أيضا في الهواء بدلا من الماء ، كما أن سفن الفضاء تدخل منطقيا ضمن هذه السابحات ، ولقد أشار القرآن الى جميع الوسائل الحديثة في آية أخرى بقوله تعالى :

« والنخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴿٧٠﴾ وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين » .

(النحل : ٨ ، ٩)

وبالنظر لتاريخ تطور وسائل المواصلات نلاحظ تغيرا كبيرا على مر العصور ابتداء من استخدام الحيوانات والسفن الشراعية في وقت نزول القرآن الى استخدام الوسائل الحديثة كالترام والقطار والسيارات والسفن البخارية والطائرات بعد ذلك بأكثر من ألف سنة . وهذه الوسائل لم تكن معروفة للانسان في الماضي كما أننا الآن لا نستطيع تحديد مدى التقدم الذي سنصل اليه في المستقبل . ولقد ساعدنا الله على اكتشاف أشياء كانت مجهولة بالنسبة لأجدادنا وسوف يخلق الله بصفة دائمة من خلال ذكاء الانسان وسائل جديدة ، وبهذا كرم الله الانسان وفضله على سائر المخلوقات ومنحه وسائل المواصلات من مكان الى آخر برا وبحرا (عبر بحار الماء والهواء والفضاء) . يقول تعالى :

« ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

(الاسراء : ٧٠)

فالحمد لله الذي خلق كل هذه الوسائل لخدمتنا . ويجب ان تعلم أن هذه الوسائل الحديثة ليست خالية من الأخطار ، فلولا رحمة الله الذي سخر لنا أشياء رائعة في الطبيعة ، ومنحنا فوائد هذه الأشياء كهبة الهية وأعطانا المهارة والذكاء ، لأصبحت حياتنا في خطر في البر والبحر والهواء والفضاء .

ونحن نتنقل في البحار بفضل الله : فلو قام اعصار أو زوينة عبر المحيط فان هذا سيؤدي الى اتلاف وغرق أى سفينة . كما أن الأمواج الزلزالية البحرية (التي تحدث بسبب الطفح البركاني تحت سطح الماء أو تخلق قاع البحر) تؤدي الى غرق السفن وفي هذه الحالات تزداد

سعة اهتزاز السفينة ذهابا وإيابا وتصبح كأرجوحة الطفل وتندفع بدفعات منتظمة وتفرق • وقد تقوص السفينة بين قمتين متتاليتين لهذه الموجات البالغة الخطورة •

حقا أن رحمة الله فقط هي التي تنقذنا من هذه الكوارث ، ويقول سبحانه في القرآن الكريم :

« وان نشأ نفرقهم فلا صريح لهم ولاهم ينقلون *
الا رحمة منا ومتاعا الى حين »

(يس : ٤٣ - ٤٤)

وما زالت المحيطات والبحار غامضة وتمثل تحديا لقدرات الانسان ورغم ذلك فان فوائدها متعددة في الحرب والسلام • وعلى سبيل المثال فانه بالإضافة الى استخدامها للمواصلات البحرية فانها تمدنا الآن بالماء العذب بعد ازالة الملوحة ، وتستخدم البحار والمحيطات أيضا للتخلص من الفضلات ، وإستغلال طاقة المد ، والحصول على المواد الخام المعدنية ومصادر البروتين الحيواني ، علاوة على الشعور بالارتياح عندما ترى الأمواج وهي تصطدم بالشاطئ في منظر رائع عند غروب الشمس •
ويشير القرآن الكريم الى تسخير البحار بقوله تعالى :

« وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريا
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

(النحل : ١٤)

وهنا نستعرض فوائد بحرية بالغة الأهمية مثل الغذاء الذي يشمل اللحم اللذيذ للأسماك والحيوانات البحرية متعددة الأنواع • ولقد اكتشف العلماء كائنات البلاكتون التي تكون معظم المواد العضوية في المحيطات ، والبلاكتون كائنات دقيقة لا ترى بالعين المجردة غالباً ، وتشمل النوع الحيواني والنوع النباتي المسمى بحشيش البحر الذي يمثل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة المصدر الغذائي لجميع الحيوانات البحرية وبهذا يعتبر البلاكتون الجزء الهام في دورة حيوية متصلة لمصادر الغذاء في مياه المحيطات • أن أكثر من نصف البشرية من الرجال والنساء والأطفال ليس لديهم اليوم ما يكفي لغذائهم وينقصهم البروتين بصفة مؤكدة ، ولكن المحيطات بها غذاء بروتيني بكمية أكثر من المستخرج حالياً وتعتبر المصدر الرئيسي للبروتين لكل البشرية في المستقبل •

القرآن الكريم ٨٧

حقا لقد وهبنا الله خيرات كثيرة في كوكب الأرض ، وقدر كل شيء
تقديرا حكيما لتوزيع الاقوات والأرزاق في تكامل تام . و طبقا لاحتياج
المخلوقات التي تبحث عن مقومات حياتها .

وتشير الآية القرآنية السابقة أيضا الى استخراج الزينة من البحار
مثل كنوز اللؤلؤ والمرجان والكهرمان وغير ذلك من الأحجار الكريمة .
ولقد ثبت علميا أن جميع العناصر والمركبات الشائعة في الأرض موجودة
في مياه البحار والمحيطات ، ورغم أن هذه العناصر مذابة بتركيز ضئيل
الا أن مجموع كمياتها في مياه المحيطات يكون كبيرا نظرا للحجم الهائل
لهذه المياه الذي يبلغ ٣٣٠ مليون ميل مكعب . وعلى سبيل المثال فان
عنصر الذهب موجود بتركيز أربعة أجزاء لكل مائة بليون جزء من ماء
البحر ، ورغم ضآلة هذا التركيز فان مجموع كتلة الذهب في مياه البحار
والمحيطات يصل الى ١٦ بليون باوند أي ما يعادل ٤ باوند لكل رطل
أو امرأة أو طفل يعيش اليوم على سطح الأرض . ومياه البحار والمحيطات
مالحة ، فلو قمنا بتبخير ١٠٠٠ باوند من ماء البحر فاننا نحصل على
٢٥ باوند من الأملاح المتبقية التي كانت ذائبة من قبل في هذا الماء
المتبخر والتي تمثل ما يسمى بملوحة البحر ، وتحتوي على أربعة أيونات
رئيسية تمثل ٩٧٪ من المواد المذابة وهي أيونات الكلور والصوديوم
والكبريتات والماغنسيوم بنسبة ٥٥ ، ٣٠٦ ، ٧٧ ، ٣٧ في المائة على
الترتيب . وهذه مواد حيوية ضرورية تدل مع الخيرات السابقة على فضل
الله وكرمه وعلاوة على ذلك فان المياه المالحة التي تغطي حوالي ٧١٪ من
سطح الأرض تعتبر عاملا من عوامل التطهير والتعقيم ، وهذا كله قليل
من كثير من النعم الالهية التي لا يمكن حصرها .

وهناك ظاهرة هامة مذكورة في القرآن في ثلاث آيات تشير مباشرة
الى خاصية مميزة للأنهار عندما تصب في البحار حيث يلتقي الماء العذب
بالماء المالح وبينها حد فاصل (برزخ) يمكن تمييزه ومشاهدته . وهذا
البرزخ يصفه القرآن الكريم كما يلي :

« وهو الذي فرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح
أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا »

(الفرقان : ٥٣)

« وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه
وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون

حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتفوا من فضله
ولعلكم تشكرون «

(طاهر : ١٢)

« مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ،
فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ،
فبأى آلاء ربكما تكذبان «

(الرحمن : ١٩ - ٢٣)

وهذه الآيات تشير ، بالإضافة الى الحصول على الأسماك وأحجار
الزينة كالمرجان واللؤلؤ الى حقيقة وجود البرزخ (بين ميساه البحار
والأنهار) الذى يفصل الماء العذب عن الماء المالح عند مصبات الأنهار .
وليس هذا قاصرا على نهري دجلة والفرات كما فهم المفسرون القدماء ولكن
الأنهار الكبيرة مثل النيل والمسيبيى ويانجز لها أيضا نفس الصفة
المميزة ، ولتوضيح فكرة البرزخ يمكن اعتبار الماء الموجود على الكرة الأرضية
مكونا من نوعين .

١ - المياه المالحة المتوفرة فى البحار والمحيطات .

٢ - المياه العذبة سواء كانت أنهارا أو بحيرات أو مياه جوفية ،
وكلها ذات مصدر واحد وهو مياه الأمطار ، كما أنها كلها تنصرف فى
النهاية الى مصب واحد فى البحار والمحيطات .

ورغم أن نوعى الماء المالح والعذب يختلطان فى النهاية بسبب الدورة
الهيدرولوجية المنتظمة (فصل ١ - ٥) وجريان الأنهار باستمرار نحو
البحار ، فإن الله قد أقام بينهما حاجزا بحيث يظل نوعا الماء منفصلين
ويمكن التمييز بينهما ، وهذا الحاجز أو البرزخ يرجع الى الظواهر
الفيزيائية التالية :

(أ) ان قوانين الجاذبية تمثل حاجزا هيا ، لأن مستوى مياه البحر
هو دائما أقل مستوى فى الأرض يمكن أن تنساب نحوه الأنهار التى تكون
عادة أعلى من مستوى سطح البحر بمقدار تنازلى من المنبع الى المصب مما
يؤدى الى وجود ميل انحدارى طبيعى يجعل انسياب الماء العذب نحو البحر
بالجاذبية أمرا حتميا ، وكان الجاذبية حاجز طبيعى يمنع انسياب الماء
فى الاتجاه المضاد .

(ب) لتنتقل الرواسب الضخمة الخشنة من الجزء الجبلى من منبع
النهر بفضل الانحدار العالى الكافى لجعل الماء مضطربا بدرجة تؤدى الى

تحريك هذه الرواسب التي يقل حجمها تدريجياً قرب المصب حيث ينقص الاحتكاك وتزداد سرعة المياه رغم نقص الانحدار وازدياد العمق كلما اقتربنا نحو المصب ، وبهذا تندفع مياه الأنهار بشدة نحو البحار ، وبذلك تظل المياه العذبة مميزة لمسافة طويلة كما نعلم عند مصباتها ، كما أن المياه المالحة في البحار لا تستطيع أن تتحدى قوانين الجاذبية التي تمنعها من التدفق من المستوى الأدنى للبحار الى المستوى الأعلى للأنهار .

وبذلك تظل الأنهار عذبة ، وتظل البحار مالحة ، وبينهما البرزخ الناشئ أساساً عن الجاذبية ، مع الأخذ في الاعتبار بأن تبخير مياه البحر بواسطة الشمس في الدورة الهيدرولوجية يحافظ دائماً على ثبوت درجة الموجة لمياه البحار (تقريباً) بسبب الانتقال اللانهائي المستمر لبخار الماء بين البحر والهواء واليابسة .

حقاً ان البرزخ المذكور في الآيات القرآنية السابقة نعمة من نعم الله ، وظاهرة تتخضع لقوانين الله في الجاذبية والدورة الهيدرولوجية والتوتر السطحي للماء . فكيف تنكر أيها الانسان أفضل وخيرات ربك الذي سخر كل شيء من أجلك ؟

والعظمة لله وحده الذي تظهر آثاره في القرآن ، وفي خلق الإنسان وفي المعجزات الطبيعية المنتشرة من حولنا ، وهو سبحانه يسألنا في القرآن الكريم .

« أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون »

(التين : ٦١)

وتشير هذه الآية الى النظام والجمال والعظمة في المظاهر الحالية لكوكب الأرض . فهل يرى الانسان كل هذا ويظل رغم ذلك متجاهلاً أو مشركاً بالله ؟ والى أي مدى يكون الانسان ظالماً وغيباً ومزوراً اذا فكر في تعدد الآلهة أو في وجود اله آخر بجانب الإله الواحد ؟

ويحذر الله سبحانه وتعالى الكفار والمشركين بأن قوتهم المؤقتة سوف تزول ، وعندئذ تنتصر الحقيقة الالهية بقوة لا يمكن مقاومتها ، ويذهب الباطل ويختفي تماماً كما تختفي الشواطئ التي تبدو لنا ظاهرياً ثابتة دائماً بينما هي في الواقع تزول وتتبدل كما في قوله تعالى :

« أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها »

(الرعد - ٤١)

هذه الآية الكريمة يمكن شرحها كما يلي :

لقد غمرت ميساه البحر في الماضي معظم الأراضي التي نراها الآن يابسة ، وربما حدث ذلك عدة مرات ، والانخفاض المحلي في جزء من الأرض أو الارتفاع العام بمستوى سطح البحر ، يؤدي عادة الى طقيان مياه المحيطات أو البحار على الأراضي المنخفضة من القارات ، وبلغة الجيولوجيا يمكن القول بأن الشواطئ التي تفصل اليابسة عن البحار تعتبر حدودا مرنة غير ثابتة ، وهذا يحدث أحيانا نتيجة ارتفاع مستوى ماء البحر نظرا لتراكم الرواسب والطفح البركاني في قاع البحر وارتفاع القشرة الأرضية لهذا القاع وانصهار بعض المناطق الجليدية ، وبهذا فان الشواطئ بصفة عامة ماهي الا تضاريس عابرة مؤقتة تتغير مواقعها في الماضي الى حدود جديدة في المستقبل .

ان قصة سيدنا نوح في القرآن تذكرنا بالطوفان الذي وقع كآية خالدة تحذيرا للبشرية ودليلا على انقضاء المؤمنين وهلاك الكافرين ، وهنا نتذكر سيدنا نوح عليه السلام الذي حمل الرسالة الالهية لقومه وأندهم ولكنهم سخروا منه ورفضوا الرسالة باحتقار واهانة ، لذلك صدر الأمر الالهي الى نوح لبناء سفينة لينجو وأصحابه فيها قبل وقوع الطوفان الذي كان عقابا لأهل الخطيئة والذنوب من قوم نوح ، وغرق الكفار ونجا نوح، والذين آمنوا معه كما في الآية القرآنية التالية :

« فكلذوبه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين»

(يونس : ٧٣)

يقرر الدكتور موريس بوكاي* في دراسة مقارنة لروايتي الطوفان في العهد القديم والقرآن ما يلي :

١ - ليس في التوراه رواية واحدة فقط عن الطوفان بل هناك روايتين مكتوبتين في عصور مختلفة وعلاوة على ذلك فان هناك تناقضا صارخا بين الروايتين مما يوضح تلاعب البشر بالتوراه! ورواية الطوفان

(*) د. موريس بوكاي - المرجع السابق - ص ٢٤٤ .

في العهد القديم غير مقبولة في إطارها العام إذا نظرنا إليها من وجهة نظر المعارف الحديثة لسببين :

(أ) يعطى العهد القديم للطوفان طابعا عالميا أى كحدث شمل الكرة الأرضية كلها .

(ب) تحدد الرواية الكهنوتية تاريخا للطوفان في القرن ال ٢١ أو ال ٢٢ قبل ميلاد المسيح .

فكيف يمكن اليوم تصور أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض (باستثناء ركاب سفينة نوح) في القرن ٢١ أو ٢٢ قبل الميلاد علما بأنه في هذا العصر كانت هناك في مناطق متعددة من الأرض حضارات مزدهرة انتقلت آثارها الى الأجيال التالية .

٢ - يقدم القرآن الكريم رواية شاملة مختلفة عن روايات العهد القديم والجديد ولا تثير أى نقد . فعلى الرغم من وصف رواية التوراة لطوفان عالمي لعقاب كل البشرية الكافرة . فإن القرآن الكريم يشير الى طوفان محلي ، والى عقوبات عديدة نزلت على جماعات مختلفة مثل قوم نوح وعاد وثمود في أماكن محددة ، كما يتضح من الآيات القرآنية التالية .

« ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً * فقلنا اذهبوا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً * وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية . واعتدنا للظالمين عذاباً أليماً * وعادا وثموداً وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً * وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتييراً » .

(الفرقان : ٣٥ - ٣٩)

وبهذا يقدم القرآن كارثة الطوفان على أنها عقاب نزل بشكن خاص على قوم نوح وليس على جميع سكان الأرض . وهذا هو الفرق الاساسى الأول بين روايتى القرآن والتوراة .

أما الفرق الجوهرى الثانى فهو أن القرآن على عكس التوراة لا يحدد تاريخا لوقوع الطوفان ولا يعطى أى اشارة عن مدى الكارثة ويصف القرآن الكريم خاتمة الطوفان كما يلى :

« ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر »

(القميسر : ١١ - ١٢)

ويمكن للقارىء الرجوع الى كتاب الدكتور موريس بوكاي لمزيد من التفاصيل عن موضوع الطوفان ، بالاضافة الى موضوع آخر هام يعالج قضية الخروج التى نلخصها فيما يلى :

تتناول التوراة موضوع خروج اليهود من مصر فى رواية تدل على أن فرعون الخرج غرق فى البحر ، ولكن التوراه لا تحدد مصير جسد فرعون بينما يصف القرآن موت فرعون الذى طارد موسى وقومه من مصر كما يلى :

« وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون »

(يونس : ٩٠ - ٩٢)

ان النص القرآنى يقرر هنا بصراحة نجاة جسد فرعون بعد غرقه ، وتلك ملاحظة رئيسية يعلق عليها الدكتور بوكاي قائلا :

« وفى العصر الذى وصل فيه القرآن للناس بواسطة النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، كانت جثث كل الفراعنة مدفونة بمقابر وادى الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية ، وكان كل شئ عن هذه الجثث مجهولا حتى نهاية القرن التاسع عشر حين تم اكتشاف هذه المقابر لأول مرة . وكما ينص القرآن فقد أنقذ بدن فرعون الخروج ، ونعلم الآن أن هذه الجثة موجودة فى قاعة المومياة الملكية فى المتحف المصرى بالقاهرة ، ويستطيع الزوار مشاهدتها » .

ويستطرد الدكتور موريس بوكاي ، الذى فحص بنفسه هذه الجثة كجراح اشترك فى دراسات طبية أجريت عام ١٩٧٥ ، قائلا :

« انها شهادة مادية فى جسد محنط على من عرف موسى وعارض رسالته وطارده فى هروبه أى جسد فرعون الذى غرق أثناء هذه المطاردة ، وأنقذ الله جثته من الهلاك التام ليصبح آية للناس كما هو مكتوب بالنص فى القرآن ، ولذلك فاننى أرجو من المسئولين عن المتحف اتخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على هذه الجثة من التآكل فى المستقبل حتى تتجنب فقدان الشاهد المادى الوحيد الباقى حتى يومنا هذا ، أى الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التى أرادها الله لجسده » .

أى بيان رائع لآيات القرآن عما حدث ليدن فرعون والذي تقدمه
قاعة الموميات الملكية بدار الآثار بالقاهرة لكل من يبحث في معطيات
المكتشفات الحديثة عن أدلة على صحة الكتب المقدسة .

حقا إن الله غفور رحيم يعياده شديد العقاب بالكفار ، كما اتضح
لنا من قصة نوح الذي عمل مخلصا من أجل إبلاغ الرسالة الى قومه
ورغم ذلك عارضوه ورفضوا رسالة الله ، وقصة موسى الذي نصح
فرعون والمصريين ولكن أكثرهم استكبروا وفضلوا الباطل على الحق
الالهى . وهلك قوم نوح فى كارثة الطوفان وهلك فرعون (وجنوده)
رغم اعترافه بالله فى اللحظات الأخيرة عند الغرق ، ولكن هذا الاعتراف
جاء متأخرا بعد أن قضى حياته كلها فى كبرياء وظلم وادعاء للالوهية .

إن هذا القصص القرآنى يهدف لوعظ المعاصرين لسيدنا محمد ومن
بعدهم . وللأسف فإن أعداء الإسلام ينكرون حتى يومنا هذا نبوة محمد
ولهذا ينصح القرآن النبى محمدا بالاستعانة بأوراق اعتماده ذات
المصدر الالهى فى القرآن والسنة كبرهان لاقتناع البشر بصدق نبوته .
يقول الله تعالى .

« ويقول الذين كفروا لست مرسلنا قل كفى بالله شهيدا
بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » .

(الرعد : ٤٣)

حقا لقد اعترف كثير من أهل الكتاب المتفهمين فى الدين بالوحى
الالهى المنزل فى القرآن الكريم ، فلنستمع جميعا الى الدعوة العالمية
لسيدنا محمد الى الحق والنور والهداية فى دعوة الاستسلام لجميع البشر .

١ - ٥ دورة الماء في الطبيعة

• « تصب كل الأنهار في البحار ولكن البحار لا تمتلئ لأن المياه تعود من حيث جاءت لكي تنساب مرة أخرى » .

فهل يقصد كاتب هذه السطور في هذه الطقوص الكنائسية الإشارة الى دورة الماء في الطبيعة ؟ .. أنا لا أعتقد لأن هذه العبارة تختوى على فكرة دورة الماء من المحيط الى الأرض وبالعكس ، والتي يرجع تاريخها الى العصر البابلي عام ٦٥٠ قبل الميلاد على الأقل ، حين اقترح الفيلسوف اليوناني تاليس اندفاع مياه البحر خلال الصخور بواسطة الرياح وصعود هذه المياه بضغط الصخور في الجبال حيث تنشق على هيئة ينابيع تغذي الأنهار التي تعود بدورها لتصب في البحار وهكذا ! ، ولقد أضيف الى هذا الفرض الخاطيء فكرة الممرات تحت الأرضية ، والتصورات الخاطئة عن ازالة الملوحة من المياه ، وضغطها خلال الجبال ، فلقد تخيل أفلاطون عودة المياه الى المحيط عن طريق هوة سحيقة ، كما اعتقد أرسطو بأن بخار الماء من الأرض يتكثف في كهوف الجبال الباردة لتكوين المياه الجوفية التي تغذي الينابيع ، ثم تبعه سينيكا في القرن الأول بعد الميلاد وغيرهم مثل فولجير بمثل هذه الخرافات التي ظلت سائدة حتى مطلع القرن الثامن عشر .

ويرجع أول تعبير واضح وصحيح لدورة الماء في الطبيعة الى برنارد باليسي عام ١٥٨٠ م الذي أعلن أن المياه الجوفية تأتي أصلاً من مياه الأمطار التي تتسرب الى جوف الأرض ، ولقد أيد هذه النظرية كل من ماريوت وبيزولت في القرن السابع عشر الميلادي .

وبالرجوع الى القرآن الكريم ، فاننا لانجد أى خطأ في الآيات القرآنية التي تتعرض لهذا الموضوع رغم الخرافات التي كانت سائدة في عصر النبي محمد عليه الصلاة والسلام . وسوف نلاحظ أن القرآن الكريم يعطى آيات متفقة مع ما يقوله العلم الحديث بخصوص الدورة الهيدرولوجية في الطبيعة ، وعلى سبيل المثال يقول الله تعالى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسيلكته ينابيع
في الأرض »

(الزمر : ٢١)

وهذه الآية الكريمة تعطي بالتأكيد مفهوما علميا مطابقا لما ذكره
برنارد باليسى عن الينابيع ، وبهذا قرر القرآن أن المطر يزود
باستمرار إحدى المصادر الطبيعية الهامة للمياه وهي المياه الجوفية .
وبذلك يلفت القرآن نظرنا الى جزء هام من دورة المياه في الطبيعة ، حيث
يتسرب جزء من مياه الأمطار تحت الأرض في تجاويف ما بين الصخور
والرواسب ، ثم يظهر مرة أخرى فوق الأرض المنخفضة على هيئة ينابيع
أو آبار .

وإذا نظرنا لاقتصاديات المياه الجوفية التي نحصل عليها من
الآبار ، فإنها تشبه رصيدنا في البنك كمحصلة للإيداع والسحب ،
فلو سحبنا على سبيل المثال المياه في البئر بصفة مستمرة ، فإن الرصيد
يتضاءل ويحف البئر لأن الإيداع الجديد لا يأتي إلا عن طريق مياه
الأمطار . وهذه الحقيقة يجعلها كثير من الناس لعدم ادراكهم لدورة
المياه في الطبيعة ولأصل مصدر المياه الجوفية . لهذا يسألنا الله عز وجل
في القرآن الكريم :

« قل أرايتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين »

(الملك : ٣٠)

هذه الآية تبين لنا أننا لا يمكننا أن نعيش بدون الماء وأن تعويض
المستهلك من مياه الآبار لا يأتي إلا عن طريق الأمطار التي يرسلها الله
من السماء .

حقا ان الله هو خالق هذه الحياة التي تعتمد أساسا على الماء ،
وهو سبحانه يمدنا أيضا بوسائل الحياة الروحية التي تغذيها ينابيع
الحكمة الالهية التي تتدفق من السماء في الرسائل السماوية ، وبذلك
يجب أن تعلم أن الله هو المصدر الرئيسي للحياة المادية والروحية ، وعلينا
جميعا أن نحرض على طاعته ، ونطلب عفوه ورحمته ، ونحمده على نعمته .
يقول سبحانه في القرآن الكريم :

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا
فمنه ياكلون* وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا

فيها من العيون * لياكلوا من ثمرة وما عملته ايديهم
افلا يشكرون » .

(يس : ٣٣ - ٣٥)

ان قوى الطبيعة ليست من صنع الانسان ، والدورة الهيدرولوجية للماء هي احدى هذه القوى المسخرة من صنع الله كبرهان ساطع على غنائه سبحانه بجميع المخلوقات .

ذكرنا فيما سبق اهمية المياه الجوفية للآبار والعيون وتغذيتها دائما بماء المطر في اطار الدورة الهيدرولوجية كحقيقة علمية وردت بالقرآن . والآن دعنا نتأمل آيات قرآنية أخرى تتناول موضوع هذه الدورة كما في قوله تعالى :

« وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا »

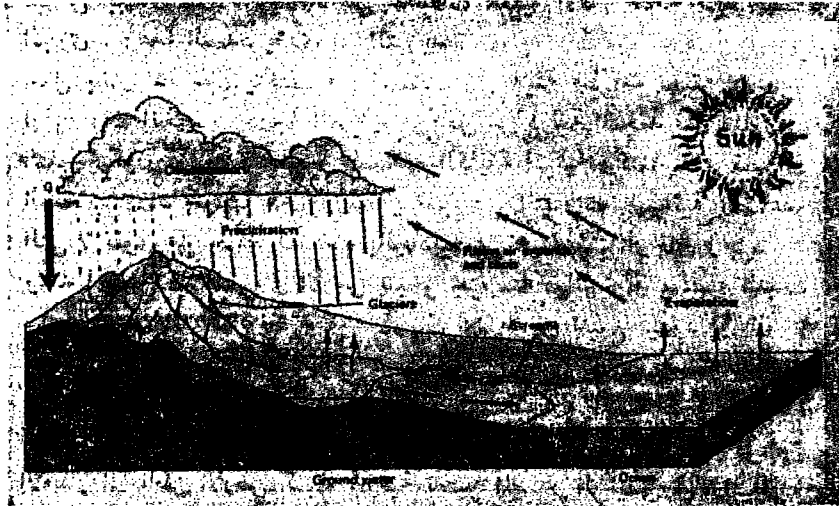
(النبا : ١٣ - ١٤)

هاتان الآيتان تبيان وجود علاقة معينة بين الطاقة الشمسية والطر وهذا الارتباط يمثل (كما سنشرح فيما بعد) الأساس العلمي لدورة المياه في الطبيعة (شكل ١ - ٦) :

وهناك المزيد من الحقائق العلمية الأساسية لهذه الدورة التي ورد ذكرها في القرآن كما في قوله تعالى :

« وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
وما اتم له بخازنين »

(الحجر : ٢٢)



(شكل رقم ١ - ٦)

دورة المياه في الطبيعة

هذه الآية تبين في صورة بلاغية الصلة اللاقحة للرياح (كما سنشرح بعد في الباب الثالث) وتوضح الحركة المتكررة اللانهائية للماء بين البحر والهواء والأرض كما نفهم من عبارة « وما أنتم له بخازنين » . وهذه الظاهرة مشار إليها أيضا في آية أخرى :

« وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وأنا على ذهاب به لقادرون »

(المؤمنون : ١٨)

حقا أن الله يوزع المطر بنظام وقدر وينزله من السماء ليسكن في الأرض في الأنهار والآبار والينابيع وغير ذلك من تضاريس الجغرافيا الطبيعية .

وتمثل مياه الأمطار طورا واحدا في دورة متصلة ، حيث يتبخر الماء مرة أخرى لكي تتكرر الدورة كما يلي :

تقوم الشمس بتبخير مياه البحار والمحيطات على هيئة بخار غير مرئي يختلط بالهواء (شكل ١ - ٦) وتتحرك كتل الهواء المحملة ببخار الماء على هيئة رياح وتيارات تهب على اليابسة نتيجة فروق درجات الحرارة والضغط من مكان إلى آخر ، وهذه الفروق تنشأ من اختلاف توزيع الطاقة الشمسية على الكرة الأرضية ، وبهذا فإن الشمس تمثل القوة المحركة لهذه الدورة المائية ، لأن الشمس تولد بخار الماء والرياح ، فيصعد الهواء المحمل ببخار الماء ، ويتمدد في الطبقات العليا الأقل كثافة في الغلاف الجوي ، وهذا التمدد يؤدي إلى التبريد الذي يضعف من قدرة الهواء على حمل بخار الماء حين يتكثف في السحب على هيئة قطرات دقيقة لا حصر لها . وإذا انخفضت درجة الحرارة إلى أقل من درجة التجمد فإن بللورات الثلج تتكون مؤدية إلى ظهور السحب الكثيفة المرئية وكلما نمت قطرات السحاب وزاد حجمها فإن وزنها يتغلب على التيارات الهوائية المساعدة التي لا تقوى على حملها فتسقط بالجاذبية على هيئة مطر أو ثلج (برد) ، وعندما يصل ماء المطر إلى الأرض يتبخر جزء منه مباشرة أو يمتصه النبات من الجذر إلى الساق ويخرج من الأوراق عن طريق النتح ليعود إلى الهواء ليشارك في الدورة مرة أخرى دون المرور بمياه البحر ، بينما ينساب جزء آخر من مياه الأمطار خلال الأنهار إلى البحار والمحيطات ليعود مرة أخرى بالتبخير إلى الهواء لتتكرر الدورة ، كما يتسرب الجزء الباقي من الأمطار إلى باطن الأرض كمياء جوفية تعتبر المصدر الرئيسي لمياه الينابيع والآبار . وتختلف كمية الأمطار من مكان إلى آخر ولكن الميزانية العامة

لتوزيعها. تقدر على أساس أن حوالي ٧٠٪ من مياه الأمطار تعود بالبحر أو تنتج إلى الهواء و ٣٠٪ يغذي الأنهار والمياه الجوفية .

وهكذا يتحرك الماء بصفة مستمرة بين البحار والهواء والأرض في هذه الدورة الهيدرولوجية . فإذا شربت كوبا من الماء في مكة مثلا فإن جزيئات هذا الماء ربما كانت في الأصل بخارا متبخرا منذ قرون هضمت أو حديثا من شجرة أو من سطح المحيط الأطلنطي أو الباسيفيكي . أو كانت جزءا من كتلة ضخمة في عصر جليدي سابق ، أو جزيئات مشاركة في أطوار متعددة مسافرة بين البر والبحر في نصف الكرة الشمالي أو الجنوبي للأرض . وبهذا فاننا حقا لسنا حراسا على مخازن الأمطار ، والله وحده هو القادر على سحب وتخزين وانزال هذا الماء كما هو واضح من هذه المناقشة العلمية والآيات القرآنية التي أشارت بالتأكيد إلى المبادئ الرئيسية التالية للدورة الهيدرولوجية التي نلخصها فيما يلي :

- العلاقة بين الشمس والمطر .
- دور الرياح كلقاح لتكوين جزيئات السحاب .
- تصريف مياه المطر .
- منبع المياه الجوفية أصلا من مياه الأمطار .

ان دراسة الدورة الهيدرولوجية للماء ما هي الا دائرة معارف شاملة تدخل ضمن تخصصات متعددة . وسوف ندرك كلما تقدمنا في عرض المسائل المثارة تنوع المعارف العلمية اللازمة لفهم معنى بعض الآيات القرآنية التي تشير باختصار وبدقة وتلميح معجز الى حقائق علمية . وبالرجوع للآية الأخيرة يقول الله تعالى :

« وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون » .

(المؤمنون : ١٨)

والتعبير القرآني « بقدر » اشارة صريحة الى توازن توزيع الماء . فالأنهار مثلا تنساب بصفة دائمة طوال السنة رغم أن الأمطار موسمية ولبضعة شهور فقط ! ولولا الثلج المتراكم على قمم الجبال العالية كما في الهند لجفت الأنهار وانقطع انسيابها المتواصل واختل التوازن .

وتغذية الأنهار وغيرها من مصادر المياه تتم بقدر وبكميات محسوبة بقدرة الله سبحانه وتعالى . والتوازن واضح أيضا في تصريف المياه

وعودتها الى البحار أو الهواء بشتى الطرق وتكوين الضباب والسمجاء
لتتكرر الدورة . ولولا هذا التصريف لاجتاحت الفيضانات والسيول
الكرة الأرضية كما يحدث أحيانا حينما تتعطل مؤقتا العمليات الطبيعية
المذكورة بصفة شاذة لتعطي للانسان انذارا ، وتجعله شاكرا لله على
استمرار هذه الدورة الهيدرولوجية في توازن مستمر .

وفي ختام هذا الموضوع فائنا بمقارنة آيات القرآن الكريم
بالمعلومات الحديثة للدورة الهيدرولوجية نجد اتفاقا ملحوظا بينهما .

١ - ٦ تاريخ الأرض المبكر (★)

أشار الله سبحانه وتعالى الى عظمة السماء ثم أعطى موجزا مختصرا
عن تاريخ الأرض المبكر في الآيات القرآنية التالية :

« أنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها
فسواها * واغطس ليلاها وأخرج ضحاها * والأرض بعد
ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال
أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم »

(النازعات : ٢٧ - ٣٣)

ونلاحظ هنا مجموعتين من الظواهر : جزء منها سماوي والآخر
أرضي وقد حدث كلاهما في اتصال مع الآخر . وفي ما يخص الظواهر
الأرضية نجد الآيات (٣٠ - ٣٣) توضح أن كل شيء على الأرض قد تم
إعداده بواسطة الخالق إعدادا جميلا وتم تنظيمه وتسخييره لمطالب
الانسان ، كما أن هذه الآيات قد تعطي موجزا مختصرا عن التاريخ المبكر
للأرض في أحداث هامة متتابعة كما يلي :

- (أ) تكون القشرة الصلبة للأرض .
- (ب) تكون الغلاف المائي والغلاف الجوي والنبات (المرعى) .
- (ج) تكون الجبال الحديثة .

وهذه العمليات الجيولوجية تم حدوثها على الترتيب من وجهة نظر
العلم الحديث كما يلي :

(★) بحث المؤلف مقبول للنشر في أعمال المؤتمر الأول للأبحاث العلمية للقرآن والسنة
(١٩٨٧) اسلام آباد باكستان .

(١) تكوين القشرة الصلبة للأرض :

يقول الله تعالى :

« والأرض بعد ذلك دحاها » .

(التازعات : ٣٠)

والفعل العربي « دحا » مترجم هنا في الآية بمعنى مد الأرض في رقعة متسعة وجعل قشرتها صلبة . ولكن لابد هنا من استمع أيضاً المعاني اللغوية الأخرى للفعل « دحا » بمعنى دفع أو أزاح أو جعلها كالبليضة . وكل هذه المعاني واردة في تكون الأرض كما نوضح فيما يلي :

طبقاً للفرض السديمي السائد علمياً فإن كتلة كبيرة من السديم (أى الدخان أو سحب ما بين النجوم المتكون من غاز و تراب) شكلت كوكب الأرض منذ ٤٥٠٠ مليون سنة (هذا العمر محسوب على أساس الانحلال الاشعاعي للصخور الموجودة في الأرض أو القمر أو النيازك كمتوسط لعمر المجموعة الشمسية) ولقد اعتقد العلماء أن الأرض كانت في البداية في حالة منصهرة لارتفاع درجة حرارتها نتيجة انكماش السديم بقوة الجاذبية وهجوم الشهب والنيازك وانحلال المواد المشعة بالأرض . ولقد أدت حالة السيولة هذه الى تكون طبقات الأرض بترتيبها المعروف فاستقرت المواد الثقيلة في المركز وطففت المواد الخفيفة على السطح (راجع الآيات رقم ١ - ٢ في سورة الزلزلة ، ورقم ٢٥ في سورة الحديد بالفصل ١ - ٣) وبهذا يتكون قلب الأرض من الحديد بينما تتكون القشرة من العناصر الخفيفة (كالألومنيوم والسيليكون والفسفور والبيوتاسيوم) التي طففت على السطح .

ولقد تسببت الجاذبية في كروية الأرض بالتناقل الذاتي كما تسبب دوران الأرض حول نفسها في تفلطحها عند القطبين واتبعاجها عند خط الاستواء مما أدى الى اعطاء الأرض الشكل التقريبي للبيضة كما في شكل (١ - ٣) .

وبهذا فإن جميع المعاني المذكورة سابقاً للفعل « دحا » واردة في دفع الأرض كسديم منفصل من الشمس وفي ازاحة طبقاتها الخفيفة نحو القشرة وازاحة القارات وفي الشكل الميضاوى للأرض .

(ب) تكوين الغلاف المائى والنبات والغلاف الجوى (المرعى) :

يقول الله تعالى :

« أخرج منها ماءها ومرعاها » .

(النازعات : ٣١)

وهذه الآية تفيد صراحة بأنه بعد تكوين القشرة الصلبة للأرض فان الله أخرج منها الماء والمرعى (النبات والجو اللازمين للمرعى) .
وهنا يجب أن نتوقف لنبحث هذه الحقيقة التى تخص أصل الماء والهواء حيث تشير الآية أن كلا منهما نشأ من مواد منبعثة من باطن الأرض (وليس من خارجها) .

ولقد ناقش العلم الحديث هذه المشكلة . وطبقا لتصورات قديمة خاطئة فان الأرض عند نشأتها يعتقد أنها كانت محاطة بغلاف جوى أولى مشبع ببخار الماء ، ونظرا لسخونة الأرض فى البداية فان الأمطار ما كادت تسقط حتى تنبخر وتعود مرة أخرى للجو ، ولم تستقر المياه على سطح الأرض الا بعد برودة هذا السطح وتجمده ، وعندئذ انهارت الأمطار فى غزارة لتملأ أحواض المحيطات ، وبدأت بذلك دورة الماء فى الطبيعة (على فرض أن القارات وأحواض المحيطات كانت قد تكونت فى ذلك الوقت) .
وطبقا لهذا التصور القديم فان المحيطات كانت لها نفس الحجم الحالى منذ بداية تاريخ الأرض وأن جو الأرض كان مشبعا منذ البداية ببخار الماء .

والآن راجع العلماء هذا التفكير القديم بإعلان نظرية جديدة قائمة على أساس نتائج أبحاث الفلك والكيمياء والجيولوجيا التى تعطى براهين متنوعة تشير الى أن جو الأرض الأولى هرب عند نشأتها ، وأن جوها الحالى وغلافها المائى تولدا من مواد خرجت من رداؤها الموجود تحت قشرتها كنتيجة حتمية للنشاط البركاني الذى أدى الى تحرر الغازات والأبخرة من باطن الأرض تدريجيا بمرور الزمن أو بشدة فى عصر أو عصور معينة عبر تاريخ تطور الأرض ، والدليل على ذلك أن الغازات والأبخرة تنطلق من البراكين ومن بعض الينابيع الحارة التى ما زالت حتى الآن تنفجر بكميات مناسبة وبمعدلات تكفى لتراكم الغلاف الجوى والمائى بكميته الهائلة الموجودة حاليا إذا افترضنا أن هذه البراكين والينابيع مستمرة ويرجع تاريخ تفجرها الى التاريخ المبكر للأرض ولأثبت هروب الغلاف الجوى الأولى للأرض عند نشأتها نعتبر علميا ما يلى :

نحن نلاحظ أن الغازات الخاملة الثقيلة (مثل النيون وانكريبتون ، والزينون) نادرة الوجود فى الأرض بعكس نسبة وجودها فى الشمس

طبقا للقياسات الاسبكتروسكوبية الحديثة ولكن النيون مثلا يجب أن يكون أكثر تواجدا على الأرض من النتروجين (قياساً على عنصر السيليكون للمقارنة مع استبعاد باقى الغازات الخاملة من المقارنة كالهيليوم والأرجون نظرا لتولدهما من نتائج الانحلال الاشعاعى) ، ومعنى ذلك فإن النيون والكربيتون والزيثون طبقا للحسابات لابد وأن يكونوا أكثر تواجدا فى الجو الحالى للأرض لو كان هذا الغلاف الجوى الحالى موجودا منذ بداية تاريخ الأرض ، ولكن الواقع غير ذلك ، فهذه الغازات نادرة الوجود على الأرض حاليا ، وهذه الحقيقة هى مفتاح البرهان على هروب الغلاف الجوى الأولى للأرض حيث هربت هذه الغازات وهرب معها أيضاً النتروجين وثانى أكسيد الكربون والميثان وجميع الغازات الحرة التى يفترض وجودها فى جو الأرض فى هذه الفترة الأولى من تاريخ نشأة الأرض . ولكن ما الذى سبب هروب الغلاف الجوى الأولى ؟ ربما هربت هذه الغازات مع السحابة الكونية أثناء انكماشها لتكوين الأرض ، وربما هربت جميع الغازات الحرة عندما كانت الأرض منصهرة لأن جزيئات أى غاز فى حركة دائمة وتزداد سرعتها اذا ارتفعت درجة حرارتها الى أن تصل الى سرعة الهروب فننفلت من جاذبية الأرض ! . وقد تسأل لماذا لم تهرب العناصر الكيميائية المكونة للجزيئات الغازات الموجودة حاليا فى الغلاف الجوى ؟ والجواب أن هذه الغازات كانت جميعها متحدة مع العناصر الأثقل بعكس الغازات النادرة ، والتي تسمى أيضا الغازات الخاملة لعدم قابليتها للتفاعل أو الاتحاد الكيميائى ، والتي كانت حرة فهربت من الجو الأولى : وخلاصة القول فإن الأكسجين والأيديروجين والنتروجين والكربون والعناصر الأخرى الموجودة حاليا فى المحيطات والغلاف الجوى والنشطة كيميائيا كانت كلها متحدة على هيئة مركبات فى السحابة الدخانية عند نشأة الأرض وذلك على هيئة أكاسيد وسيليكات وخامات أخرى منتشرة داخل السديم . (أى دخان سديمى راجع الآية ١١ من سورة فصلت) وحينما تحولت الأرض من الحالة الدخانية الى الحالة السائلة ظلت هذه العناصر متحدة على هيئة مركبات ذائبة فى المالح المنصهرة ، بينما هربت الغازات الحرة (مثل الغازات الخاملة) من سطح الأرض . وبهذا فإن الغلاف الجوى الحالى وكذلك الغلاف المائى قد تكونا أصلا من انطلاق الغازات المتطايرة من المالح المنصهرة من باطن الأرض عندما بردت قشرتها . وهذا الاستنتاج متفق تماما مع نص الآية القرآنية الكريمة :

«والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها مائها ومرعاه» .

(المآزح : ٣٠ - ٣١)

ويصنوي لفظ « المرعى » لغويا على النبات والهواء (لأنه لا مرعى بدون هواء) ، ولقد عرفنا علميا أن الانبعاث البركاني كان كافيا لتكوين الغلاف الجوى الحالى على فرض أن ثانى أكسيد الكربون المتصاعد بكثرة من البراكين تحول بالتمثيل الكلوروفيللى الى وفرة من الاكسيجين ، ولهذا كان لابد أولا من نشأة النبات على الأرض على هيئة نباتات أولية لكي يتكون الجو الحالى وربما حدث ذلك منذ ٣٥٥ مليون سنة تقريبا أى بعد نشأة الأرض بأكثر من بليون سنة ، كما أن الاكسيجين تولد أيضا فى الجو الحالى من تحلل بخار الماء بواسطة الاشعاع الشمس ، ويعتقد العلماء أن جزءا من الاكسيجين اتحد مع غازى النوشادر والميثان المتصاعدين من البراكين لكي يتكون غاز النيتروجين وثانى أكسيد الكربون والماء . وبهذا يمكننا استنتاج أن التصاعد المستمر للغازات والأبخرة من باطن الأرض عبر الأحقاب المختلفة من الزمن كان السبب فى تراكم الماء بهذا القدر الحالى فى كوكب الأرض فى البحيرات والأنهار والبحار والآبار والمحيطات ، وأيضا السبب فى تراكم الغلاف الجوى الحالى لكوكب الأرض بمساعدة النبات !

هنا أيضا ، عندما تقابل نص القرآن بالمعطيات الحديثة ، كيف لا ننبره بتلك التحديدات الدقيقة التى لا يمكن افتراض أنها صدرت عن فكر انسان عاش منذ أربعة عشر قرنا تقريبا .

وبذلك فان كلمات الله تظهر الحقيقة ، وأن القرآن الكريم ظل نقياً دون تحوير ، وهو بلا شك كتاب سماوى ومنبع الهداية لمن يخافون الله خالق الكون وصدق تعالى بقوله :

« الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا » .

(الكهف : ١)

(ج) تكون الجبال الحديثة :

وبعد تكون القشرة الصلبة للأرض وانبعاث الغلاف المائى والمرعى الجوى والنباتى من الأرض ، يذكر الله فى القرآن الكريم احدى النعم المسخرة لخدمة البشرية بقوله تعالى :

« والجيال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم » .

(المائدة : ٣٣ - ٣٢)

وربما تشير هذه الآية الى الجبال الحديثة التي أنشأها الله قبل عصر الثدييات (انظر فصل ١ - ٢) .

ومن الملامح المميزة لأهم نظرية جيولوجية حديثة تعرف بإزاحة القارات أن اليابسة كانت منذ حوالي ٢٠٠ مليون سنة على هيئة كتلة واحدة أو قارة ضخمة واحدة متماسكة بدليل أننا اذا نظرنا الآن لسطح الكرة الأرضية فسوف نرى الى أى مدى تتطابق سواحل بعض القارات المتقابلة تماما كأسنان المشمار . وهذه النظرية تفترض وجود طفق بركاني من حواف المحيطات يؤدي الى اجبار الألواح التي تحمل القارات على التحرك فى حركة بطيئة يصعب مقاومتها ، ولقد قسم سطح الأرض علميا الى الواح تحمل القارات وتتحرك ببطء ، فيما يعرف بإزاحة القارات . وقد يشعر سكان مناطق تقابل أو اصطدام الألواح القارية ببعض الهزات الأرضية ، ويعمل الانحناء الناتج للقشرة فى هذه المناطق على رفع الجبال . وهذه العملية قد تفسر معنى « مد الأرض » المذكور فى الآية القرآنية التالية :

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا » .

(الرعد : ٢)

وتكرار التعبير القرآني بذكر عملية « مد الأرض » قبل انشاء الجبال سبق مناقشته فى فصل (١ - ٢) .

وهذا المد ربما يشير الى ظاهرة الرواسب فى أحواض المحيطات ، أو الى انتشار أو مد قاع البحر ، أو الى ظاهرة ازاحة الألواح القارية التي أدت الى نشأة جبال كثيرة ، وعلى سبيل المثال فان تحرك لوح النازكا تحت الباسيفيك تجاه لوح أمريكا الجنوبية أدى فى الماضى الى رفع جبال الانديس ، بل وأكثر من ذلك اثاره للدهشة فان حركة اللوح الهندى تجاه الشمال فى آسيا رفعت جبال الهيمالايا ، كما أن احتكاك لوح أمريكا الشمالية مع لوح الباسيفيك يؤدي حتى الآن الى تراكم الأجهاد الى درجة يظهر معها فجأة على هيئة زلزال ، ولهذا فان سكان كاليفورنيا يعتبرون الزلازل أمرا عاديا مألوفاً لأن أماكن تقابل الألواح معرضة عادة لحدوث الزلازل ! .

والآية السابقة تشير أيضا الى ارتباط الجبال بالأنهار وهذا شىء طبيعى ، فينابيع المياه الجوفية والآبار ووديان الأنهار وطبقات الجليد المتراكمة فى بعض المناطق كلها ظواهر لتضاريس نشأت من اختلاف مستوى سطح الأرض على هيئة مرتفعات ومنخفضات . كما أن قمم

الجبال العالية تعمل (كما ذكرنا في الفصل (١ - ٢) كالاسفنج الذي يجمع ويخزن ويرشح الماء العذب الذي ينساب بالجاذبية الى المستويات المنخفضة في الأنهار .

والماء ينبت لنا الخيرات كالقمح والفواكة والخضروات ويعطي المرعى للحيوانات ، وهذا الماء العذب يعتبر حلقة في الدورة الهيدرولوجية الرائعة التي اكتشفها العلم وذكرها القرآن فصل (١ - ٥) .

كل هذا تكريم للانسان وهدية من الله ، وسوف ندرك من دراستنا الحالية للتاريخ المبكر للأرض الاتقان السائد في نظام هذا الكون . ونعرف كيف أن الله أخرج من الأرض الماء والمرعى ليمد الانسان والأنعام بالغذاء والهواء بأسلوب متكامل حكيم لأنه سبحانه رؤوف رحيم . وكما ذكرنا في بداية هذا الفصل (١ - ٦) أن الظواهر الأرضية المذكورة هنا كانت تالية لمقطع قرآني كوني يشير الى عظمة السماء في قوله تعالى :

« أنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها » .

(النازعات : ٢٧ - ٢٩)

وهنا يجب على الانسان (اذا نسى نفسه وتكبر على الله وتجاهل وأنكر يوم الحساب) أن يعلم أنه مجرد نقطة تافهة في خلق الله الواسع في السماوات والأرض .

فهل يظل الانسان هاربا من المسؤولية متعديا التعاليم الالهية في رسالات السماء ومنكرا للبعث وليوم الحساب ؟

١ - ٧. عوالم الماضي مسجلة في الأرض (★)

يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة * ان الله على كل شيء قدير » .

(العنكبوت : ١٩ - ٢٠)

هذه الآية القرآنية الكريمة تشير الى نشأة الخلق والتكرار المستمر لهذه العملية بواسطة القوة الخلاقة لله تعالى . وتأمرنا الآية الكريمة أيضا بالسير في الأرض في محاولة للحصول على معلومات تزيح الستار عن الماضي بالنسبة لتاريخ الأرض وعن تتابع مراحل الخلق التي حدثت في الماضي البعيد وذلك من خلال دراسة صخور الأرض . وهذه الدراسة سوف تقودنا روحيا الى ما يلي :

- (أ) الايمان بالله لأنه ليس هناك خلق بدون خالق .
- (ب) ادراك أن للكون والخلقة نهاية طالما عرفنا أن لهما بداية .
- (ج) الله سوف يعيد الخلق يوم القيامة لأنه سبق له أن بدأ الخلق وأعادته فهو القادر على كل شيء .

وطالما ذكرنا الله فليس هناك حدود لقدراته لأنه سبحانه الأول والآخر ، ولقد تعدد فعلا خلق العوالم المختلفة بل وما زال الخلق مستمرا في كل لحظة في الظاهر والباطن ، حقا ان ادراك الظواهر الملموسة حولنا يجعلنا نؤمن بالله وبالغيب ، وتستقر بذلك الحقائق الروحية في قلوبنا وأرواحنا .

(★) بحث للمؤلف للنشر ضمن أعمال المؤتمر الأول للاعجاز العلمي للقرآن والسنة ١٩٨٧ اسلام آباد - باكستان .

الحاضر مفتاح الماضي

نلاحظ في الآية القرآنية السابقة (العنكبوت ١٩ - ٢٠) إشارة الى حقيقة علمية تم التعرف عليها حديثا حين أعلن جيمس هاتون في أواخر القرن الثامن عشر المبدأ المعروف « الحاضر مفتاح الماضي » وظل هذا الشعاع سائدا في علم الجيولوجيا الحديثة ، ومنح هاتون لقب لورد لهذا الاعلان الهام الذي أحدث تغيرا كبيرا في التفكير الجيولوجي السابق .

لقد تكونت الصخور وتحولت شكلا وتركيبا في أماكن وأزمنة مختلفة ، وتحتوى بعض الصخور على حفريات تمثل بقايا أو آثار الكائنات الحية التي ظلت محفوظة في ثنايا الصخور والرواسب المختلفة في عصور ما قبل التاريخ لتعطي بصمات الزمن في جميع أنحاء الأرض . ولهذا تستخدم الحفريات في التعرف على مراحل الخلق وترتيبها الزمني لأنها تؤرخ الأحقاب الزمنية والعصور المختلفة عن طريق قياس انحلال الكربون المشع الموجود في هذه الحفريات لتعيين زمن وفاتها بواسطة الانحلال الاشعاعي . ولقد تم استخدام هذه الطريقة لتحديد العصور خلال الزمن الماضي الى ٦٠٠ مليون سنة الأخيرة . وتحديد العصور يقوم على أساس قانونين جيولوجيين أحدهما ينص على أن الطبقات المترسبة دون اضطراب تكون مرتبة حسب زمن ترسيبها والآخر قانون تتابع المملكة الحيوانية والنباتية والذي ينص على أن الحيوانات والنباتات قد تطورت عبر الزمن بحيث أن كل فترة زمنية تختص بمجموعة معينة من الحفريات ، ولقد دلت الدراسات فعلا على أن حفريات المملكة الحيوانية في زمن معين لم تكن موجودة في زمن جيولوجي آخر ، وأن حفريات كل عصر كانت منتشرة في جميع القارات في وقت واحد .

وهكذا أدركنا أن البحث في الأرض (للتعرف على الحفريات كبرهان ودليل محفوظ بين الصخور وكساعة زمنية لتحديد عصور بدء الخلق على اختلاف أشكاله) سوف يساعدنا لعمل نتيجة كوفية مرتبة حسب فترات الحوادث وحقب الخلق المتتابع . ولقد تمكن العلماء حديثا من الحصول على التاريخ الجيولوجي التالي باستخدام طرق الاشعاع الذري في تحديد عمر وتصنيف الصخور والحفريات كما يتضح من الجدول التالي :

مقياس الحقب الجيولوجية

العصر	الفترة	مليون سنة مضت
ما قبل الكمبري		٤٧٠٠
عصر الحياة القديمة (باليوزويك)	الكمبري الأوردوفيسي السلوري الديفوني الميسيسي البنسيلاني البرمياني	٢٧٠
عصر الحياة الوسطى (ميزوزويك)	الترياسي الجوراسي الطباشيري	٢٢٥
عصر الحياة الحديثة (سينوزويك)	الثلاثي	٦٥
	الرابعي	٢

هذا الجدول يمكن تقسيمه الى قسمين رئيسيين غير متناسبين في طول فترة كل منهما وفي درجة المعلومات المتوفرة عنهما ، فالأول وهو الأطول ويدعى عصر ما قبل الكمبري ومعظم صخوره متحولة وعارية من الحفريات ، وحتى اذا احتوت آثارا للحفريات فانها تكون عديمة القيمة لاختفاء معالمها ، ولهذا لم يتمكن العلماء من تقسيم هذه الفترة القديمة لعصر ما قبل الكمبري ، وربما تساعده القياسات الراديومترية في المستقبل في تقسيم هذه الفترة . أما القسم الثاني وهو عصر ما بعد الكمبري فان تاريخه الجيولوجي متوفر حاليا لتوفر حفرياته وصخوره المترسبة بدرجة سمحت للعلماء بتطبيق معلوماتهم الجيولوجية لايجاد علاقات علمية ساعدت في تقسيم عصر ما بعد الكمبري الى عصور وفترات كما هو موضح بالجدول السابق وأهم هذه العصور ثلاثة هي :

١ - عصر الحياة القديمة (الباليوزويك) :

والباليوزويك كلمة يونانية من مقطعين « باليو » بمعنى قديم ، « زويك » بمعنى حياة ، أى عصر الحياة القديمة الذى دام منذ ٥٧٠ مليون سنة وحتى ٢٢٥ مليون سنة مضت . وكانت أعلى أشكال الحيوانات فى ذلك العصر من اللافقاريات وأخيرا الفقاريات بما فيها الأسماك والبرمائيات والزواحف الأولية .

٢ - عصر الحياة المتوسطة (الميزوزويك) :

والميزو بمعنى متوسط ، زويك بمعنى حياة ، أى عصر الحياة المتوسطة الذى امتد من ٢٢٥ مليون سنة الى ٦٥ مليون سنة مضت ، ويعرف بعصر الديناصور .

٣ - عصر الحياة الحديثة (السينوزويك) :

والسينو بمعنى حديث ، زويك بمعنى حياة ، أى عصر الحياة الحديثة الذى بدأ منذ ٦٥ مليون سنة وحتى الآن ويتميز عموما بظهور الثدييات .

ويلاحظ أن كل عصر من العصور الثلاثة التى أتت بعد الكمبرى أى عصور الحياة القديمة والمتوسطة والحديثة مقسمة كما بالجدول الى حقبة أو فترات .

وبهذا فان نشأة وتكرار عملية الخلق ظلت مستمرة ، وقد لاحظنا من المناقشة السابقة أنه فى كل عصر أو حقبة من الزمن تنشأ عمليات جديدة بواسطة القوة الخلاقة للمولى عز وجل طبقا لارادته سبحانه ، وبهذا فان الله يستطيع حتما بقدرته المطلقة أن يخلقنا من جديد فى يوم البعث الذى سيزول فيه هذا الكون وينشأ بذلك عالم جديد فى مستوى آخر ، وهذا الأمر هين على الله لأنه سبحانه يسيطر سيطرة كاملة على الوجود فى الدنيا والآخرة .

ان هذه التأملات تقودنا الى الايمان بوحداية الخالق الذى يقول فى القرآن :

« امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ان الله مع الله قلى هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » .

(النحل : ٦٤)

١ - ٨ الأيام الستة للخلق

أولاً : وصف الانجيل لعملية الخلق :

يقول الدكتور موريس بوكاي (*) في دراسته الموضوعية ما يلي :
« في سفر التكوين توجد أكثر المتناقضات وضوحاً مع العلوم الحديثة وتخص هذه التناقضات ثلاث موضوعات جوهرية .

- ١ - خلق العالم ومراحله .
- ٢ - تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الأرض :
- ٣ - رواية الطوفان .

وتذكر رواية التوراة ودون أي غموض تمام الخلق في ستة أيام يتبعها يوم الراحة يوم السبت ، وذلك بالتجانس مع الأيام المعروفة لنا بأيام الاسبوع ، ويمكن تلخيص هذه الرواية من سفر التكوين كما يلي :

- خلق الله النور بالاضافة الى النهار والليل في اليوم الأول .
- وخلق في اليوم الثاني السماء والماء .
- وفي اليوم الثالث خلق الأرض والنبات .
- وفي اليوم الرابع خلق الشمس والقمر والكواكب والنجوم .
- وفي اليوم الخامس خلق الأسماك وطيور البحر والطيور المجنحة .
- وفي اليوم السادس خلق الماشية والزواحف والوحوش على البر والانسان .
- وفي اليوم السابع أنهى الله عملية الخلق بالخلود الى الراحة ا .

(*) د. موريس بوكاي - المرجع السابق - ص (٤١ - ٤٥) ، ص (١٥٨ - ١٦٦) .

وعند فحص هذه الرواية الكهنوتية في الانجيل من حيث مدى اتفاتها مع العلم الحديث نلاحظ التناقضات الصارخة التالية :

١ - من غير المنطقي أن يظهر النور في اليوم الأول بينما لم يتم خلق وسائل إنتاج النور كالشمس والقمر والنجوم الا في اليوم الرابع .
٢ - لا يمكن الدفاع عن النص القائل بخلق النبات في اليوم الثالث قبل خلق الشمس في اليوم الرابع .

٣ - خلق الشمس والقمر في اليوم الرابع بعد خلق الأرض في اليوم الثالث أمر يتناقض مع المعلومات الأساسية الصحيحة عن النظام الشمسي .

٤ - لا شك أن أصل الحياة مائي ومن البحار احتل عالم الحيوان الأرض ومن الحيوانات المعروفة بالزواحف التي كانت تعيش في العصر القديم جاءت الطيور ، كما يعتقد العلماء ، لأن هناك الكثير من الصفات البيولوجية المشتركة بين هاتين الفئتين والتي تسمح بهذا الاستنتاج في ترتيب خلق الطيور بعد الزواحف ، ولكن سفر التكوين لا يشير الى الحيوانات بما فيها الزواحف الا في اليوم السادس بعد ظهور الطيور في اليوم الخامس ، وهذا أمر غير مقبول علميا .

٥ - ان كلمة يوم (كما نفهمها من نص سفر التكوين) هي الزمن الذي يحض بين اشراقين متتاليين أو غروبين متتاليين للشمس (بالنسبة لسكان الأرض) . وبهذا فان اليوم المقصود هنا يرتبط بدوران الأرض حول نفسها . فكيف يتحدث سفر التكوين عن اليوم بهذا المعنى منذ بداية الخلق في اليوم الأول بينما لم يتم خلق الأرض الا في اليوم الثالث والشمس في اليوم الرابع ؟ أي كيف يتولد اليوم بدون العمليات التي تؤدي الى ظهوره كدوران الأرض ووجود الشمس ؟ أليس هذا تناقضا واضحا مع أبسط المعارف العلمية الحديثة ؟ .

ان ادراج مراحل الخلق المتعاقبة في اطار اسبوع ، هذا النص الذي أراده الكاتب الكهنوتي بسفر التكوين بهدف الحث على الطاعة الدينية لا يقبل الدفاع أبدا من وجهة نظر العلم الحديث . وسوف نعرف كما سنبحث في هذا الكتاب أن تشكيل الكون والأرض تم علميا على مراحل تمتد الى فترات زمنية تقدر بملايين بل بلايين السنين .

٦ - ان تاريخ خلق الأرض في عام ٣٧٠٠ قبل الميلاد . طبقا لحسابات الدكتور موريس بوكاي المستنتجة من نص التقويم العبري ورواية العهد القديم (التوراة) أمر خاطيء تماما لأن المعارف العلمية

الحديثة تعطى للأرض حتى الآن عمرا يقدر بأربعة ونصف بليون سنة ،
وتعطى لظهور الانسان تاريخا يرجع الى عشرات الألوف من السنين
الماضية . وبهذا يمكننا ادراك الفجوة بين روايات التوراة والحقائق
العلمية الحديثة المؤكدة .

٧ - من الواضح تماما مدى الكذب في ادعاء أسطورة الراحة التي
يفترضها كاتب التوراة بقوله بأن الله استراح بعد تعب شاق من عمل
متواصل دام ستة أيام .

ثانيا : الوصف القرآني للخلق :

يختلف القرآن عن العهد القديم من حيث أنه لا يقدم رواية كاملة
عن الخلق وبدلا من رواية واحدة متصلة يعطى القرآن فقرات في سور
متعددة تدثر بعض جوانب روايه الخلق تشتمل بدورها على كثير من
التفصيلات حول أحداث الخلق .

ولكى تكون هناك فكرة واضحة عن التعبير القرآني لهذه الأحداث
الكونية في الخلق لابد لنا من تجميع الفقرات المتناثرة في عدد هام من
السور . ويختلف الوصف القرآني تماما عن التوراة ، ولكن هناك
تجانسات واضحة ومعروفة بين النصين أهمها ترقيم مراحل الخلق
المتعاقبة بستة أيام ، فأيام الخلق الستة في التوراة تعادل الأيام الستة
في القرآن ، ولكن المشكلة في الواقع أكثر تشابها وتستحق وقفة عندها
لايضاح مايل :

١ - اليوم في القرآن يمثل مرحلة أو فترة طويلة من الزمن اذا
كان اليوم يخص موضوع الخلق أو الأيام عند الله حيث يقول سبحانه
في القرآن الكريم :

« الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في
سنة أيام » .

(السجدة : ٤)

« يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه
في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » .

(السجدة : ٥)

ونسبية الزمن مذكورة أيضا في آية أخرى في القرآن حيث اليوم
يعادل زمنا مقداره ٥٠٠٠٠ سنة كما في قوله تعالى :

« تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسین ألف سنة » .

(العارج : ٢)

وبهذا فان يوم الخلق هنا لا يعنى اليوم الذى نحسبه نحن بمفهوم ٢٤ ساعة أو بمفهوم كاتب التوراة ، ولكن بالنسبة للخالق فان اليوم فى القرآن يعنى مرحلة زمنية طويلة أو فترة من فترات الخلق كما فهم معظم المفسرين مثل يوسف على (١٩٣٤) ولقد اندهش المفسرون الأوائل من هذا المفهوم لأنهم لم يملكو المعارف التى نملكها حديثا فيما يتعلق بنسبية الزمن وطول مراحل خلق الكون .

ويمكننا القول بأن القرآن قد نص ضمنا على خلق الكون على فترات أو مراحل عددها ستة ، ورغم أن العلم الحديث لم يسمح لنا الآن بتحديد هذه المراحل الست المعقدة المختلفة للخلق فانه أثبت لنا بشكل قاطع انها مراحل أو فترات زمنية طويلة جدا تتضائل بجانبها الايام الأرضية بمفهومها التقليدى وتصبح شيئا تافها بالنسبة لأيام أو مراحل الخلق .

٢ - بالرجوع الى الآية القرآنية التالية :

« الله الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة ايام » .

(السجدة : ٤)

فاننا نلاحظ عبارة « ما بينهما » التى تدل على الخلق الوسيط بين السماوات والأرض كإشارة لمواد أو سحب ما بين النجوم التى تم اكتشافها حديثا (انظر فصل ٦ - ٤) .

حقا أن آيات القرآن خالية من أى تفاصيل وهمية مستمدة من المعتقدات القديمة الخاطئة ، كما أنها تتميز بالإيجاز فى القول والاتفاق مع المعطيات العلمية الحديثة .

٣ - لا يمكن أن نصدق أن الله قد استراح بعد اتمام الخلق فهو سبحانه لا يحتاج الى الراحة مطلقا « وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما) وهذه الحقيقة مذكورة فى الآية القرآنية التالية :

« ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب » .

(ق : ٣٨)

وهذا رد مباشر ضد فكرة الراحة المعبر عنها فى التوراة .

٤ - لم يحدد القرآن ترتيبنا محليدا فى خلق السماوات والأرض فهناك عدد صغير من الآيات التى تشير الى الأرض أولا كَمَا هو الحال فى الآيات :

(لبعرة : ٢٩) ، (طه : ٤) ، (فصلت : ٩) .

على عكس من ذلك يوجد عدد أكبر من الآيات تشير الى السموات قبل الأرض مثل :

(الأعراف : ٥٤) ، (يونس : ٣٠) ، (هود : ٧) ،
(الفرقان : ٥٩) ، (السجدة : ٤) ، (ق : ٢٨) ، (الحديد : ٤) ،
(النازعات : ٢٧) (الشمس : ٥ - ٦) .

وبهذا فليس في القرآن تحديد قاطع لترتيب خلق السموات والأرض .

٥ - يقدم القرآن خلاصة مركبة ومختصرة للظواهر التي كانت أساسية في تشكيل الكون في آيتين :

« ثم استوى الى السماء وهي دخان »

(فصلت : ١١)

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا

ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » .

(الأنبياء : ٣٠)

وسوف نناقش الأصل المائي للحياة في الباب الثاني ولكننا الآن

نلفت الانتباه الى ما يلي :

(أ) كلمة « دخان » تشير لغويا الى وجود كتلة غازية ذات جزيئات

حيث يتكون الدخان عادة من قوام غازي يعلق به بشكل ما جزيئات دقيقة صلبة أو سائلة (انظر فصل ٥ - ١) .

(ب) الامتسار الى عملية « الفتق » للكتلة المريدة الاولى التي كانت

ملتحمة الأجزاء في البداية والتي تسمى « الرتق » في القرآن (انظر

فصل ٥ - ١ ، ٦ - ٥) .

٦ - تشير القرآن الكريم الى تعدد السموات والأرضين كما يتكرر

لفظ « العالمين » عشرات المرات في القرآن وكذلك لفظ « السموات »

يعبر عن تعددها. ليس فقط بسبب التعبير بصيغة الجمع ولكن أيضا

بسبب اعطائها الرقم الرمزي سبعة وهذا الرقم يحمل غالبا معنى التعدد

(انظر الفصل السادس) .

٧ - قد تساعدنا الحقائق العلمية والآيات القرآنية السابقة على ادراك معنى آيات سورة فصلت التي تتناولها الفقرات التالية عن الخلق:

« قل انكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين: وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين: ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتينا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين: فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم »

(فصلت ٩ - ١٢)

هذه الآيات الأربعة من سورة فصلت تحتوي على جوانب متعددة مذكورة في التحليل السابق ونعني بذلك الحالة الغازية الأولية للمادة السماوية (الدخان) ، والتعريف الرمزي للسماوات بالرقم ٧ لبيان فكرة الجمع والتعدد ، بالإضافة الى التأكيد على هذه الفكرة بلفظ (العالمين) في الآية الأولى ، وكذلك التعبير الرمزي أيضا في الحوار بين الله من ناحية والسماوات والأرض من ناحية أخرى كإشارة رمزية للخضوع للأوامر الإلهية الصادرة لتشكيل هذا الكون .

ولقد رأى بعض النقاد في هذه الآيات تناقضا ظاهريا مع آية أخرى تتكرر في القرآن عن فترات الخلق الستة ، ذلك اننا اذا جمعنا في الآيات الأربعة من سورة فصلت : فترتي تشكيل الأرض والفترات الأربع الخاصة بتوزيع أسباب الرزق لسكان الأرض وفترتي تشكيل السماوات في الآيات ٩ ، ١٠ ، ١٢ على الترتيب لحصلنا على مجموع ثماني فترات ، وهذا بالطبع يتناقض مع العدد ستة لفترات الخلق المذكورة في آيات أنرى . ولحل هذه المشكلة فانه من الجائز محاولة اعتبار فترتي الخلق الأول للأرض كما في الآية (٩) مصاحبتين تماما لفترتي خلق السماوات المذكورتين في الآية (١١ - ١٢) ومعنى هذا أن هاتين العمليتين متزامنتان . وهذا حل معقول لأن السماوات والأرض كانتا رتقا أي كتلة واحدة ثم أصبحنا فتقا أي منفصلتين طبقا للآية القرآنية (الأنبياء : ٣٠) المشروحة في البند الرابع من هذه المناقشة . كما أن جميع الحقائق العلمية تشير الى انفصال الكواكب من سديم مركزه النجم (أو الشمس) وكما سنرى في فصل ٥ ، ٦ يمكن ادراك مدى صحة تصورنا في خلق السماوات والأرض معا طبقا للوصف القرآني لمرحلتى الرتق والفتق .

وبهذا اعتبرنا ان في سورة فصلت مرحلتين للسموات والأرض
(آية ٩ وآية ١١) بالإضافة الى أربعة مراحل في الآية (١٠) تخص
التطور التدريجي لشكل الأرض ، وبهذا يكون المجموع ستة مراحل ،
ولا يوجد بذلك أى تعارض بين الفقرات المذكورة فى سورة فصلت وبين
النصوص الأخرى فى القرآن والتي تؤكد تشكيل الكون فى ستة
مراحل (*) :

ثالثا : مقابلة مع المعطيات القرآنية عن الخلق :

(١) الدخان :

ان المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأول فى العلم الحديث
(فصل ٥ - ١) وبين لفظ الدخان فى الآية (فصلت - ١١) للدلالة
على الحالة الغازية والغالبية للمادة التى شكلت الكون فى مرحله الأولى .

٢ - الرق والفتق :

إذا أخذنا الشمس والكواكب المنفصلة منها كالأرض على سبيل
المثال نجد أن العلم (فصل ٥ - ١) يخبرنا بأن المجموعة الشمسية نشأت
بتكثيف السديم الأول (الرق) ثم الانفصال (الذى حدث للكواكب
عن الشمس (الفتق) ، وبالمثل يخبرنا العلم عن نشأة الكون كله فى
انفجار كبير يدعى البيج بانج (فصل ٦ - ٥) وهذا كله يتفق مع الآية
القرآنية (الأنبياء : ٣٠) .

٣ - تعدد العوالم :

لقد عبر القرآن عن تعدد السماوات بدلالة الرقم ٧ وصيغة الجمع
فى لفظ السماوات ، وهذا المفهوم يتلقى باسستمرار تأييدا من العلم
الحديث بفضل الملاحظات الفلكية المستمرة لنظم المجرات وتعددتها .

(*) أجرى المؤلف توزيعا آخر للمراحل بين امكانية حساب عمر الكون من اشارات
الآيات (فصلت : ٩ - ١٢) ، (النكوت : ٢٠) . وقد حصل على قيمة قدرها ١٣.٥ بليون
سنة منذ الانفجار العظيم (بيج بانج) حتى الآن ومازالت الأبحاث العلمية جارية لتحديد
عمر الكون وصدق الحق تبارك وتعالى « لكل نيا مستقر وسوف تعلمون » .

انظر مرجع رقم ٤٦ للمؤلف . البند ٥ - ٦ ، ٦ - ٦ .

وأما موضوع تعدد الكواكب التي تشبه أرضنا بالذات في احتوائها على حياة فلم يثبت علمياً بعد ، ولكنه مفهوم مستخلص من النص القرآني (الطلاق - ١٢) . ويرى المتخصصون حالياً أن هذا المفهوم منطقي ومعقول وأن الحياة لا يمكن أن تكون قاصرة على كوكب الأرض (فصل ٦ - ٣) .

٤ - سحب ما بين النجوم :

لقد عبر القرآن الكريم في آيتي (السجدة : ٤) ، (ق : ٣٨) عن وجود خلق - وسيط بين السماوات والأرض مما قد يشير إلى الاكتشافات العلمية الحديثة لجسور المادة بين النجوم .

٥ - أيام الخلق الستة :

تشهد المراحل الستة لخلق السماوات والأرض طبقاً للنص القرآني تكوين الاجرام السماوية وتكوين الأرض وتطور الأرض في مراحل جعلتها بأقواتها صالحة للحياة ، ولقد ذكر القرآن مرحلتين للتكوين المتزامن للسماوات والأرض في البداية (الرق والفتق) ثم ذكر أربعة مراحل لتطور الأرض بدأت كما في قوله تعالى في سورة فصلت « وجعل فيها رواسي من فوقها » مما قد يشير إلى تعرض الأرض في بداية خلقها لوابل من النيازك التي سقطت من السماء على سطحها كما يتوقع العلم . وقد يرى العلماء في هذه المراحل الأربعة إشارة إلى العصور الجيولوجية الأربعة التي يصفها العلم الحديث كما في الفصل (١ - ٥) بعصر ما قبل الكامبري والباليزويك والميزوزويك والسينوزويك الذي انتهى بظهور الانسان ؟

والواقع أن المراحل الستة للخلق هي نص قرآني فقط ولم يصل العلم لقرار نهائي في تقسيمها أو عددها ولكننا نستطيع هنا فقط تقديم التقويم الكوني التالي لترتيب بعض الأحداث الكونية (دون تقسيم المراحل) وذلك طبقاً لآخر ما توصل إليه العلم :

القرآن الكريم - ١١٣٦

الحدث الكوني	مليون سنة مضت
انفجار البيج بانج	منذ أكثر من ١٣٠٠٠
خلق الشمس	منذ حوالي ٥٠٠٠
خلق الأرض في البداية	منذ حوالي ٤٥٠٠
المحيطات الأولية	منذ حوالي ٤٢٠٠
الغلاف الجوي الأولى	منذ حوالي ٣٥٠٠
تكون أقدم الصحور	منذ حوالي ٣٥٠٠
تكون أقدم الحفريات (بكتريا وطحالب)	منذ حوالي ٣٤٠٠
المحيطات في حجمها الحالي	منذ حوالي ٣٠٠٠
انتاج الاكسيجين من النبات	منذ حوالي ٢٠٠٠
الغلاف الجوي في تركيبه الحالي	منذ حوالي ١٠٠٠
عصر اللاقاريات	منذ حوالي ٥٧٠
عصر الأسماك	منذ حوالي ٣٩٥
العصر الكربوني	منذ حوالي ٣٤٥
عصر الزواحف	منذ حوالي ٢٥٠
عصر الديناصور	منذ حوالي ٢٠٠
عصر الثدييات	منذ حوالي ٦٥
تكوين سلاسل جبال الألب والهمالايا	منذ حوالي ٤٠
العصر الجليدي	منذ حوالي ٣-٢
أواخر عصر الحياة الحديثة (ظهور الانسان)	-

ورغم أن بعض موضوعات الخلق التي يطرحها القرآن لم تتلق
للآن توكيدا من المعطيات العلمية فإنه لا يوجد على أي حال أي تعارض بين
القرآن والعلم في جميع القضايا المطروحة ، وذلك أمر مدهش يستحق
الإشارة ، وخاصة وقد ظهر لنا بجلاء أن نص العهد القديم الذي نملك
اليوم قد أعطى عن هذه الأحداث الكونية معلومات غير مقبولة من وجهة
نظر العلم .

ان وجود اختلاف بين روايتي القرآن والتوراه عن الخلق جدير
بالذكر هنا لتكذيب الاتهامات التي تدعى ظلما وبهتاناً بأن محمدا
صلى الله عليه وسلم قد نقل روايات التوراه فيما يتعلق بالخلق ، هذه
الاتهامات التي انتشرت بالباطل منذ بداية الاسلام وحتى الآن لا أساس
لها من الصحة . فكيف يمكن لانسان منذ أربعة عشر قرنا تقريبا أن
يصحح الى هذا الحد الرواية الشائعة في ذلك العصر عن الخلق مستعبدا
جميع الأخطاء العلمية ، علاوة على التصريح بمعطيات أثبت العلم أخيرا
صحتها في عصرنا . ؟ هذا أمر نستطيع ادراكه فقط اذا اعترفنا بأن
القرآن الكريم هو كتاب الله (وليس من قول بشر) وأن محمدا رسول الله
للبشرية كلها .

وختاما فان خلق الكون كان عملية جبارة عملاقة ولكنها تتضاءل
أمام قدرة الله الفائقة الشاملة الذي يمتد عرشه فوق العالمين ،
يقول سبحانه :

« الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده
الا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من
علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده
حفظهما وهو العلي العظيم » .

(البقرة : ٢٥٥)

•• الباب الثاني

الحياة على الأرض

٢ - ١ الأصل المائى للحياة

يشير القرآن الكريم الى أصل الحياة بصفة عامة بإيجاز شديد فى الآيه الخامسة بنشأة الكون والتى سبق اقتباسها والتعليق عليها .
يقول تعالى :

(أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) .
(الأنبياء : ٣٠)

والتعبير القرآنى وجعلنا من الماء كل شيء حي أمر منطقى يقرر أن كل شيء حي يتكون أساسا من الماء ، أو أن كل شيء حي نشأ أصلا فى الماء . وكل من التفسيرين وارد ومقبول علميا فالحياة حقيقة أصلها الماء الذى يدخل فى تركيب جميع الخلايا ، ويحتمل أن تكون الحياة قد نشأت أصلا فى البحار الضحلة للأرض المبكرة على هيئة حيوانات دقيقة وحيدة الخلية مثل الطحالب ، ورغم أن معظم النباتات والحيوانات لم تعد بحاجة للحياة فى البحر فإن أجسام جميع الكائنات الحية تتركب من الماء بنسبة ٧٥٪ وبعض المركبات الكيميائية اللازمة للحياة مثل البروتينات والدهون ومركبات الوراثة مثل D.N.A بنسبة ٢٥٪ ، وبذلك فإن الحياة عموما لا تتم الا فى خلايا تتركب أساسا من الماء لتقوم بجميع التفاعلات الكيميائية الحيوية .

ان الحياة تستحيل بدون الماء ، ولهذا فأننا عندما نبحث عن
امكانيات الحياة على الكواكب الأخرى نسأل أولا : هل يحتوى الكوكب
على الماء اللازم لحياتنا ؟

ولقد أثبتت أبحاث الفضاء أن كوكب الأرض هو الكوكب الوحيد
فى المجموعة الشمسية الذى توجد عليه الحياة . وترجع هذه الخاصية
الفريدة للأرض الى حقيقة وجودها على بعد مناسب من الشمس مما يسمح

للماء بالتواجد في الحالة السائلة ، ولو فرضنا أن الأرض اقتربت قليلا من الشمس لتبخر الماء من على سطحها ، ولو ابتعدت قليلا عن الشمس لتجمد الماء على سطحها كما تجمد ثاني أكسيد الكربون على سطح المريخ ، واللون الأزرق للأرض يرجع الى الغلاف المائي الذي يغطي حوالي ٧٠٪ من سطحها كما يتضح ذلك من منظر الأرض من الفضاء الخارجي ، ولولا تدرجات سطح الأرض لانغمر هذا السطح كله تحت الماء .

ومن المعروف علميا أن بخار الماء الذي انبثق من باطن الأرض نتيجة للنشاط البركاني أثناء التاريخ المبكر للأرض قد تكثف في سحب ضخمة أحاطت بالأرض وصبت بذلك كميات هائلة من الماء على هيئة سيول جارفة أغرقت السطح لمئات الملايين من السنين وملات التجاويف التي كونت المحيطات (بعد ازاحة القارات) بالماء . وهذه الحقيقة قد يشار إليها من خلال الآية الكريمة التالية :

« وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء »

(هود : ٧)

والعلم يؤكد نشأة الحياة في المياه التي غطت كل سطح الأرض خلال فترة تاريخها المبكر ، ويمكننا أيضا اعتبار الاستمارة القرآنية هنا تعبيرا عن سلطة الله بوجود عرشه على الماء كسلطان لتنظيم جميع أشكال الحياة .

وتدل النتائج العلمية الحديثة أن أقدم الكائنات الحية ظهورا على الأرض كانت في البحار من المملكة النباتية كالطحالب البحرية التي تم العثور عليها في حفريات عصر ما قبل الكامبري (٣٤٠٠ مليون سنة مضت) ، أما الكائنات الحية التابعة للمملكة الحيوانية فقد ظهرت بعد ذلك وكانت النشأة الأولى أيضا في البحار (راجع فصل ١ - ٨) .

ومعنى لفظ الماء في القرآن يشمل ماء المطر أو ماء البحر بالإضافة الى أي نوع من السائل مثل المنى . وفي المعنى الأول فإن الماء هو عنصر الحياة اللازم لجميع أنواع النبات كما في الآية التالية :

« الذي جعل لكم الأرض مهذا وسلكا لكم فيها سبيلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى »
(طه : ٥٣)

وَأَمَّا الْمَعْنَى الثَّانِي لِلْمَاءِ (أَى سَائِلٌ بَدُونِ إِشَارَةِ إِلَى النَّوْعِ) فَانَّهُ
وَأَرَدَ فِي آيَةِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَبَيَّنَ أَسْلُوبُ تَكْوِينِ كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ مِنَ الْمَاءِ .

« وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ »

(النور : ٤٥)

وبهذا فإن لفظ الماء في القرآن سواء كان متعلقاً بأي نوع من أنواع
الحياة النباتية والحيوانية في الأرض أو بسائل المنى يعطى إشارة إلى
أصل الحياة تنطبق تماماً مع العلم الحديث . ولن نجد في القرآن أي
خرافة من تلك الخرافات التي كانت سائدة في عصر التنزيل .

ولقد حاول البيولوجيون حديثاً دراسة الخلية الحية ولكنهم ما زالوا
عاجزين عن إدراك السر الأعظم أي سر الحياة . وفي خلال السنوات
الأخيرة قام العلماء بتعريض خليط من الغازات التي تشبه الجو الابتدائي
للأرض (مثل خليط الأيدروجين والميثان والأمونيا وبخار الماء) لشراة
كهربية ولاشعاع وصدمات فتولد بذلك داخل أنابيب التجارب راسب
قطرائي من جزيئات عضوية أغلبها يدخل في تركيب الجزيئات المعقدة
الخاصة بالحياة ، وبهذا استنتج العلماء أن الحياة قد نشأت من مواد
الأرض في تاريخها المبكر خلال بضع مئات من ملايين السنين التي مرت
على نشأة الأرض حيث أذابت مياه البحار الضحلة القديمة كمية لا بأس
بها من هذه الغازات فتكون سائل يشبه الحساء المنتن !

ولقد تبين من خلال دراسة الحفريات القديمة أن الخلايا الحية
ظهرت في هذا السائل المنتن بعد حوالي بليون سنة من تاريخ الأرض
وكانت أولى هذه الخلايا أحياء وحيدة الخلية طافية كالطحالب فوق
سطح البحر .

والخلية الحية عبارة عن تركيبات وتنظيمات وتفاعلات كيميائية
بالغة التعقيد تسمح بحركة الخلية وأداء جميع وظائفها من هضم الغذاء
ونمو وتكاثر . والسر المذهل والمحير حتى الآن هو كيف أن الجزيئات
العضوية التي نشأت في ذلك الحساء المنتن استطاعت أن تجمع نفسها
داخل جدار هذه الخلية الحية التي صممت جزيئاتها بمنتهى الدقة
لتؤدي وظائفها الحيوية ؟

ويدعو القرآن الإنسان دائماً إلى أن يتأمل نشأته المتواضعة

فجسمه الممثل، بالأسرار يتكون أصلا من مواد الأرض أو بمعنى أدق من مادة الطين المنتن أو الصلصال كتعبير عن النشأة الأولى .

« الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين،

(السجدة : ٧)

وليس هناك شك أن المحيطات القديمة التي كانت موجودة خلال التاريخ المبكر للأرض كانت غنية بالجزيئات البسيطة اللازمة لنشأة الحياة في الماء أو الطين أو الأرض ، ولكن الحقيقة أن أحدا من العلماء لم يستطيع أن يصل الى سر الحياة حتى في أبسط الخلايا الحية . وأنت نفسك تستطيع أن تتصور مدى عظمة السر في خلق المخلوقات الأكثر تعقيدا كالإنسان الذي يتكون جسمه من عدد ضخم من بلايين الخلايا الحية التي تتعاون في نظام وتكامل مذهل ! حقا ان الحياة سر كبير ولن يستطيع العلماء مطلقا تحضير الخلية الحية أو بمعنى آخر خلق الحياة كما هو موضح في الآية القرآنية التالية :

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقلوه منه ضعف الطالب والمطلوب » .

(الحج : ٧٣)

حقا ان الحياة من صنع الله وحده . ولن يستطيع العلماء ولا الأصنام التي تعبدونها ان يخلقوا ذبابا حقيرة ! ان سر الحياة والموت بيد الله سبحانه وتعالى فهو الذي خلقنا ، وعندما نموت على هذه الأرض فلن تكون النهاية ولكننا سنعود الى الله عز وجل لأننا روح منه . يقول سبحانه :

كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » .

(البقرة : ٢٨)

وقوله تعالى :

« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى »

(طه : ٥٥)

٢ - ٢ المملكة الحيوانية والنباتية

ليس من الممكن اقتباس جميع الآيات القرآنية المتعددة التي تشير الى الرحمة الالهية فيما يخص الخيرات التي تنتج من ماء المطر الذي يغذى النبات والحيوان والانسان وتسخير كل شيء لخدمة ومتاع الانسان كما في قوله تعالى :

« والأنعام خلقها لكم فيها دفر ومنافع ومنها تأكلون* ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون* وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرفوف رحيم* والخيول والبغال والحمر لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون* وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين* هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون »

(النحل - ٩ - ١١)

ومن الواضح هنا أن مجرد التأمل في الطبيعة من حولنا يكفي لتوضيح العناية الالهية الكريمة الحكيمة في تسخير قوى الطبيعة لخدمة الانسان وتيسير حياته .

ومن المدهش في هذه الآيات أن القرآن يشير الى بعض الحيوانات كوسائل للمواصلات البرية ، ثم يضيف عبارة « ويخلق ما لا تعلمون » ، وهذا يعني أن الله سوف يخلق دائما وسائل جديدة بالهام عقل الانسان لاختراع هذه الوسائل . وقد نفهم من سياق هذه الآية في عبارة « ومنها جائر » أن بعض هذه المخترعات من وسائل النقل جائر وعدواني (مثل قاذفات القنابل) لأن بعض العقول البشرية يتسبب عليها التفكير المادي بدرجة تفقد معها الارتباط الروحي كما هو الحال للأهني في عصرنا الحاضر .

والقرآن الكريم يضيف الى الآيات العسامة التي تصف النباتات والحيوان آيات أخرى تشير الى مواضيع أكثر تخصصاً في هذه المملكة كما يلي :

١ - التوازن العام للخلق

يقول تعالى :

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من

كل شيء موزون »

(الحجر : ١٩)

٢ - تنوع الأكل

يقول تعالى

« وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وذرع

ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل

بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك آيات لقوم يعقلون »

(الرعد : ٤)

٣ - تناسل النبات

التكاثر الجنسي في النبات يتم عادة بتزاوج الأعضاء الذكرية

والانثوية على نفس النبات أو على زوجين منفصلين ، ويشير القرآن الى

التكاثر في النبات بقوله تعالى :

« وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى»

(طه : ٥٣)

وكلمة زوج (والجمع أزواج) لها معنى التزاوج والتكاثر بالمعنى

الجنسي ، ولها معنى الترابط (كما في حالة الحذاء عندما نقول زوج

من الأحذية) ، وفي حالة النبات فان الفاكهة على سبيل المثال تعتبر

النتائج النهائي لعملية التكاثر في الزهرة التي تحتوي عادة على أعضاء

التذكير والتأنيث ، وعندما تصل حبوب اللقاح من عضو التذكير الى عضو

التأنيث تتكون الثمرة التي تنضج بدورها وتعطي البذور ، وبهذا فان

جميع الفواكه لابد لها من وجود أعضاء التذكير والتأنيث ، وهذا واضح

في الآية القرآنية التالية في قوله تعالى :

« ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين »

(الرعد : ٣)

« فأنبأنا فيها من كل زوج كريم »

(لقمان : ١٠)

ويكرر القرآن دائما ذكر موضوع الأزواج في المملكة النباتية ، ويعطى اشارة فى آيات أخرى الى تواجد الأزواج المعروفة بصفة عامة فى هذا الكون دون تحديد ، كما يتضح ذلك من نص الآيتين التاليتين .

« ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »

(الداريات : ٤٩)

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون »

(يس : ٣٦)

٤ - كل شيء موجود فى أزواج

الآيتان السابقتان تثيران الدهشة ويمكن تقديم افتراضات عديدة عن معنى الأزواج المشار اليها هنا فى أشياء لم يكن الناس يعرفونها فى عصر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وعلى سبيل المثال والافتراض فقد تشير هاتان الآيتان الى وجود المادة المضادة التى تم اكتشافها حديثا . فالمادة المضادة موجودة حقا فلكل جسيم نجد جسيما مضادا له ، وحيث أن البروتون مثلا موجود فإن البروتون المضاد لابد وأن يكون موجودا ، ومن المعروف الآن أنه عندما يكتشف أحد علماء الفيزياء النووية جسيما جديدا فى تجربته فإن عليه أن يدرك حتمية وجود جسيم مضاد جديد ، ومن المعروف الآن انه عندما تتقابل المادة والمادة المضادة فإن كلا منهما يفنى الآخر وتخفى أزواج المادة وتتحول الى اشعاع ذى طاقة عالية . وبهذا فاننا اليوم نعرف عن تركيب الأزواج كثيرا فى هذا الوجود ابتداء من العالم المتناهي فى الصغر الى العالم المتناهي فى الكبر سواء كان ذلك فى عالم الأحياء أو عالم الجماد . والمهم هنا أن نستنتج أن القرآن الكريم فى توافق تام ودائم مع العلم !

٥ - الإشارة الى وجود الجماعات الحيوانية

يقول الله تعالى :

« وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون »
(الانعام : ٣٨)

وعبارة دابة في الأرض تشمل كل الكائنات الحية في الماء
كالأسماك والزواحف والحشرات وأيضا الحيوانات ذوات الأربع .
أما الطيور فهي مذكورة بصفة خاصة في هذه الآية وتشمل كل حيوان
طائر حتى الثدييات منها مثل الحفاش وكلها تعيش حياة اجتماعية
وشخصية مثلنا تماما فهي فعلا أمم أمثالنا ، ولقد درس العلماء حديثنا
في السنوات الأخيرة سلوك الحيوانات واكتشفوا وجود جماعات حيوانية
حقيقية ، وأكبر دليل على ذلك جماعة النحل التي كانت محور أبحاث
العلماء فون فريش ولورنز وتبرجن الذين حصلوا على جائزة نوبل
عام ١٩٧٣ تقديرا لبحوثهم في هذا الموضوع .

والنحل موضوع لاطول تعليق عن المملكة الحوانية في القرآن
كما في قوله تعالى :

« وأوحى ربك الى النحل ان لاتخذى من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون ﴿٦٨﴾ ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل
ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء
للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »

(النحل : ٦٨ : ٦٩)

وهنا يشار الى غرائز النحل على أنها سبل الله وتعليماته ، ولقد
أثبت العلم أن للنحل نظاما عصبيا رائعا يشكل قاعدة السلوك ، ولقد
أوضح فون فريش في تجاربه الحديثة أن النحل يملك وسيلة للتخاطب
وذلك عن طريق الرقص كتعبير لارشاد زملائه عن اتجاه ومكان وبعد
الزهور التي تحتوى على الرحيق .

وتشير الآية أيضا الى امكانية استخدام عسل النحل كدواء للانسان
والغسل فعلا مفيد جدا فى علاج بعض الأمراض .

حقا أن النحل هو احدى معجزات خلق الله فى الطبيعة من حولنا .
والنحل أيضا يعيش فى جماعات ويصف الله سبحانه وتعالى اللغة الخاصة
بالنمل فى قصة سيدنا سليمان .

« حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
لا يشعرون »

(النمل : ١٨)

٦ - الأوامر الإلهية للطيور :

الآيات التالية تقرر خضوع الطيور المطلق لسلطان الله كما في
قوله تعالى :

« ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن
إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون »

(النحل : ٧٩)

« أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن
إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير »

(الملك : ١٩)

ويمكن التقريب بين هذه الآيات التي تبرز الارتباط الوثيق جدا
لسلوك الطائر الموجه من الله وبين المعطيات الحديثة التي أوضحت درجة
الكمال التي وصل إليها بعض أنواع الطيور في التخطيط لبرامج
تنقلاتها ! أن وجود برنامج هجرة مسجل على الشفرة الوراثية للطيور هو
وحده الذي يستطيع ان يعلل تلك المسارات المعقدة والطويلة جدا التي
تقوم بها طيور صغيرة السن ودون تجربة سابقة وبلا أى قائد لتعود بعد
ذلك الى نفس المنطلق في تاريخ محدد . وعلى سبيل المثال الطائر المعروف
باسم Matton الذي يقوم برحلة تصل الى مسافة قدرها ١٥٥٠٠ ميل
على شكل حرف 8 عبر المحيط الباسيفيكي في زمن قدره ستة شهور
ليعود الى المكان الذي انطلق منه بتأخير أسبوع واحد على الأكثر !

ومن المقبول علميا الآن أن التوجيهات المعقدة لرحلات الطيور لا بد
وأن تكون مسجلة على خلايا الطائر العصبية ولاشك انها خطت بدقة
في برنامج مسبق !! فمن المخطط اذن ؟

٩ - اصول مكونات اللبن :

لقد بحث الدكتور بوكاى(*) هذا الموضوع وقرر أن القرآن حدد أصل مكونات لبن الحيوان بما يتفق مع العلم الحديث . ولقد أعطى الدكتور بوكاى تفسيراً مقارناً لتفسير المنتخب (المجلس الأعلى للشتون الإسلامية بالقاهرة ١٩٧٣) الذى يعتمد على معطيات علم وظائف الأعضاء وذلك بالنسبة للآية القرآنية التالية :

« وان لكم فى الأنعام لعبرة نسيتكم مما فى بطونه من
بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين »

(النحل : ٦٦)

ويشرح الدكتور بوكاى هذه الآية بالرجوع الى أسس علم وظائف الأعضاء كما يلى :

« تأتى المواد الأساسية التى تقوم بتغذية الجسم عامة من تفاعلات كيميائية تحدث فى القناة الهضمية ، وتأتى هذه المواد من عناصر موجوده فى محتوى الأمعاء ، وعندما تصل هذه المواد الى المرحلة المطلوبة فى التفاعل الكيميائى فانها تمر عبر جدار الأمعاء نحو الدورة الدموية العامة ، ويتم هذا الانتقال بطريقتين ، اما مباشرة على طريق الأوعية الليمفاوية أو بشكل غير مباشر بواسطة الدورة البابية التى تنقل هذه المواد الى الكبد حيث تقع عليها بعض التعديلات ، ثم تخرج من الكبد لتذهب فى النهاية الى الدورة الدموية ، وبهذا تمر خلاصة المواد الموجودة بالأمعاء الى الدورة الدموية العامة . »

وتغذى الغدد الثدييه (التى تفرز مكونات اللبن) بمنتجات هضم الأغذية التى تأتى إليها من الأمعاء بواسطة الدم الدائر ، وبهذا يلعب الدم دور المحصل والناقل لهذه المواد المستخرجة من الأغذية ليغذى الغدد الثدييه المنتجة للبن مثلما يغذى باقى أعضاء الجسم . أى أن اللبن يتكون ابتداءً من مواجهة محتوى الأمعاء (الفرث) مع الدم خلال الجدار الأمعائى نفسه ، هذه المعلومة تعتبر اليوم من مكتسبات الكيمياء

(*) د. موديس بوكاى - المرجع السابق - ص ٢٢٣ .

وفسيولوجيا الهضم التي كانت بالتأكيد غير معروفة مطلقا في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وترجع معرفة هذه الأمور العلمية فقط الى العصر الحديث ، فاكتشاف الدورة الدموية مثلا تم بعد عشرة قرون تقريبا من نزول القرآن .

القرآن حقا كتاب الله الذي يعطينا المقومات الروحية من خلال الاشارة الى بعض التركيبات المادية الرائعة في الخليقة من حولنا والتي تبين عناية الله ورحمته بمخلوقاته ! ان التحولات العجيبة التي تحدث في العالم الفيزيائي علامة واضحة للحكمة الالهية المطلقة ، وهذه التحولات تعطى تركيبات معقدة تفوق أحيانا مستوى ادراك العقل البشري ، وعلى سبيل المثال فاننا لا نستطيع تصور كيفية تجمع العناصر المختلفة بالنسب التالية لعدد الذرات في الجزيء الواحد من اللبن :

C1864 H3012 O576 N468 S21

(كربون ١٨٦٤ ، ايدروجين ٣٠١٢ ، اكسجين ٥٧٦ ، نيتروجين ٤٦٨)

• كبريت (٢١)

وهذا الجزيء يتم انتاجه بوفرة (كبروتين في اللبن) من بين

فرت ودم !!



(شكل رقم ٢ - ١)
جنين ناضج قبل ولادته مباشرة

٢ - ٣ التناسل الانساني

اهتم الدكتور الطبيب موريس بوكاي في كتابه بموضوع التناسل الانساني وناقش بالتفصيل الآيات القرآنية الخاصة بهذا الموضوع الميسوي ، وسوف أقتبس فيما يلي بعض تعليقات الدكتور بوكاي (*) . بالإضافة الى الاستعانة بمراجع طبية أخرى ، وأعمال المؤتمرات التي عقدت في مصر والسعودية عن الاعجاز الطبي في القرآن والسنة .

ومن المعروف أن موضوع التناسل الانساني تعرض في القرون الماضية والوسطى بل وحتى في عصر قريب لخرافات وأساطير كثيرة . وكيف لا وخاصة وأن ادراك هذا الموضوع يتطلب من الانسان معرفة علم التشريح واكتشاف المجهر ومعرفة العلوم الأساسية التي تؤدي بدورها الى تقدم علوم وظائف الأعضاء والأجنة والولادة وغير ذلك من فروع الطب الحديث .

ورغم الخرافات التي كانت سائدة ، فإن القرآن الكريم يذكر في مواضع عديدة مراحل التناسل الانساني ويصفها بالدقة والتحديد دون أن يكون في هذه الآيات القرآنية أى عبارة مشنوبة بالخطأ ! فالقرآن الكريم أشار الى المواضيع العلمية فى عبارات بسيطة يسهل على الانسان العادى ادراكها وتتفق أيضا مع ما سيكتشفه العلم الحديث فى المستقبل .

وإذا كان التناسل الانساني مذكورا فى عشرات من الآيات القرآنية دون ترتيب معين ، فإن القرآن يعرض هذا الموضوع فى آيات متفرقة تعالج كل منها نقطة أو عدة نقاط حيوية خاصة . ولا بد من تجميع هذه الآيات وتصنيفها وتكوين فكرة شاملة عنها تمهيدا للتعليق عليها . ويجب علينا أيضا أن نستعرض أولا بعض المعلومات الأساسية فى علوم التناسل الانساني التي كانت مجهولة تماما فى عصر تنزيل القرآن .

(*) د . موريس بوكاي - المرجع السابق - ص (٢٢٥ - ٢٢٧)

وحتى وقت قريب وذلك لكي نستطيع متابعة التفسيرات الجديدة للآيات
القرآنية الخاصة بهذا الموضوع .

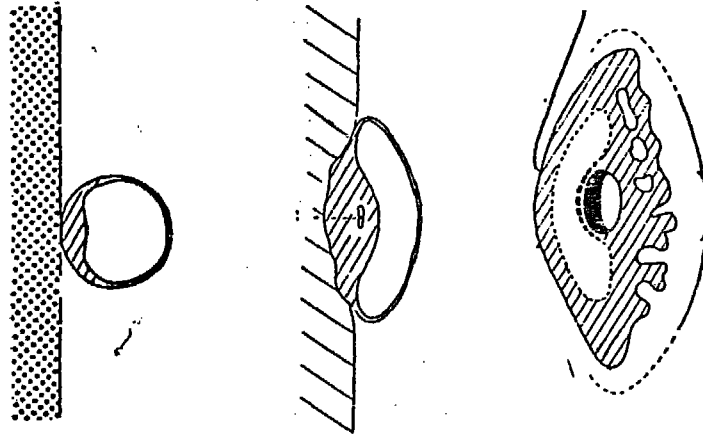
وباستعمال الملخص الذي أعطاه الدكتور بوكاي لهذه المعلومات
وجداول تطور الجنين في الانسان للبروفوسير بلشمدت فاننا سنوفى
نتمكن بعد ذلك بمتابعة مناقشة الآيات القرآنية الخاصة بهذا المجال .

(١) ملخص التناسل الانساني :

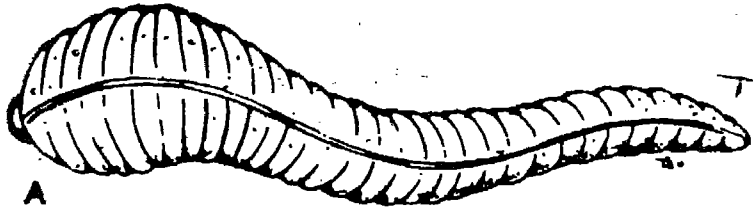
التناسل الانساني مكفول بواسطة سلسلة من عمليات مشتركة بين
كل الثدييات ، تبدأ بعملية الاخصاب في البوق لبويضة انفصلت عن
المبيض في منتصف الدورة الحيضية ، والعامل المخصب هو المنى
أو بالتحديد الحيوان المنوى من الذكر ، وتكفى خلية واحدة أى حيوان
منوى واحد لعملية الاخصاب ، وبهذا فان كمية ضئيلة جدا من هذا
السائل المنوى (الذى يحتوى على عشرات الملايين من الحيوانات المنوية
فى القذفة الواحدة) هى التى تدخل فى عملية الاخصاب (حيث يتم
تلقيح البويضة بحيوان منوى واحد) . وينتج السائل المنوى بواسطة
الخصيتين ويخزن مؤقتا فى جهاز للتخزين وفى القنوات التى تؤدى فى
النهاية الى المسالك البولية ، وتوجد غدد ملحقة متفرقة على طول هذه
المسالك تضيف الى السائل افرازا اضافيا لا يحتوى على عناصر مخصبة ،
وبهذا فان المنى عبارة عن خليط .

وفى نقطة معينة من جهاز الانثى التناسلى تعشش البويضة المخصبة
حيث تهبط عبر بوق من البوقين الى الرحم وتعشش فى الرحم نفسه
شكل (٢ - ٣) وتعلق بجداره حيث تمد جذورها فى عضلة الرحم
بالاستعانة بالمشيمه واذا افترضنا ان البويضة المخصبة تم تثبيتها فى
البوق بدل الرحم فان مثل هذا الحمل الشاذ لن يستمر .

وعندما يتكون الجنين فى البداية فانه يشبه دودة العلق علاوة على
أنه يعلق بالرحم شكل (٢ - ٣) ، ويتطور الجنين بعد مرحلة التعلق
الى كتلة لحمية صغيرة يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولكن لا يمكن فى
البداية تمييز مظهر الكائن الانساني بها شكل (٢ - ٤) . ويتم فى
هذه الكتلة تدريجيا وعبر مراحل متوالية معروفة اليوم جيدا تكون الهيكل
العظمى الذى تحيط به العضلات والجهاز العصبى والدورى والاحشاء
الى غير ذلك . وفيما يلى تقويم بلشمدت لتطور جنين الانسان .



(شكل رقم ٢ - ٢)
 تعلق البويضة المخصبة بجدار الرحم



(شكل رقم ٢ - ٢)
 شكل الملقحة التي تعلق بالرحم



(شكل رقم ٢ - ٤)

مرحلة المضغة في الاسبوع الثالث من الحمل

تقويم بلشيمت

الاسبوع الأول : تطور البويضة قبل تعلقها بالرحم وطول الجنين

١٠ مم

الاسبوع الثاني : تمام تعلق البويضة بالرحم وطول الجنين ١٢ مم

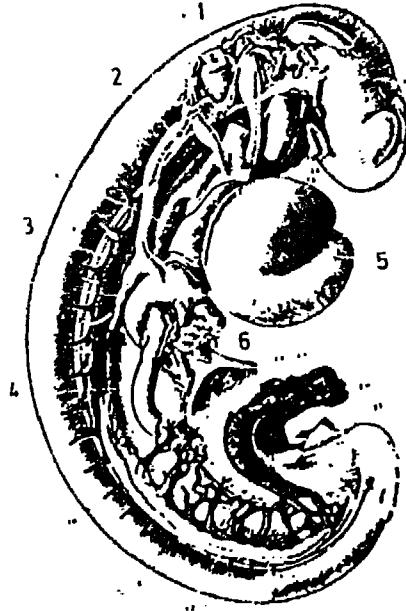
الاسبوع الثالث : مرحلة المضغة بطول يتراوح بين ١٦ مم ،

٢٢ مم شكل (٢ - ٤)

الاسبوع الرابع : ظهور الرأس والرقبة والجذع وبدء غلق جدار

البطن وتكون الجهاز العصبي والأعصاب والهيكلة والاحشاء وطول الجنين

حوالي ٢٥ مم شكل (٢ - ٥)



(شكل رقم ٢ - ٥)

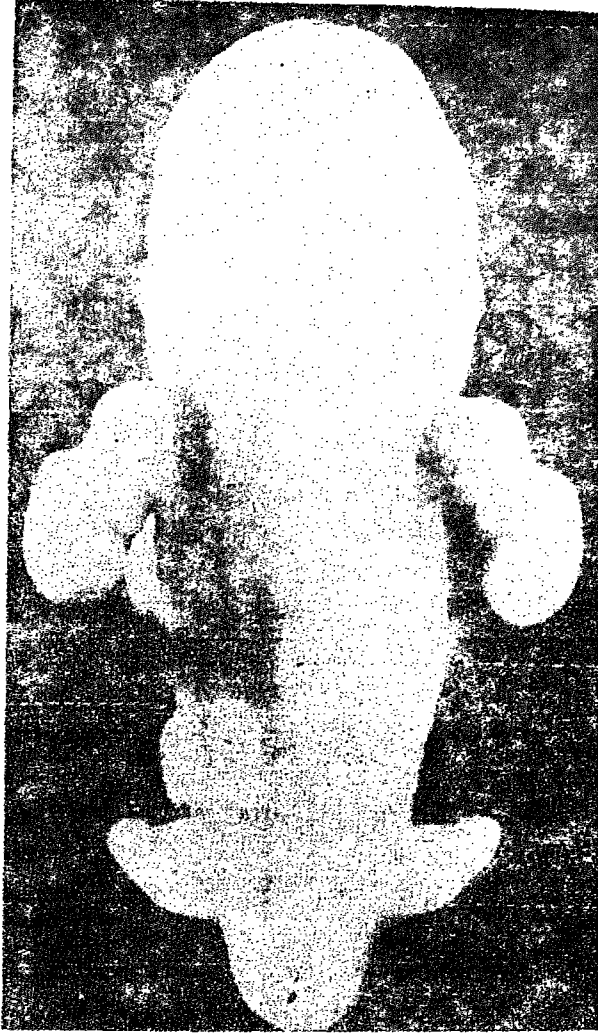
بدأ تشكيل المسفة الى راس ورقبة وجذع وتكون العظام

الشهر الثاني : تكون الحبل السرى ولا يزال الهيكل غضروفيا الى حد كبير مع بداية ظهور الأطراف ويبلغ طول الجنين حوالى ١١ مم فى منتصف هذا الشهر شكل (٢ - ٦) .

الشهر الثالث : الجمجمة كبيرة نسبيا والوجه مائل الى الطول والنهايات رشيقة وطول الجنين يبدأ بحوالى ١٥٥ مم .

الشهر الرابع : الى نهاية الشهر التاسع : النمو تدريجى حتى يصل الى الجنين الكامل شكل (٢ - ١) وطول الجنين حديث الولادة - حوالى ٣٤ سم .

وهذه التفاصيل مفيدة للطبيب ولكنها أيضا نخدمنا كمرجع يوضح لنا المقصود فى بعض الآيات القرآنية عن تطور الجنين . ويمكن للقارىء الرجوع الى كتاب *The Developing Human* للبروفيسير مور باللغة الانجليزية والذي يحتوى على اضافات اسلامية للشيخ عبد المجيد الزنداني تأمين هيئة الإعجاز العلمى للقرآن والسنة بمكة المكرمة (مرجع ٣٨) .



(شكل رقم ٢ - ٦)

بدا ظهور الأطراف في الأسبوع السادس وتغطية العظام باللحم

التناسل الانساني في القرآن :

يقول الدكتور بوكاي بصفته طبيبا أن ترجمات وتفسيرات بعض الفقرات القرآنية تمت بصورة غير دقيقة ومازالت منتشرة في عصرنا ، مما يعطي لرجال العلم فكرة مغلوطة عن هذه الآيات الخاصة بالتناسل ! وعلى سبيل المثال ، تقول معظم هذه التفسيرات بأن الانسان تشكل من

جلطة دم أو من التحام فر البداية ، وهذه العبارة لا يقبلها مطلقا العالم لتخصص في هذا الميدان ، فلم يكن الانسان أبدا شيئا من هذا ، وسف نرى في ما بعد عند شرح تعشيش البويضة في رحم الأم - الأسباب التي من أجلها وقع مستعربون بارزون في مثل تلك الأخطاء لافتقارهم الى الثقافة الملمية . ولهذا يجب اقتران المعارف اللغوية بالمعارف العلمية للوصول الى ادراك معنى الآيات القرآنية عن التناسل .

ويركز القرآن الكريم على التحولات المتوالية التي يمر بها الجنين في رحم الأم حتى نهاية الحمل . يقول تعالى :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء وكنك »

(الانفطار : ٦ - ٨)

وتشرح هذه الآية فكرة تكريم الانسان الذي خلقه الله وجعله في أحسن تقويم وأعطاه قدرات غير عادية ومنحه وسائل يستطيع بواسطتها ان يواجه الحياة ويحقق الأهداف السامية . ولقد رفع الله مرتبة الانسان فوق المخلوقات الأخرى بأن نفخ فيه من روحه كما في قوله تعالى :

« واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون * فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » .

(الحجر : ٢٨ : ٢٩)

وبهذا يؤكد الله سمو الانسان على المخلوقات الأخرى .

ونلاحظ في القرآن ايجازا للقدرة الخلاقة للمولى عز وجل وخاصة عندما يشير الى العملية الرائعة لخلق الانسان مبينا مركزنا الحقيقي في هذه الحياة الدنيا ، ومؤكدا للمستقبل الذي ينتظرنا يوم الحساب في الآخرة : يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« ما لكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا * » .
« والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخرجا » .

(نوح : ١٣ - ١٤ - ١٧ - ١٨)

وتشير هذه الآيات الى الأطوار المادية والروحية في خلق الانسان .

والى جانب هذه الملاحظات العامة هناك آيات أخرى تلفت الانتباه بشكل مباشر نحو نقاط عدة خاصة بالتناسل البشرى ، ويمكن تصنيفها فى المواضيع التالية :

- ١ - تمام الاخصاب بواسطة كمية ضئيلة جدا من سائل المنى .
- ٢ - طبيعة السائل المخصب (المنى) .
- ٣ - تعشش البيضة المخصبة .
- ٤ - تطور الجنين .

١ - تمام الاخصاب بواسطة كمية ضئيلة جدا من سائل المنى

يكرر القرآن هذه المعلومة عدة مرات كما فى قوله تعالى :

« خلق الانسان من نطفة »

(النحل : ٤)

ولقد ترجمت كلمة نطفة بمعنى « كمية ضئيلة جدا من سائل » طبقا لمفهومها فى اللغة العربية . كما أن النطفة هنا جاءت بمعنى كمية ضئيلة جدا من المنى نظرا لأن نفس كلمة نطفة وردت فى آية أخرى مقترنة بكلمة المنى كما فى قوله تعالى :

« الم يك نطفة من منى »

(القيامة : ٣٧)

والكلمة العربية « منى » معناها الحيوانات المنوية .

وهناك آية أخرى تشير الى هذه النطفة المقصودة عندما توضع فى « قرار » وهذا القرار هو الجهاز التناسلى للانثى كما فى قوله تعالى :

« ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين »

(المؤمنون : ١٣)

وهذه الآية توضح نمو البيضة الملقحة فى رحم الأم الذى يصفه القرآن بالقرار المكين حيث ينمو الجنين فى حماية تامة كما لو كان ملكا فى حصنه معتبدا فى ذلك على جسم الأم للحماية والتغذية حتى لحظة مولده والمهم هنا هو التأكيد الوارد فى القرآن عن الكمية الضئيلة جدا ، أى النطفة اللازمة للأخصاب مما يتفق تماما مع ما نعرفه اليوم

عن هذه العملية الجنسية ! بعد رؤية الحيوان المنوى عند اكتشاف
الميكروسكوب بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألف سنة !

٢ - طبيعة السائل المخصب

يصف القرآن هذا السائل الذي يسبب الاخصاب بعبارات وصفات
تستحق الدراسة :

(أ) « مني » كما سبق أن شرحنا في البند السابق في الآية ٣٧
من سورة القيامة .

(ب) « ماء دافق » كما في قوله تعالى :

« خلق من ماء دافق »

(الطارق : ٦)

(ج) « ماء مهين » كما في قوله تعالى

« ألم نخلقكم من ماء مهين »

(المراتل : ٢٠)

(د) « امشاج » : أي ما هو مخلوط أو « مخاليط » كما في

قوله تعالى :

« انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه

سميعا بصيرا »

(الانسان : ٢)

ويرى كثير من المفسرين مثل الأستاذ حميد الله والأستاذ عبد الله
يوسف على ان المقصود بالامشاج هنا هو مخلوط عنصر الذكر وعنصر
الأنثى ، أي بالتحديد العلمي الحيوان المنوى وبويضة الأنثى فيتكون
الجنين الذي أعطاه الله مزايا وقدرات يستطيع بها الإدراك .

وإذا ما تعمقنا في المفهوم المادي لكلمة امشاج نجد انها تشير الى
معنى أشمل من مجرد خليط بين حيوان منوى وبويضة ، حيث اتضح
حديثا ان نقطة المنى تتكون فعلا من خليط من عناصر شتى كما ورد في
تفسير المنتخب (الذي يصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة) ،
ولقد أيد الدكتور بوكاي هذا المفهوم الجديد وأعطى شرحا طبييا لهذا
الخليط « الامشاج » كما يلي :

يتكون السائل المنوي من افرازات مختلفة تأتي من الغدد التالية :

(أ) الخصيتان :

وهي الغدة التناسلية للذكر التي تفرز الحيوانات المنوية التي تتكون من خلايا مستطيلة مزودة بهذب طويل وتسبح فى سائل .

(ب) الحويصلات المنوية :

وتقوم بتخزين الحيوانات المنوية وتقع على مقربة من البروستاتا وتفرز افرازا خاصا لا يحتوى على عناصر مخصبة .

(ج) البروستاتا :

وتفرز سائلا يعطى للسائل المنوي قوامه الغليظ ورائحته الخاصة .

(د) الغدد الملحقة بالمسالك البولية :

وهي الغدد المعروفة باسم كوبر أو ميرى وتفرز سائلا جاريا ، وغدد ليتر وتفرز المخاط .

هذه هي أصول مكونات « الامشاج » أى المخاليط التي يبدو فعلا ان القرآن الكريم يتحدث عنها .

وكما ذكرنا فان القرآن الكريم لم يقتصر على الاشارة بأن السائل المخصب يتكون من مخاليط شتى بل أنه يلفت نظرنا الى أن نسل الانسان يستمر بواسطة شئ يمكن استخراجه من هذا السائل وذلك هو معنى الآية الكريمة التالية :

« وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين »

(السجدة : ٧ - ٨)

وتدعو هذه الآية الانسان الى تأمل نشأته المتواضعة حتى يعلم أن جسده المادى قطعة من الأرض (طين) كتعبير عن الفطرة المادية لخلق الانسان وأن نسله يتكون من « سلالة من ماء مهين » .

واللفظ سلالة يدل فى اللغة العربية على شئ مستخرج من شئ ، أو هو أحسن جزء من شئ ، ومهما كانت طريقة تفسير معنى سلالة فالمقصود فعلا هو « جزء من كل » وليبيان ذلك من الناحية الطبية يقول الدكتور بوكاى ما يلى :

« ان ما يتسبب في اخصاب البويضة ويكفل التناسل هو خلية غاية في الصغر شديدة الاستطالة يقدر طولها بحوالى ٠.٠٠٠ ر.م تدعى الحيوان المنوى ، ويقدر عدد الحيوانات المنوية فى السنتمتر المكعب الواحد من سائل المنى بحوالى ٢٥ مليون حيوان منوى ، ولكن عنصرا واحدا من بين عشرات الملايين (الصادرة من رجل فى الظروف العادية فى عملية قذف واحدة مكونة من عدة سنتمرات مكعبة من هذا المنى) هو الذى يصل الى الولوج فى بويضة الأنثى بينما يتخلف الملايين فى الطريق لعدم نجاحهم فى قطع المسافة التى تؤدى من المهبل الى البويضة عبر تجويف الرحم وبوق فالوب .

وبذلك فان السلالة المشار اليها فى الآية الكريمة هى جزء متناهى الصغر يمثل حيوانا منويا واحدا صادرا من سائل معقد التركيب يسمى « المنى » وهذا الجزء هو وحده الذى يحقق الوظيفة المطلوبة أى يقوم بتلقيح البويضة ! » .

فكيف لا نندهش أمام الاتفاق المذهل بين النص القرآنى والمعرفة العلمية التى اكتسبناها حديثا من دراسة هذه الظواهر !

٣ - تعشش البويضة .

بعد انتهاء عملية التلقيح فى قناة فالوب تنزل البويضة الملقحة لكى تعشش فى التجويف الرحمى ، وهذا ما يسمى بتعشيش البويضة . ويطلق القرآن لفظ الرحم على المكان الذى تستقر فيه البويضة كما فى قوله تعالى :

« ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى . . . »

(الحج : ٥) .

وتعبير ما نشاء يعنى ذكرا أو انثى سواء كان جميلا أو قبيحا طيبا أو متمردا ، . . . وغير ذلك من أسرار المشيئة الالهية فى التناسل والوراثة ، وأما تعبير « ونقر فى الأرحام » فانه يشير الى تعلق البويضة الملقحة بالرحم بواسطة امتدادات حقيقية تشسبه البذور التى تضرب بجذورها فى الأرض . وهذه الامتدادات تجعل البويضة تتعلق بالرحم وتساعدنا على أن تنهل من جدار الرحم ما يلزم لنمو الجنين . ويرجع تاريخ معرفة هذه الحقيقة الى العصور الحديثة لأن هذه العملية المعروفة بتعشيش البويضة وتعلقها فى الرحم بواسطة امتدادات معينة لا يمكن رؤيتها الا بالمجهر .

ويشير القرآن الكريم الى هذا التعلق خمس مرات كما فى قوله تعالى :

« اقرا باسم ربك الذى خلق ﴿ خلق الانسان من علق »

(القلم : ١ - ٢)

وكلمة علق تشير الى شىء يعلق أو يتشبث بشىء وهذا هو المعنى الأول ، وأما المعنى الثانى لغويا فهو جلطة الدم وكثيرا ما نراه للأسف فى التفسير غير أن هذا الأمر غير صحيح ينبغى التحذير منه ، فالانسان لا يمر مطلقا بمرحلة جلطة الدم . وينطبق نفس الأمر على معنى آخر وهو « التصاق » وهذا أيضا ليس دقيقا . وبذلك فان المعنى الأول لكلمة علق أى شىء يعلق ويتشبث هو المعنى الذى يستجيب تماما للواقع الثابت لدينا اليوم ، كما أن كلمة علق تعنى فى اللغة العربية أيضا دودة العلق التى تشبه الجنين فى بدء تكوينه شكل (٢ - ٣) .

ويذكر القرآن العلقة فى أربع آيات أخرى تتحدث عن التحولات المتوالية ابتداء من قطرة المنى حتى نهاية الحمل كما فى قوله تعالى :

« فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة .. »

(الحج : ٥)

« ثم خلقنا النطفة علقة »

(المؤمنون : ١٤)

« هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة »

(غافر : ٦٧)

« ألم يك نطفة من منى يهمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى »

(القيامة : ٣٧ : ٣٨)

ويصف القرآن الكريم العضو الذى يستقر به الجنين بكلمة فى العربية تدل اليوم على الرحم كما رأينا ذلك ، وفى بعض الآيات الأخرى يعبر عنه بلفظ القرار كما فى قوله تعالى :

« ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه فى قرار مكين »

(الرسائل : ٢٠ - ٢١)

« ثم جعلناه نطفة في قرار مكين »

(المؤمنون : ١٣)

حقا ان نمو الجنين واستقراره في حماية وسكون في رحم الام وكذلك امداده بمقومات الحياة عن طريق دم الام اثناء فترة الحمل معجزة الهية !

وهنا آية قرآنية تحتاج لتفسير دقيق كما في قوله تعالى :

« يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث »

(الزمر : ٦)

ويعتقد المفسرون حديثا أن هذه الظلمات الثلاث تمثل الطبقات التي تحمي الطفل أثناء الحمل أي جدار بطن الأم وجدار الرحم وأغشية الجنين (المشيمة والأغلفة الرقيقة والسائل الأمنيومي) ، وهذا التفسير غير قابل للجدل من وجهة النظر التشريحية ويسأل الدكتور بوكاي : أهذا هو حقا المقصود بالظلمات الثلاث في نص الآية الكريمة ؟ ولقد أعطى الأستاذ / عبد الله يوسف علي في ترجمته للقرآن تفسيراً مماثلاً لهذه الظلمات ، ولكنه أضاف أننا يمكننا فهم العدد ثلاثة على أنه رمز للتعدد باعتباره أقل مراتب الجمع فهل الظلمات متعددة ؟

٤ - تطور الجنين في الرحم

لقد ثبت أن تطور الجنين في الرحم يتفق تماما مع الوصف القرآني الذي لا يحتوي بدوره على أي عبارة يستطيع العلم الحديث أن ينقدها .

ويذكر القرآن ان الجنين يعد مرحلة التشبث أي مرحلة العلق (التي شرحناها سابقا) يمر بمرحلة أخرى تعرف بالصفعة (أي اللحم المضغوغ) ثم يظهر بعد ذلك النسيج العظمي الذي يغلف باللحم (أي اللحم النضر) كما في قوله تعالى :

« ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغفة فخلقنا
المضغفة عظاما فكسونا العظام لحما »

(المؤمنون : ١٤)

والمضغة هنا تشير الى ما يشبه اللحم المضغوط . أما اللحم الذي يكسو العظام فانه اللحم النضر ، وهذا التمييز يستحق الالتفات اذ أن الجنين في المرحلة الأولى من تطوره يكون كتلة صغيرة تبدو فعلا للعين المجردة كاللحم المضغوط شكل (٢ - ٤) .

ويتكون الهيكل العظمى فى الكتلة (المضغة) وبعد تشكيل العظام فانها تنغطى بالعضلات التى يسميها القرآن لحما فى نهاية الآية .

والمعروف علميا أن بعض الأجزاء تبدو غير متناسبة (أثناء فترة تطور الجنين) مع ما سيكون عليه الفرد فى المستقبل ، على حين تتكون أجزاء متناسبة وهذا يفسر كلمة « مخلوق » أى مشكل بنسبة كما فى قوله تعالى :

« فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة »

(الحج : ٥)

وبالرجوع الى قائمة بلشملت المذكورة سابقا يمكننا ملاحظة التطور فى المضغة المخلقة وغير المخلقة !

ويذكر القرآن أيضا ظهور الحواس والأفئدة كما فى قوله تعالى

« ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » .

(السجدة : ٩)

وقد ترجمت الأفئدة باللفظ الانجليزى Viscerae أى الاحشاء ولو أن بعض المفسرين يعتبرونها الشعور أو الادراك . ونلاحظ هنا ان حاسة السمع المذكورة قبل حاسة الأبصار ! وهذه المرحلة هى نهاية تطور الجنين الذى نفخ الله فيه من روحه كتكريم للانسان ، ولكن قليلا من الناس هم الذين يشكرون الله على هذه النعمة !

يشير القرآن الكريم أيضا الى تشكيل الجنس كما فى قوله تعالى

« وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى* من نطفة اذا تمنى »

(النجم : ٤٥ : ٤٦)

وقوله تعالى :

« فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى »

(القيامة : ٣٩)

وبالإضافة الى ما تقدم يذكر القرآن معلومات عن الرضاعة وعن القواعد التي يجب اتباعها كما في قوله تعالى :

« **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** »

(البقرة : ٢٣٣)

وتوضح هذه الآية قواعد معينة مثل

١ - الأم يجب عليها ان ترضع طفلها لأن حق الطفل ألا يحرم من ثدي الأم .

٢ - المدة الكاملة للرضاعة تمتد عامين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة ، ومعنى هذا فإن هذه التغذية في بعض الحالات تكون اختيارية . ولقد تبين حديثا من الناحية العلمية أنه يمكن الاستغناء عن الرضاعة الطبيعية في جزء كبير من السنة الأولى .

هذا هو التناسل الانساني كما يعرضه القرآن الكريم ويقول الدكتور بوكاي معلقا في كتابه عن هذا الموضوع :

« بمقارنة الآيات القرآنية في هذا الموضوع بالمعلومات التي ثبتت في العصر الحديث سنجد توافقا تاما بين القرآن والمعلومات الحديثة . ومن المهم أيضا مقابلة هذه الآيات بالمعتقدات العامة التي كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن حتى ندرك الى أي حد كان معاصرو هذه الفترة بعيدين عن امتلاك معلومات تشبه تلك التي عرضها القرآن في هذه المسائل ! وليس هناك أدنى شك في أن هؤلاء المعاصرين لم يعرفوا في ذلك العصر تفسير هذا الوحي القرآني في مثل هذه الآيات بنفس المستوى العلمي الذي نعرفه اليوم ، ذلك أن معطيات العلم الحديث تساعدنا الآن كثيرا على تفسيرها ، والواقع أن المتخصصين طبيا لم يكتسبوا معرفة علمية واضحة الى حد ما عن هذا الموضوع (التناسل الانساني) الا في القرن التاسع عشر ، حقا ان القرآن يحتوي على آيات تعبر بايجاز وبساطة عن حقائق علمية أساسية احتاج الانسان لقرون طويلة لاكتشافها ! وهذا هو الاعجاز الخالد للقرآن .»

القرآن والتربية الجنسية

لم تمر الآيات القرآنية على الجوانب العملية مرورا سطحيا ، بل أننا نجد في القرآن حشدا من التفاصيل عن الحياة العملية فيما يختص بالسلوك الذي يجب أن يتبعه الناس في عديد من ظروف

القرآن الكريم - ١٤٥

حياتهم ! ، ولم يستبعد القرآن الحياة الجنسية ، وهناك آيتان قرآنيتان تخصان العلاقة الجنسية ويذكرهما القرآن بالفاظ تربط بين الرغبة فى الدقة والاحتشام اللازم !

ولقد اقتبس الدكتور بوكاى التعليق الذى قدمه الدكتور عبد الكريم حبرور الأستاذ السابق بكلية الطب ليقدم لنا ترجمة جديدة لهاتين الآيتين يقول الله تعالى عن خلق الانسان .

« خلق من ماء دافق* يخرج من بين الصلب والترائب »

(الطارق : ٦ - ٧)

ويعتقد الدكتور بوكاى أن لفظ « الصلب » فى صيغة المفرد يشير الى المنطقة الجنسية للرجل بينما يشير لفظ « الترائب » فى صيغة الجمع الى المنطقة الجنسية للأنثى ، ولكن هذا التفسير يختلف كثيرا عن المعنى الآخر الذى أعطاه المنتخب (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) والذى يفسر وترجم هذه الآية بمعنى أن الله خلق الانسان من سائل متدفق يخرج من بين العمود الفقرى (الصلب) وعظام الصدر (الترائب) ، ولقد اعتمد مؤلفو المنتخب فى ذلك على دراسات فى علم الأجنة تشير الى الظهور المبكر للجهاز البولى التناسلى فى مكان يقع بين العظام الغضروفية للعمود الفقرى وعظام الصدر !

ويشير القرآن أيضا بوضوح الى سلوك الرجال فى علاقتهم مع نسائهم ، فهناك توجيه خاص يحرم الاتصال الجنىسى فى فترة الحيض كما فى قوله تعالى :

« ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأنوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب المتساوين ويجب المتطهرين * نساؤكم حرث لكم فأنوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملائقوه وبشر المؤمنين » .

(البقرة : ٢٢٢ - ٢٢٣)

ولبداية هذه الآية معنى واضح تماما : فتحريم اقامة علاقات جنسية مع امرأة حائض أمر قاطع ! أما الجزء الثانى من الآية فيشسبه الجماع بعملية الحرث الذى يسبق عند الزارع وضغ البذور التى ستنبث زرعاً جديداً ، ومعنى ذلك أن الآية تؤكد بشكل مباشر عبر هذه الصورة المجازية على أهمية اعتبار الانجاب الهدف النهائى للعلاقة

الجنسية • فالانسان يزرع البذور ليحني المحصول ولذلك فهو يختار الوقت المناسب والطريقة المناسبة للزراعة ويجب عليه الا يضع البذور الا في موسم زراعتها ولا يزرع بطريقة تتلف الأرض ، ويجب علينا أن نضع في اعتبارنا العلاقات الانسانية المتبادلة بمنتهى العقل والحكمة والبعد عن التهور ومراعاة الجانب الروحي في كل الأمور الجنسية لاننا مسئولون أمام الله الذي كرم الانسان وأعطاه احتراماً مؤكداً في القرآن الكريم في عدة آيات • ولهذا فان الاسلام يدين الاجهاض جذريا ، ويحرم الزنا تحريماً قاطعاً ! ويركز على الجوانب العاطفية والروحانية بين الزوجين ، كما في قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الروم : ٢١) •

ويشير القرآن الكريم مرة أخرى للحيض لبيان أحكام الطلاق كما في قوله تعالى •

« واللاتي يسنن من المحيض من نساءكم ان يرتبتم
فعدتهن ثلاثة اشهر واللاتي لم يحضن وأولات الأحمال اجلهن
ان يضعن حملهن ... »

(الطلاق : ٤)

والفترة المشار اليها هنا هي تلك التي تمر من بدء اعلان الطلاق وحتى يصير فعليا • والنساء اللاتي يقول القرآن عنهن « يسنن من المحيض » هن اللاتي بلغن سن اليأس حيث خصص القرآن لهن ، احتياطاً فترة ثلاثة شهور ، وبعد هذه الفترة تستطيع تلك النساء المطلقات اللاتي انقطع طمهن أن يتزوجن ، أما بالنسبة الى النساء اللاتي لم يحضن بعد فلا يكون الطلاق فعليا الا بعد الوضع •

وبالإضافة الى هذه القواعد فاننا نجد في القرآن في النصوص الخاصة بالترمل نفس الأحكام السديدة كما في قوله تعالى :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن
أربعة اشهر وعشرا »

(البقرة : ٢٣٤)

وهنا نلاحظ أن فترة انتظار الأرملة بعد وفاة زوجها قد امتدت الى فترة أطول من مثيلتها في حالة الطلاق وذلك نظراً لاعتبارات الحداد

اللازم واحترام الزوج المتوفى . علاوة على أن كل هذه التشريعات تنفق تماما مع المعطيات الفسيولوجية للتأكد من خلو الأرحام وعدم اختلاط الأنساب .

ويعالج القرآن أيضا كافة المشاكل الاجتماعية الخاصة بالزواج ومعاملة النساء واليتامى وقواعد الميراث وحقوق الانسان والأسرة وغير ذلك من مواضيع انسانية لاتدخل ضمن اختصاص هذا الكتاب ، ولكنني أريد هنا فقط أن أوضح سؤالا يتردد دائما في الغرب عن تعدد الزوجات في الاسلام ، والجواب على هذا السؤال واضح في الآية القرآنية التالية :

« وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا » .

(النساء : ٣)

ونلاحظ هنا أن الجملة الشرطية المتعلقة باليتامى مذكورة مباشرة قبل طرح موضوع تعدد الزوجات وهذا يذكرنا بالمناسبة التي نزلت فيها هذه الآية الكريمة وذلك عقب معركة « أحد » في فجر الاسلام عندما ترملت كثير من النساء وكثر عدد اليتامى والأسرى ، ونزل بذلك الوحي الالهي لمعالجة هذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة ، ورغم أن مناسبة نزول الآية قد مضت فان المبدأ مازال قائما فتعدد الزوجات مشروع في حالات خاصة اذا كان الرجل متأكدا من اقامة العدل التام بين النساء .

ولقد كان عدد الزوجات غير محدد أثناء الجاهلية (قبل ظهور الاسلام) ، ولكن الاسلام حدد العدد بأربع زوجات طبقا لنص الآية الكريمة السابقة على فرض اقامة العدل والمساواة بينهن في الامور المادية وغير المادية ، وحيث أن هذا الشرط صعب فأنني أفهم الآية على أنها توصية بزوجة واحدة لأن اقامة العدل بين النساء مستحيل طبقا لقوله تعالى :

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »

(النساء : ١٢٩)

وبهذا فان تعدد الزوجات الى أربعة على الأكثر أمر مشروع بشرط اقامة العدل بينهن ولكن الواقع هو استحالة توفر هذا الشرط والأفضل هو الاكتفاء بزوجة واحدة خوفا من عدم العدل ، ولكن الاسلام فتح الباب لتعدد الزوجات في ظروف وبشروط معينة ، وعلى سبيل المثال فانه في

حالات الحروب ينقص عدد الرجال بصورة ملحوظة ويصبح تعدد الزوجات حلا مثاليا مثل هذه المشكلة الخطيرة بدلا من ارتكاب جريمة الزنا المحرمة قطعيا في الاسلام . ويجدر بنا هنا أن نذكر الحديث الذي يشير الى ظهور مرض مثل الايدز نتيجة لانتشار الزنا واللواط والجهر بهما في مجتمعات جديدة في قوله صلى الله عليه وسلم : « ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها ، الا ابتلوا بالطواغيت والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا » . . . (حديث شريف) .

وطبقا لما تقدم فان آيات القرآن الكريم الخاصة بالتناسل الانساني والآيات الخاصة بالتوجيهات العملية للحياة الزوجية تتفق كلها مع معطيات المعارف الحديثة ولا تتعارض مع ما يمكن ان يكتشفه العلم ، كما أن تعدد الزوجات لا يتعارض أبدا مع حقوق الانسان .

ولقد لاحظنا باستعراض آيات القرآن في علم الأجنة عظمة ودقة هذه الآيات .

ويجب أن نعلم ان الانسان بما فيه من قوة وعظمة وكبرياء وبما فيه أحيانا من تسلط وظلم واعتداء على حقوق الآخرين ليس الا مجرد نطفة من ماء مهين تنطلق من مجرى البول لكي تستقر في مكان ضيق في رحم الأم بتقدير الهى محكم ، ورغم هذا فقد يعلن الانسان العداة والاهمال للحقيقة الالهية ، وقد يكفر بخالقه فلماذا يتكبر الانسان ويعصى أمر الله ويصبح العدو للودود للتعاليم الالهية المقدسة ؟ يقول تعالى :

« خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين »

(النحل : ٤)

فالانسان الكافر يظل في عناده وكبريائه ، وينسى في هذه الحالة أن الله سبحانه وتعالى خلقه من نطفة ، فهل يفكر الانسان ويعلم أنه ضعيف وحقير اذا لم يتسلح بسلاح التقوى والهدى والايمان في نور القرآن الكريم الذي يعتبر المنبع الشامل لهداية البشر كما في قوله تعالى :

« ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين »

(البقرة : ٢)

ويصف القرآن المتقين الذين يخافون الله كما فى قوله تعالى :

« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون* والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك
وبالآخرة هم يوقنون* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم
المفلحون » -

(البقرة : ٣ - ٥)

٢ - ٤ سر الموت

أولا : ما هو النوم :

هناك عدة نظريات تحاول تفسير ظاهرة النوم ولكنها جميعا لا تعطى التفسير الكامل لسر النوم ، فهناك ما يسمى بالنظريات الكيميائية التي تحاول شرح هذه الظاهرة على أساس تراكم مواد سامة في الدم أثناء النشاط والحركة واليقظة ثم يتم التخلص منها أثناء النوم ، ويقترح البعض حدوث أمور غريبة في الدورة الدموية في المخ ، بينما يرى آخرون أن بعض الغدد تفرز موادا تسبب النوم ، أو أن الاجهاد العضلي يؤدي الى النوم ، وأن نقص عوامل الاثارة الخارجية يجعل النوم عميقا ، وغير ذلك من آراء مختلفة وعوامل متعددة قد تشرح جزءا من الحقيقة . ويؤكد العلماء الآن أننا بلا شك لن نصل الى الحقيقة الكاملة لتفسير النوم الا اذا أخذنا في اعتبارنا عاملا هاما وهو وجود قوة حيوية تدعى الروح والتي بدورها تنسحب كليا أو جزئيا من جسم الانسان أثناء ساعات النوم وتكتسب بذلك طاقة حيوية روحية خلال اقامتها المؤقتة في عالم الروح . ويشير القرآن الكريم الى مثل هذه الحقيقة الروحية التي تمثل العمود الفقري للتعاليم الدينية الأصلية في الاسلام كما في قوله تعالى :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

(الزمر : ٤٢)

فالموت نهاية حياتنا المادية ، ولكن الروح لا تموت بل تترك الجسد لتعود الى مستوى معين يسمح لها بادراك أكثر لحقائق العالم الروحي . وطبقا للآية الأخيرة فان النوم شقيق توأم للموت ، وهذه الحقيقة نستطيع ادراكها اذا أخذنا في اعتبارنا بعض الأحلام التي تتيح للنائم

رؤية أشياء واقعية في الماضي والحاضر والمستقبل ، أو لاسخطنا بعض الحقائق الروحية التي يراها بعض الناس رغم أنها فوق مستوى الإدراك العادي .

ولتفسير ظاهرة النوم ينص القرآن الكريم أن الروح تتواجد أثناء النوم في مستوى معين مشابه للموت حيث تنحدر الروح مؤقتا من الجسد بطريقة ما ، وإذا كان مقدرًا للإنسان أن يموت أثناء نومه كما يحدث في بعض الحالات فإن روجه لن تعود إلى جسده وبذلك يبدأ الجسد في الوفاة والتحلل ، وأما إذا كان مقدرًا لهذا النائم أن يعيش بأمر الله فإن الروح تعود إلى الجسد فيستيقظ الإنسان ويستعيد نشاطه في هذه الحياة .

وبالرجوع للقرآن نستطيع أن ندرك كثيرا من الحقائق الروحية مثل :

(أ) الحياة والموت لا يمثلان القصة الكاملة للوجود ، فهناك بالإضافة إلى ذلك العالم الروحي الذي يمثل حياتنا في المستقبل بعد الموت ، ولكن الكفار ودعاة الإلحاد المادي ينكرون ذلك طبقا لادعائهم كما ورد في القرآن الكريم .

« ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن

بمبعوثين » .

(المؤمنون : ٣٧)

وقوله تعالى مبينا ضلال الكفار :

« وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا

الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » .

(المجادلة : ٢٤)

(ب) الحياة الدنيا قد تفقدنا الإحساس بالعالم الروحي بينما الموت يمثل بالتأكيد يقظة تامة بالنسبة لأرواحنا بمجرد مغادرتها لأجسادنا .

(ج) النوم راحة واسترخاء للجسد المادي بالإضافة إلى أنه يعطينا

الإحساس المسبق بالموت .

(د) اليقظة من النوم تشبه عملية البعث بعد الموت .

ثانيا : ماذا يحدث عقب الوفاة :

تعتبر الوفاة من أهم المشاكل المأساوية المثيرة انقائمة بلا حل خلال كل العصور وعند كل الأمم ، وسوف يبقى مشكلة المشاكل وسر هذا الكون ، اننا فى لحظة ما نرى انسانا قويا مفتول العضلات قادرا على بذل مجهود بطولى ، أو انسانا ذكيا وطموحا يلقي الخطب الحماسية فيحرك بها قلوب ملايين البشر ، ويقود الأمم ، ويغير من خريطة العالم وفى لحظة خاطفة كلمح البصر نرى هذا الانسان يرقد أمامنا على الأرض جثة هامدة لا حياة فيها ، أى جثة لا تقوى على القيام بأدنى تفكير أو بذل أقل جهد عضلى لقد تغير كل شيء ، وانتهى الرجل ، وأصبح عاجزا عن التأثير أو السيطرة على أى شيء ، ولم يتبق أمامنا إلا الجثة الميتة الخامدة التى تبدأ تدريجيا فى التحلل بعد الموت لتعود الى نشأتها الأولى فى تراب الأرض . ولا يستطيع العلم (حتى باستخدام الميكروسكوب) ادراك التغير التشريحي فى خلايا الجسم لحظة الوفاة (أى قبل التحلل) ، ولكننا نرى فقط الحقيقة المدهشة المأساوية التى تحدث أمامنا وهى الوفاة أو التحول من الحياة الى الموت . فما هو سر هذا التحول ؟ هل نستطيع أن نفهم هذا اللغز ؟ وما هو الرد على الأسئلة الكثيرة حول الموت التى شغلت العقل البشرى وسستظل لغزا لقرون عديدة ؟ أن الموت هو المشكلة الرئيسية فى العالم الفيزيائى والروحي .

ويخبرنا القرآن الكريم بأن الله أعطانا جزءا يسيرا من العلم الالهى كما فى قوله تعالى :

ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

(الاسراء : ٨٥)

وربما وردت الينا بعض المعلومات الروحية عن طريق بعض الناس الذين يمتلكون قدرة على رؤية أشياء غير منظورة ويطلقون على أنفسهم علماء الأرواح ، ورغم أننى لا اعتمد على هذه المعلومات فاننى أدعو القارىء الى النظر فى أقوال عالم الروح مستر أندرو جاكسون ديفيز الذى يقول فى كتابه :

« عندما يموت الشخص يبرد القدم أولا ، ويمكن لمن لديهم القدرة على رؤية الأشياء الخفية ملاحظة ما يسمى بالهالة المغناطيسية فوق رأس الميت على شكل انبعاث خفاق ذهبي المنظر ، وتستمر البرودة فى الزحف حتى الركبة والمرفق ، ويرتفع انبعاث الهالة تدريجيا فى هواء الحجرة .

ويبرد القدم حتى الفخذ ويبرد الذراع حتى الكتف ، ويزداد حجم الهالة ، وتنتشر البرودة لتشمل الصدر ، وترتفع الهالة قرب السقف ، ويقف التنفس ويضعف النبض ، وعندئذ تتشكل الهالة بهيئة الانسان حيث تتصل بسخ الميت عن طريق حبل ذهبي ، ثم تخفق رأس الميت خفقة بطيئة عميقة غير مؤلمة مثل خفقان العائم في البحر ، ويظل المخ يعمل بصورة ملحوظة بينما تكون جميع خلايا الجسم قد ماتت تقريبا ، ولقد رأيت رجلا ميتا يتكلم لآخر لحظة قبل الوفاة بسبب القصور الذاتي للمخ ، ولكنه في اللحظة التالية ينتهي تماما وتفيض روحه ويكون المخ هو آخر عضو يستسلم للموت :

وأما الانبعاث الذهبي فيستمد كما ذكرنا حتى السقف على هيئة هالة متصلة بالمخ بحبل رفيع وتشكل تدريجيا حيث تتحدد فيها ملامح الوجه ثم الرقبة والاكثاف ثم باقى أجزاء الهالة اللامعة حتى القدم فى تتابع سريع وبصورة مطابقة لجسد الميت ولكنها أصغر قليلا ومشوهة ، ويظل الحبل موصلا بين الهالة ومخ الميت حتى لحظة الوفاة ، وعندئذ ينقطع الاتصال وتتححر الهالة تماما من جسد الميت وتستعد لمصاحبة مرافقيها الى العالم الروحي ! ، ، .

ثالثا : الوفاة والعالم الروحي فى القرآن :

بصرف النظر عن أقوال من يسمون أنفسهم علماء الروح ، فانه من المهم والضرورى أن يرجع الانسان الى القرآن الكريم ليجد فيه الرسالة الروحية الحقيقية ، ولن نخاف الموت عندما نتأمل ونفهم القرآن ، فالدين الاسلامي هو صمام الأمن ضد الفزع من الموت ، وفيما يلى نستعرض بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالموت والعالم الروحي . يقول تعالى :

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور » .

(آل عمران : ١٨٥)

وهنا يقرر القرآن أن الروح لا تموت ولكنها فقط تذوق الموت ، وعندئذ ندرك ان هذه الحياة الدنيا ما هي الا اختبار وأن كثيرا من مظاهرها الجذابة شبكة صيد يرميها الشيطان ليخدع البشر ، وأن الحقيقة الواحدة الخالدة هي حياة الايمان فى ظلال النور الالهى .

والقرآن كتاب مقدس صادق . فكيف يتجرأ الانسان ويهمل فى

استهزاء ما جاء به من آيات كريمة ويرفض الاهتداء بكلمات الله ؟ وبذلك يعجز عن الحياة فى توازن نفسى طالما كان بعيدا عن نور الايمان يقول الله تعالى وحذرا أعداء القرآن :

« فلولا اذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون *
ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا ان كنتم غير
مدينين * ترجعونها ان كنتم صادقين * فاما ان كان من
المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما ان كان من
أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما ان
كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية
جحيم * ان هذا هو حق اليقين » .

(الواقعة : ٨٣ - ٩٥)

هذه الآيات تتحدى الذين لا يؤمنون بالقرآن ويبيوم الحساب وتقول لهم : اذا كنتم تعصون الأوامر الالهية وتفعلون ما تريدون ، فلماذا تقفون عاجزين أمام جسد الميت وهو على فراش الموت ولا تستطيعون ارجاع الروح اليه ؟ وتستطرد الآيات لتقارن بين المصير السعيد للمقربين وأصحاب اليمين ، وبين المصير البائس للمكذبين والكنفار .

وفيما على نستعرض آيات أخرى تشير الى الحساب المؤقت الذى يحدث فور ساعة الموت بقوله تعالى :

« وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناظرة * ووجوه
يومئذ باسرة * تظن ان يفعل بها فاقرة * كلا اذا بلغت
التراقي * وقيل من راق * وظن انه الفراق * والتفت
الساق بالساق * الى ربك يومئذ المساق » .

(القيامة : ٢٢ - ٣٠)

وهنا يرسم القرآن لنا صورة تعبيرية لسكرة الموت . فهناك الوجوه المستبشرة والوجوه الحزينة فى لحظة وفاتها . ويرى بعض المفسرين أن هذه الصورة قد تمثل مشاعر وأوصاف الوجوه يوم القيامة .

وإذا استعرضنا الآيات القرآنية المتعددة التى تتناول موضوع العقاب والثواب نستطيع أن نستنتج وجود ثلاثة أنواع من الحساب .

١ - حساب الدنيا . وهذا يحدث فى حياتنا وقد يؤجله الله لاعطاء المذنبين فرصة للتوبة .

٣ - حساب البرزخ : وهذا يحدث في المرحلة التي تلي الوفاة وتفصل بين الحياة الدنيا والآخرة .

٤ - حساب الآخرة : وهذا يحدث عندما تزول الحياة الدنيا ويظهر عالم جديد يوم القيامة .

وإذا اقتصرنا على حالة البرزخ في المناقشة فإن القرآن الكريم يؤكد وجود هذا البرزخ كما في قوله تعالى مشيرا الى موقف الكفار لحظة الموت :

« حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » .

(المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠)

وبهذا فإن البرزخ هي الحالة التي تستقر فيها الأرواح بعد الموت لحين البعث يوم القيامة .

وفي لحظة الموت يرسل الله ملائكة الموت لتقبض الأرواح وتقودها الى البرزخ كما في قوله تعالى مشيرا الى حالة الكفار في هذه اللحظة :

« ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » .

(الأنعام : ٩٣)

وقوله سبحانه :

« ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » .

(الأنفال : ٥٠ - ٥١)

وأما بالنسبة للمؤمنين فإنهم مكرمون في البرزخ والآخرة كما في قوله تعالى :

« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون » .

(النحل : ٣٢)

وقوله تعالى :

« يا أيها النفس المطمئنة * ارجعي الى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي » .

(الفجر : ٢٧ - ٣٠)

وهكذا يدخل المؤمنون الجنة ويتمتعون بالحياة الآخرة في سعادة تامة وخلود أبدي وتدعو أن تكون من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم في الدنيا والآخرة .

ان حياة البرزخ حياة حقيقية يتمتع بها المتقون والشهداء بعد وفاتهم في الدنيا كما في قوله تعالى :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

(آل عمران : ١٦٩ - ١٧٠)

وبهذا فان الشهداء يعيشون بعد موتهم في حياة برزخية تفوق الوصف في رحاب النور الالهي وفي رعاية المولى عز وجل وهم يفكرون في أحبائهم في الدنيا (الذين لم يلحقوا بهم) ويقولون لهم لا تحزنوا على فراقنا بل استبشروا فنحن سعداء في رحاب الله ، ويؤكد هذا المعنى آية أخرى في قوله تعالى :

« ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون » .

(البقرة : ١٥٤)

حقا ان الحياة الدنيا ما هي الا استعداد لحياة البرزخ وللحساب يوم القيامة حيث المصير النهائي للبشرية ولذلك فان الحياة الأخرى أهم من المظاهر الدنيوية الخادعة كما في قوله تعالى :

(وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » .

(الأنعام : ٣٣)

وبهذا يلفت القرآن الكريم أنظارنا الى عدة نقاط هامة تتعلق بالموت وبالعالم الروحي :

- ١ - الموت بأمر الله ولا مفر منه والنوم شقيق توأم للموت .
- ٢ - الملائكة يرسلهم الله لقبض الأرواح .
- ٣ - وجود مرحلة تدعى البرزخ تستقر فيها الأرواح لحين قيام القيامة .
- ٤ - يوم القيامة والبعث (بعد البرزخ) أحداث عظيمة تمثل انهيار الكون وبدء الحساب النهائي (راجع القرآن الكريم فى وصف هذا اليوم)

٢ - ٥ النبات الأخضر ودورة الحياة

الحياة من وجهة النظر الكيميائية الخاصة بتركيب الكائنات الحية ما هي الا جزء من دورة مستمرة لستة عناصر مادية رئيسية هي الكربون والايديروجين والاكسيجين والنتروجين والفوسفور والكبريت تدور عبر الماء والتراب والهواء على شكل جزيئات عضوية معقدة متبادلة بين الاحياء والاموات . وهذه الدورة يقوم بها النبات الأخضر الذى يصنع الغذاء للمملكة الحيوانية ويمد الهواء بالاكسيجين . ويتحول فى ظروف خاصة الى فحم وزيت فى باطن الأرض كما يلى :

يقوم النبات بواسطة أوراقه الخضراء بعملية حيوية تعرف بالتمثيل الكلوروفيللى أو التمثيل الضوئى ، حيث تقوم الخلايا النباتية الخضراء بامتصاص الطاقة الشمسية لتتحول ثانيا أكسيد الكربون والماء الى سكر ونشا مع تحرير الاكسيجين فى الجو ، ومن المعروف أن الحيوانات كلها عوائل لا تستطيع صنع غذائها بنفسها ولكنها تعتمد على النبات فى صنع الغذاء من المواد الأولية فى الأرض ، فالحيوانات المفترسة مثلا تأكل الحيوانات الأخرى التى تعتمد بدورها على النبات فى النهاية ، ويقوم النبات بالتمثيل الضوئى بصنع الكربوهيدرات كالسكر والنشا كمواد أساسية لتوليد الطاقة اللازمة لنشاط الحيوان والانسان ، كما يقوم النبات بصنع البروتين الذى لا يقل أهمية عن الكربوهيدرات لأنه يدخل كغذاء لنمو وتعويض الخلايا الحية ، ولتوضيح ذلك فان النبات يمتص النتروجين (من الهواء الجوى أو من المركبات النتروجينية فى التربة) والماء ليتحدوا مع الكربون والايديروجين والاكسيجين وينتج ما يسمى بالأحماض الأمينية كمركبات أساسية لصنع البروتين ، لأن الأحماض الأمينية تتحد بالكبريت والفوسفور فتنحول بذلك الى مركبات بروتينية معقدة تختلط بالماء فيتكون البروتوبلازم الذى يبنى بدوره أجسام الكائنات الحية !

والبروتوبلازم هو سر الحياة لأنه يستطيع اذا اكتسب الحياة أن

يبني الخلايا ويؤكسد الغذاء العضوي ليولد الطاقة اللازمة لنشاط الجسم
ويطرد بذلك ثاني أكسيد الكربون والماء الزائده علاوة على طرد فضلات
أخرى مثل المركبات النتروجينية في البول اذا كان الغذاء بروتينيا .

وعلى الرغم من معرفة التركيب المادى للبروتوبلازم ، فاننا لا نعرف
السر الأعظم ، وأعني سر الحياة ، الذى ما زال وسيظل خافيا ، ولن
يتمكن العلم من تحضير الخلايا الحية فى المعمل !

والآن وقد استعرضنا التركيب المادى للعناصر الضرورية فى
البروتوبلازم وذلك من عناصر مستمدة أصلا من الماء والتراب والهواء خلال
عملية هامة معروفة بالتمثيل الضوئى (الكلوروفيللى) للنبات الأخضر
لتبدأ بذلك الحياة فى جميع الكائنات الحية كاحدى حلقات الدورة المذكورة .

وعند الوفاة تقوم اليكتريا بتحليل مركبات الموتى (نبات أو حيوان
أو إنسان) الى المواد الأيسط التى سبق وأن تكون منها الجسم أثناء
حياته ، ويتولد النوشادر أيضا كمحصول نهائى لتحلل البروتين ، وتعود
العناصر الناتجة من تحلل الموتى (وأيضا من فضلات غذاء الكائنات
الحية) الى الهواء والماء والتراب حيث تكرر دورتها من جديدة فتقوم بعض
أنواع اليكتريا مثلا بتحويل النوشادر الى مواد نتروجينية تستعمل
كمخصبات للنبات علاوة على دورة العناصر الأخرى فى التمثيل الضوئى
بواسطة النبات الأخضر كما سبق أن شرحنا وقد يحدث أن تندثر النباتات
والكائنات الحية الأخرى فى باطن الأرض ويحدث لها تحلل جزئى فينتج
الفحم من الخشب ، والزيت من الانحلال الغير تام للنباتات والحيوانات .
والفحم والزيت هما المصدران الرئيسيان للنار فعندما يحترقان فان
الكربون الموجود فى الفحم والهيدوكربونات الموجودة فى الزيت تتأكسد
وتتحول الى ثانى أكسيد الكربون الذى يقوم بدوره فى عملية التمثيل
الضوئى للنبات الأخضر حيث تتكرر الدورة بين الأحياء والأموات !

وبهذا نستنتج ان الوفاة لجميع الكائنات جزء من دورة يتم فيها
خلق الأحياء ماديا من بقايا الأموات ! . ورغم أن سر الحياة ما زال
غامضا ، إلا أننا نرى القوة الخلاقة لله عز وجل وهى تعمل باستمرار
فى دورة الحياة والموت حيث يلعب التمثيل الضوئى للنبات الأخضر
دورا هاما فى هذه الدورة العجيبة التى تولد فى أحد أجزائها الهامة
مصادر الطاقة وتوليد النار من الفحم والخشب والزيت . وهذه حقيقة
هامة يشير إليها القرآن الكريم بشكل مباشر كرد على منكرى الميت أو
منكرى قدرة الله فى خلق الحي من الميت كما فى قوله تعالى :

« وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقه عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون » .

(يس : ٧٨ - ٨٠)

وبهذا أعطى الله مثلا رائعا وبرهانا محمدا بالشجر الأخضر وتوليد النار كدليل على دورة الحياة والموت فى البيئة من حولنا طبقا لمعطيات العلم الحديث ! ولم يكن هذا التفسير العلمى الجديد لهذه الآية معروفا للمفسرين ، ولكننى أعتقد كما شرحت سابقا أن لفظ الشجر الأخضر اشارة مباشرة الى عملية التمثيل الضوئى التى تعتبر بدورها القوة المحركة للدورة التى تنتقل فيها عناصر الحياة بين الأموات والأحياء . وهذه الآية تعبر عن اعجاز علمى يبين الدورة الحالية للحياة والموت من الناحية المادية على هيئة مركبات من ستة عناصر يعاد بناؤها وهدمها بواسطة النبات الأخضر .

حقا ان قدرة الله واضحة وظاهرة فى كل أطوار الطبيعة ، وهذه القدرة المطلقة تعمل باستمرار فى كل لحظة ونستطيع ادراكها كلما ازددنا علما بأنفسنا وبالطبيعة من حولنا ، وهكذا نرى الى أى حد وصل عناد وغباء الانسان الكافر الذى يضع حدودا لقدرات الله ، فهناك وسائل الهية سرية لا نعلمها فى عمليات الخلق ، ولا يمكن أن تتم هذه العمليات مصادفة ، ولكن الله القادر هو الخالق لكل شئ ، وربما يكون الموت تحولا لخلق جديد ، والله سبحانه قادر على تكرار عملية الخلق بصفة مستمرة ودائمة كما فى قوله تعالى :

« الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون » .

(الروم : ١١)

ويعنى هذا فان موتنا ، حادث عرضى ، وما تؤول اليه أجسامنا بعد الموت هو حلقة فى اطار اعادة الخلق بواسطة الله الخالق الذى يعتبر الأول والآخر ، وصدق سبحانه بقوله :

« يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » .

(الروم : ١٩)

فالارض نفسها قد تبدو لنا خاملة ميتة ، ثم ينزل الله الأمطار

القرآن الكريم - ١٦١

فيخرج النبات الذي تعيش عليه سائر الحيوانات ، وبهذا يتضح لنا بالتشبيه أن الأشياء التي تبدو لنا ميتة قد تحيا من جديد بقدرة الله وفضله ورحمته ، وبالمثل فإن الله سوف يبعثنا في حياة جديدة بعد موتنا الظاهري في هذه الدنيا وذلك في يوم البعث حيث نتلقى حسابنا على ما فعلناه طوال رحلتنا القصيرة في هذه الدنيا . وهذا البعث يمثل محور الايمان في الرسالة القرآنية كما في قوله تعالى :

او ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » .

(يس : ٨١ - ٨٣)

لقد خلق الله السموات والأرض وجميع المخلوقات ويستطيع بقدرته المطلقة أن يخلق عوالم أخرى في كل وقت وفي يوم القيامة بدون حدود أو شروط فسبحانه اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . وكل المخلوقات خاضعة لله وستعود اليه والمهم هنا هو عودتنا يوم القيامة الى الله سبحانه وتعالى ليحسابنا على أعمالنا وهذا هو محور العقيدة الاسلامية وموضوع عدة سور في القرآن الكريم الذى يوضح لنا مفهوم القيامة والبعث والحساب .

والآن وقد أعطانا القرآن نموذجا من عالمنا الحاضر عن القدرة الالهية في دورة الحياة والموت بالاسلوب المادى للتمثيل الضموى في النبات الأخضر وتوليد النار ، فاننا يجب علينا أن نقتنع بصدق القرآن ، وأن نؤمن بالبعث والحساب يوم القيامة .

يقول تعالى :

« ايحسب الانسان ان نجعل عظامه * بلى قادرين على أن نسوى بنانه » .

(القيامة : ٣ - ٤)

والتعبير القرآني « نسوى بنانه » يدل على دقة اعادة الخلق يوم القيامة لدرجة أن بصمة الأصبع وهى من العلامات المميزة للشخص ستعود في الخلق الجديد (لاحظ أن البصمات تستخدم حاليا لاثبات الشخصية) ويوجب الله سبحانه في القرآن على سؤال الكفار كما في قوله تعالى :

« اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد * قد علمنا
ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ » *

(ق : ٣ - ٤)

ويوضح القرآن الكريم دورة الحياة والموت والبعث بقوله تعالى :
« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
أخرى » *

(طه : ٥٥)

وختاما لهذا الموضوع أقدم للقارىء الآيات القرآنية التالية التى
تعطى صورة روحية عن الملائكة ، وسكرة الموت ، ووضوح الرؤية فى
الرفاة والبعث ، كما فى قوله سبحانه :

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ونحن أقرب اليه من حبل الوريد * اذ يتلقى المتلقيان عن
اليمن وعن الشمال فعيد * ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد * وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحيد * ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل
نفس معها سابق وشهيد * لقد كنت فى غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * وقال قريته هذا
ما لى عتيد * ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد * *
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد ، هذا ما توعدون لكل اواب
حفيظ * * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » *

(ق : ١٦ - ٢٤)

●● الباب الثالث

الغلاف الجوى والطقس

٣ - ١ سقف الأرض

يصف الله سبحانه وتعالى سماء الأرض بالسقف المحفوظ كما في قوله تعالى :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » .

(الانبياء - ٣٢)

هذا التعبير القرآني الموجز يشير بالتأكيد الى الغلاف الجوي الذي يمثل سقفا محفوظا فوق رؤوسنا لا يقع على الأرض ولا يهرب من مجال جاذبيتها . ويتكون هذا السقف من قشرة جوية تحيط بالكرة الأرضية في طبقات تمتد الى ارتفاع ٧٠٠ كم تبدأ بعد ذلك في الاندماج مع الفضاء الكوني دون حدود واضحة في طبقات الجو العليا .

ويعيش الانسان ويتنفس على سطح الأرض تحت هذا السقف المحفوظ المعروف بالغلاف الجوي ولكن لماذا يصف القرآن هذا الغلاف بالسقف المحفوظ ؟ وما هي الآيات أو المعجزات الموجودة في هذه السماء ويعرض الناس عنها أى يجهلونها أو يتجاهلونها ؟

وللاجابة على هذه الأسئلة فاننا نعرف كلمة سقف أولا فالسقف هو الغطاء الذى يحمى المنزل من حرارة الشمس والأمطار ، تماما كالناموسية المعلقة فوق السرير لتحمينا من لدغ الباعوض . وقياسا على ذلك نسال عن نوع الحماية التى يوفرها لنا الغلاف الجوي ؟ ويجب العلم الحديث طبقا لأبحاث الفضاء عن هذا السؤال كما يلي :

١ - الغلاف الجوي يحفظ جميع الكائنات الحية على سطح الأرض من الهجوم الدائم للأشعة فوق البنفسجية والأشعة السينية الخطيرة التى تصل من الشمس ومن النجوم الأخرى .

والغلاف الجوي يتكون فى طبقاته السفلى وحتى ارتفاع ٧٠ كم من الهواء الجوي من خليط من الغازات بنسبة ٧٨٪ نيتروجين ، ٢١٪

أكسيجين مع قليل من الأرجون وبخار الماء وثنائي أكسيد الكربون بنسبة ٨٪ ، ويلاحظ وجود الأوزون على ارتفاع ٢٥ كم نتيجة تفكك جزيئات الأوكسيجين بواسطة الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس والتي يتم امتصاصها في هذه الطبقة المعروفة بالأوزونوسفير حيث يوجد غاز الأوزون بنسبة ضئيلة وهذا الغاز بالغ الأهمية لحماية الحياة على الأرض فلولا الأوزون لاحتقرت جلودنا وعميت أبصارنا لوصول الأشعة فوق البنفسجية بكميات خطيرة ولكن الأوزون يمتص هذه الأشعة عالية الطاقة مما يؤدي الى ارتفاع درجة حرارة هذه الطبقة (الأوزونوسفير) • وهناك طبقة أخرى تلي الأوزونوسفير وتدعى الثرموسفير والتي تصل درجة حرارتها الى ٦٥٠°م نظرا لامتصاص المزيد من الأشعة فوق البنفسجية وأشعة اكس بواسطة غاز النتروجين والأكسيجين مما يؤدي الى تأين الهواء في هذه الطبقة بمعنى أن جميع ذراتها تفقد بعض اليكتروناتها فتصبح أيونات (أى ذرات مشحونة) ولهذا تسمى بطبقة الأيونوسفير التي تمتد من ارتفاع يبدأ من ٥٠ الى ٦٥ كم وينتهي عند ارتفاع يتراوح بين ٦٥٠ كم الى ٩٥٠ كم (حسب ظروف الشمس) • وتعمل هذه الطبقة الواقية أيضا كمرآة تعكس أمواج الراديو الى الأرض مما أتاح فرصة الاستقبال اللاسلكي لمسافات بعيدة •

وبهذا فان طبقتي الأوزونوسفير والأيونوسفير يمثلان طبقتين واقيتين متتاليتين تمتصان الأشعة الضارة من طيف الشمس وتسمحان فقط بِنفاذ الأشعة تحت الحمراء والطيف المرئي وجزء ضئيل غير ضار من الأشعة فوق البنفسجية واللازم لاستمرار الحياة على الأرض • وبذلك يتضح أن الغلاف الجوى سقف محفوظ يحمينا من الاشعاعات الضارة • فتأمل قوله تعالى :

« والسماوات ذات الرجوع » •

(الطارق : ١١)

وقد تشير هذه الآية الى السحب التي تعيد الماء على هيئة أمطار الى الأرض •

وتشير أيضا الى السماء التي تمتص الأشعة الضارة القادمة من الشمس •

٢ - يقوم المجال المغناطيسى للأرض (الماجنيتوسفير) باصطياد الايونات والاليكترونات التي تغزو الأرض من الفضاء الخارجى ومن الشمس ومن الأشعة الكونية حيث تدور هذه الجسيمات فى مسار

حلزونى حول خطوط القوى المغناطيسية المنتشرة فى غلاف الكرة الأرضية دون أن تصل هذه الدقائق وهذه الأشعة الى سطح الأرض . وهذا هو السبب فى وجود حزامين من الاشعاعات الخطيرة فى الفضاء يعرفان بحزامى فان ألن الاشعاعى على ارتفاع قدره ٤٠٠٠ كم ، ١٦٠٠٠ كم على الترتيب . ولقد اكتشفت هذه الأحزمة حديثا عام ١٩٥٨ بعداد جييجر بواسطة القمر الصناعى اكسبلورر ١ - وبابونير ٣ . وتعتبر أحزمة فان ألن مصيدة رائعة لجميع الجسيمات الخطيرة التى تسبب عادة ظاهرة الوهج القطبى الجذابة والمعروفة بالأورورا التى تحدث فى طبقات الجو العليا حينما تتوهج ذرات الأكسجين والنتروجين المثارة عند اصطدامها بهذه الجسيمات فتعطى ضوءا جذابا على شكل سنائر ترفرف فى أفق السماء بألوان زاهية خضراء وحمراء وزرقاء والأورورا ظاهرة من الظواهر المتعددة التى تحدث فى الآفاق . يقول الله تعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم

• أنه الحق »

(فصلت : ٥٣)

٣ - الغلاف الجوى ممثلا فى طبقات الأوزونوسفير والايونوسفير والمجال المغناطيسى للأرض (الماجنيتو سفير) يعمل كسقف محفوظ ليس فقط لأنه يصطاد الاشعاعات والجسيمات الذرية الخطيرة ، بل لأنه أيضا يحمينا من الشهب المنهمرة التى تسخن بالاحتكاك عند نفاذها خلال جو الأرض من الفضاء الخارجى متحركة بسرعة هائلة قد تصل الى ٦٠ كم/ ثانية فتحترق وتصبح رمادا قبل وصولها الى سطح الأرض !

وقد يعمل الشهاب على تآين الهواء المحيط بمساره فيظهر ضوء منبعث من الذرات المثارة الواقعة فى طريق الشهاب فيرسم لنا أثرا ضوئيا واضحا لكل شهاب على ارتفاع يبدأ من حوالى ٩٧ - ١١٣ كم الى حوالى ٦٥ - ٨٠ كم . ورغم أن عدد الشهب المهاجمة للأرض يوميا يصل الى الملايين فان الغالبية العظمى تتبخر من حرارة الاحتكاك قبل الوصول الى الأرض (خلال الارتفاعات المذكورة) : وبهذا فان السماء الدنيا سقف محفوظ كما ذكر القرآن ، وهذا تشبيهه بليغ يوضح العناية الالهية لأن هذا السقف المحفوظ يحمى حياتنا فعلا ، ورغم ذلك فالتناس لا يتدبرون هذه الآيات ولا يتذكرون نعمة الله عليهم .

وهكذا يتضح لنا عظمة الخالق فى بيان معجزات خلقه ويتبين صدق القرآن فى تعبير الوحي الالهى الذى يفوق ادراك الكافرين والمكذابين .

٣ - ٢ الظواهر الجوية والرياح

لا أحد ينكر أن الطقس يلعب دورا هاما ومؤثرا في حياتنا اليومية ، ورغم ذلك فقد يغيب تأثير الجو عن أذهان معظمنا كما يقول فرانكلين « بعض الناس يدركون أهمية الجو وأما الغالبية لا تهتم بذلك » والحقيقة أننا جميعا نتأثر بالطقس الذى يتحكم غالبا فى مزاجنا وطريقة حياتنا ونوع ملابسنا ، كما أن الثلوج والأمطار قد تعوق سياراتنا وتجعل القيادة أمرا خطيرا ، وقد تتعطل الطائرة التى نركبها بسبب تراكم الضباب ، وهناك آثار خطيرة تصيب أعدادا ضخمة من البشر على هيئة كوارث طبيعية جوية كالعواصف الثلجية وفيضان الأنهار وهبوب الرياح ونزول الصواعق وحدوث الأعاصير ، وهذه التقلبات الجوية المثارة تكلف الولايات المتحدة على سبيل المثال حوالى ١١ بليون دولار سنويا فى المتوسط كخسائر فى الممتلكات علاوة على الخسائر فى الأرواح ! ويقف الانسان عاجزا أمام القوة الهائلة للرياح الشديدة ويتمنى فقط أن يستطيع العلم تحذيره فى الوقت المناسب حتى يتمكن من الهرب الى مكان أمين ، وسوف يظل تأثير الجو الى ما شاء الله ، ولن ننجح أبدا فى السيطرة على الجو ولكن قد نتمكن من دراسة الطقس ومحاولة التنبؤ به بطريقة أكثر دقة ولفترات طويلة بمساعدة علوم الأرصاد الجوية التى تعتمد على معلومات خاصة بأشعة الشمس والرياح والسحب والمطر والندى والجليد والأعاصير ، وغير ذلك من موضوعات شتى تنتج من دراسة تحرك الهواء والتوزيع الحرارى والمائى على الكرة الأرضية أثناء دورانها حول نفسها وحول الشمس ! . وفيما يلى سوف نستعرض أيضا الآيات القرآنية التى تشير الى الظواهر الجوية ونحاول تفسيرها على ضوء العلم الحديث لكى تتأمل القدرة والحكمة والرحمة الالهية فى الظواهر الطبيعية .

الرياح

يقول الله تعالى في القرآن الكريم

« وجعلنا سراجا وهاجا * وانزلنا من المعصرات ماء
ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا * وجنات الفاها » .

(النبا : ١٣ - ١٦)

وتبين هذه الآية الكريمة العلاقة بين الشمس والمطر كعامل رئيسي في الدورة الهيدرولوجية التي اكتشفت حديثا كما ذكرنا في بند (١ - ٥) وشكل (١ - ٦) . وتعتبر الرياح القوة الرئيسية المحركة لهذه الدورة كما يلي :

تسقط أشعة الشمس المتوازية على السطح الكروي للأرض وبذلك فان انحناء السطح يؤدي الى تعرض المناطق المختلفة للأرض لدرجات متفاوتة من أشعة الشمس (نظرا لاختلاف ميل الأشعة) ، وعلى سبيل المثال فان المناطق الاستوائية تسخن بشدة لأن أشعة الشمس تكون عمودية عليها ، وأما المناطق القطبية فتكون باردة نظرا لميل الأشعة على السطح ، ولا تصل هذه الأشعة مطلقا طوال الشتاء الطويل عند كل من القطبين ، وبهذا ينتج تفاوت حراري على سطح الكرة الأرضية مما يؤدي الى صعود وهبوط تيارات هوائية فتتولد بذلك الرياح ، ويصعد الهواء الى أعلا عند خط الاستواء بسبب ارتفاع درجة الحرارة ، بينما يهبط الهواء عند القطبين ، ويميل الهواء الى الاندفاع من منطقة ذات ضغط عالي الى منطقة أخرى ذات ضغط منخفض ، وتزداد سرعة تحرك الهواء كلما ازداد الفرق بين الضغطين . وعلاوة على ذلك فان دوران الأرض حول نفسها يزيد المسألة تعقيدا فيما يسمى بتأثير كوريوليس حيث تحيد الرياح جهة اليمين في نصف الكرة الشمالي وتحيد الى اليسار في النصف الجنوبي .

وبذلك يصبح لدينا التأثير الحراري الذي يولد مناطق ضغط منخفض عند خط الاستواء وأخرى ذات ضغط مرتفع عند القطبين ، وكذلك تأثير كوريوليس نتيجة دوران الأرض حول نفسها والذي يولد حزامين شبيه استوائيين من الضغط المرتفع ، وتزداد المسألة تعقيدا بتأثير مونسون الناتج عن سخونة وبرودة سطح اليابسة بمعدل أسرع من سطح المحيطات ، وعلى سبيل المثال تنشأ مناطق ضغط منخفض عند قارة آسيا الساخنة صيفا وأما عند المحيط البارد نسبيا تتكون مناطق ضغط مرتفع فتهب بذلك رياح محملة ببخار الماء من المحيط الى داخل القارة وينعكس

اتجاه الرياح من القارة الى المحيط شتاء (تماما مثل نسيم البر والبحر) .
وبهذه فان دورة الرياح على الكرة الأرضية عملية معقدة جدا تتحكم فيها
عوامل دوران الأرض وحرارة الشمس وغير ذلك وبالتالي لن يستطيع
الانسان فى يوم ما أن يتحكم فى هذه العوامل . وهذه الحقيقة مشار إليها
فى الآية القرآنية التالية التى تبين لنا وحدة التخطيط فى الطبيعة .

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل
والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس
وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر
بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

(البقرة : ١٦٤)

ويصف الله سبحانه وتعالى الرياح المحملة ببخار الماء فى الآية
التالية :

« وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى
إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء
فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم
تذكرون » .

(الاعراف : ٥٧)

وهذه الآية توضح لنا كثيرا من النقاط البارزة كما يلى :

(أ) الله هو وحده الذى يرسل الرياح لأن الرياح كما شرحنا
سابقا تتولد وتتجه بتأثير عوامل كثيرة أهمها التوزيع الغير متساوى
للحرارة على السطح ، ودوران الأرض حول نفسها ، وبهذا فان العملية
فى حد ذاتها عملية كونية الهية ولن يستطيع الانسان أبدا توليد أو
توجيه الرياح ا

(ب) تأتى بعض الرياح كما يحدث عادة فى عالمنا الفيزيائى كبشرى
سارة لأنها توحى بنزول المطر . والله سبحانه وتعالى هو الذى يرسل
الرياح ويقود السحب ويسوقها الى أرض ميتة جافة حيث تلقى بأمطارها
على هذه الأرض التى تحيا بعد موتها فىنمو الزرع وتنتشر الخضرة
بمحصولها الوفير .

(ج) تحويل الأرض الميتة الى أرض حية عملية فيزيائية لا بد وأن

تجسد استجابة روحية في نفوسنا لأننا اذا تأملنا ذلك فاننا لا نستطيع انكار العملية المشابهة في حقيقة البعث بخروج الحي من الميت ا

والرياح كما أوضحنا هي التي تحمل بخار الماء الى طبقات الجو العليا حيث يتكثف البخار على أنوية التكثيف فتتكون السحب عندما يبرد الهواء المحتوى على بخار الماء ونوى التكثيف الى درجة أقل من نقطة الندى وذلك لأن الهواء عندما تصعد به الرياح الى أعلا يتمدد تمدا فجائيا فيبرد ويتكثف بخار الماء على نوى التكثيف فيتكون السحاب . وبهذا فان الرياح تلعب دورا هاما ورئيسيا في تكوين السحب حيث تمدها ببخار الماء ونوى التكثيف ، فتتكون قطرات المطر داخل السحب بتراكم قطرات الماء وتعتمد العملية على حجم هذه القطرات . ولقد أثبتت التجارب أن بعض أنوية التكثيف تتكون من جزيئات الأملاح القادمة من المحيطات مع الرياح فتتكون القطرات المناسبة لتكوين ذرات المطر على أنوية التكثيف كما أن الشحنات الكهربائية المتولدة في السحب تلعب دورا هاما في تراكم القطرات المائية ، وهذه الظواهر العلمية ملخصة في ايجاز في الآية القرآنية التالية :

« وائله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » .

(طاهر : ٩)

وتوضح هذه الآية ما يلي :

(أ) الرياح تثير السحاب وهذه الاثارة تشمل ضمن معانيها كل العمليات المؤدية الى تكوين قطرات المطر التى ذكرناها سابقا .

(ب) يتبخر الماء بحرارة الشمس مثلا من محيطات بعيدة وتتكون السحب التى يسوقها الله برحمته وفضله فوق أرض جافة ميتة لا أمل فيها فينزل المطر وتعود الحياة الى هذه الأرض ويعم الخير والجمال .

والوحى الالهى فى القرآن الكريم يشبه المطر لأنه ينزل من السماء ليحيى القلوب الميتة ويجعلها عامرة بالايان كما ان البعث أو النشور يوم القيامة يشبه تماما احياء الأرض بعد موتها . وبهذا فان الآية السابقة توضح لنا ظواهر هامة فى عالمنا المادى والروحى ، وهناك آية أخرى تشير عن طريق التشبيه والاستعارة الى الصفة اللافتة للرياح فى عملية تحويل السحب الغير ممطرة الى سحب ممطرة كما فى قوله تعالى :

« وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » .

(الحجر : ٢٢)

وهنا يصف الله سبحانه وتعالى الرياح بأنها لواقح ، ولقد فهم المفسرون القدماء هذه الصفة على أنها دلالة على قدرة الرياح لنقل حبوب اللقاح من النخلة المذكورة الى أعضاء التأنيث فى النخلة المؤنثة ، وهذا حقيقى ولكن سياق الآية يفيد بأن سقوط المطر نتيجة حتمية للصفة اللاقحة للرياح (لاحظ فاء السببية فى لفظ فأنزلنا) . وبهذا يجب أن نفهم الآية كما يلى :

١ - الرياح تحمل نوى التكثف الى السحب كما لو كانت تلقحها ! ، وتقوم نوى التكثف بتراكم قطرات المطر عليها ، وهذه النوى عبارة عن دقائق متناهية الصغر تدخل الهواء من نواتج الاحتراق وذرات الملح من المحيطات ومقدوفات البراكين والأترية وشظايا الشهب المحترقة . وغير ذلك مما تحمله الرياح .

٢ - قد تلعب الرياح دورا فى توليد الشحنات الكهربائية فى السحب ، وقد تساعد على اقتراب السحب المختلفة من بعضها ، فقد تتراكم سحابة ذات شحنة موجبة مع أخرى ذات شحنة سالبة كما لو كانت العملية زواجا وتلقيحا ، كما أن الشحنات الكهربائية تؤثر بمجالها على سرعة تراكم القطرات المائية وتوليد الشرارة التى تظهر على هيئة برق !

وهكذا يتضح أن التعبير القرآنى يتوافق تماما مع المعلومات الحديثة فى علم الأرصاد .

والرياح تكون عادة مبشرة بالمطر ، وتساعد أيضا فى الأحوال العادية على الملاحة البحرية والجوية بأمر الله ، حيث يقول سبحانه فى القرآن الكريم .

« ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتنبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

(الروم : ٤٦)

وإكن النعمة قد تنقلب بأمر الله الى نقمة لانزال العقاب على بعض الأمم ، كما هو مذكور فى القرآن الكريم فى وصف العواصف والسيول والأعاصير كما فى بند (٣ - ٤) .

والأنبياء كالرياح المبشرة لأنهم يبشرون برحمة الله . ولقد أرسل
الله سيدنا محمد خاتم النبيين رحمة للعالمين وفاز من تبع هدى القرآن
أما الذين أنكروا نبوة سيدنا محمد ورسالته فانهم خاسرون من الناحية
الروحية كما في قوله تعالى :

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

(القمر : ٢٢)

فالقرآن يوضح لنا الطريق المستقيم في الحياة الدنيا والآخرة في
أسلوب واضح يسهل ادراكه وتنفيذ تعليماته . اليس هذا القرآن رحمة
من عند الله ؟ وأي عذر لهؤلاء المنكرين ؟ وهل حان الوقت لكي يستجيب
البشر في كل أنحاء العالم لرسالة القرآن ويتبعون النبي الذي أرسله
الله ليرشد الناس جميعا لطريق الاسلام ؟

٣ - ٣ السحب والمطر

تتكون السحب من تكثف بخار الماء (الموجود بالجو) حول نوى التكثف على هيئة قطرات مائية أو بللورات ثلجية معلقة بفضل التيارات، الهوائية الخفيفة المتحركة داخل السحابة . وقد تتحرك القطرات في السحابة الى أعلى والى أسفل فتتمو الى أن يصبح وزنها كافيا للسقوط بالجاذبية وتتبخر أو تسقط على هيئة مطر . ورغم أن حوالى نصف سطح الأرض مغطى بالسحب دائما فان مساحة ضئيلة من سطح الأرض لا تزيد عن ٦٪ هي التى تتلقى المطر ، وبهذا يمكننا القول بأن السحب الغير ممطرة أكثر شيوعا ! . والسحب ثلاثة أنواع وتعتبر ملاحظة الرياح والضغط والسحب مؤشرا محليا يعطى شفرة للتنبؤ بالتغيرات الجوية المتوقعة .

ويستعرض القرآن الكريم السحب والمطر فى عدة آيات تهدف أولا لجعل الانسان يتأمل فضل الله ورحمته بمخلوقاته ، وثانيا لتلفت انتباه الناس الى بعض الظواهر العلمية مما يعطى القرآن الكريم طابعا عالميا ويؤكد صدق آياته .

يقول الله تعالى مشيرا الى أثر الرياح وتشكيل السحب ونزول المطر :

« الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون » .
(الروم : ٤٨)

ولقد ناقشنا فى البند السابق (٣ - ٢) المعنى العلمى لاثارة السحب بواسطة الرياح ، وانا الآية هنا تبين لنا أن الله سبحانه ينشر السحب ويشكلها كيف يشاء . فقد يتكون أكثر من نوع من السحب فى السماء فى وقت واحد . وقد يتفتت السحاب الى أجزاء يسوقها الله طبقا لخطة الحكيمه .

وأهم أنواع السحب هي السحب الركامية الممطرة التي ثبت بالدراسات العملية باستخدام الرادار انها تتكون من ثلاث طبقات هي :

سحب المطر في القاع وسحب البرد في الوسط وسحب بللورات الثلج في القمة الباردة ، وهذه الأجزاء تكون السحابة الركامية الضخمة التي تبدو لنا في السماء كالجبال الشامخة حيث تمتد قاعدتها من ارتفاع قريب من الأرض وتصل الى ارتفاع ٦٥٠٠ قدم عند قمته ، ولون هذه السحابة الركامية أسود وهي سحب ممطرة تعطي قطرات مستمرة من الماء أو الثلج وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى :

« ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » .

(النور : ٤٣)

وهذه آية جذابة لهواة الطبيعة ولإصدي السحب الذين سيقدرّون بلا شك الوصف القرآني العلمي لهذا النوع الركامي من السحب ويمكن تفسير الآية علميا كما يلي :

(أ) يقول الله تعالى : « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله » .

(النور : ٤٣)

والفعل « يؤلف » يعطى معنى التجميع والتنسيق والتغلب على أي تنافر وهذا قد يشير الى التجاذب الكهربى بين السحب المختلفة الشحنة الذى يودى الى تكوين السحابة الركامية الممطرة ، وليس من المعروف على وجه الدقة كيف تتراكم الشحنات المتشابهة مع بعضها فى مكان واحد ، فالسحابة الركامية مثلا قد تكون موجبة الشحنة عند القمة ويكون الجزء الأوسط منها سالب الشحنة بينما تكون قاعدتها موجبة الشحنة وهذه تولد شحنة تأثيرية سالبة تحتها .

وبذلك يمكن ادراك معنى يولف السحاب من الناحية الكهربائية كدلالة على تجميع الشحنات الكهربائية المتشابهة والمختلفة داخل السحابة الركامية الواحدة التي تبدو كالجبال .

(ب) يقول الله تعالى :

« وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » .

القرآن الكريم : ١٧٧



(شكل رقم ٣ - ١)

صورة للبرق في عاصفة رعدية

وهذا التعبير القرآني وصف علمي دقيق ومرحلي لتكوين السحابة الركامية الممطرة التي تظهر كالجبال في السماء وتكون قممها على هيئة سندان الحداد . وتربط هذه الآية بين تكون البرد وتولد البرق في السحابة الركامية ، كما تؤكد أن سقوط البرد يكون محليا حيث يصيب مناطق محددة ويترك مناطق أخرى مجاورة !

والبرد هو جزيئات كروية من الثلج تنمو وتسقط من السحب الركامية ، وتتكون حبة البرد من طبقات شفافة ومعتمة وتشبه البصلة وقد يصل وزن الكرة الواحدة من البرد الى $\frac{1}{8}$ باوند ومحيطها حوالي ١٧ بوصة كما حدث في حالة البرد الذي سقط في نبرাকা في يوليو ١٩٢٨ أو البرد الذي سقط في كانساس في سبتمبر ١٩٧٠ وبلغ وزن الكرة الواحدة ١.٦٧ باوند ! والبرد يسبب خسائر في المحاصيل والمباني والسيارات بما قيمته حوالي ٣٠٠ مليون دولار سنويا في

الولايات المتحدة الأمريكية ، والبرد كما ذكرنا محل التأثير كما فى قول
الله تعالى :

« فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء » .

ولقد اتضح أن عواصف البرد قد تصيب حقلا لأحد المزارعين فتحطم
كل المحصول بينما الحقل المجاور لم يصب بأى أذى ، كما أن مثل هذه
العواصف لا تدوم طويلا ولا يمكن التنبؤ بحدوثها بدقة تامة .

(ج) تربط الآية السابقة بين نزول البرد فى السحابة الركامية
وحدوث البرق مشيرة بذلك بأن البرد لا ينزل الا فى العواصف الرعدية ،
والبرق والرعد ظواهر كهربية وصوتية مرتبطة بالعواصف الرعدية ،
وينشأ البرق كشرارة فى الجو نتيجة التفريغ الكهربى السريع بين
سحابتين مشحونتين مختلفتين أو بين السحابة والأرض حيث يرتفع فرق
الجهد الكهربى لدرجة تجعل الهواء موصلا للكهرباء نظرا لتأين ذراته
فتمر الشرارة ويحدث البرق فى زمن لا يتعدى كسر من الثانية
شكل (٣ - ١) ، وتصل درجة حرارة الشرارة الى درجة أعلى من ١٠٠٠م.
وبذلك يسخن الهواء فيتمدد وتحدث فرقة الرعد ، وقد تحدث صواعق
وتحترق الأشجار ، ويصل صوت الرعد بسرعة الصوت التى تبلغ ١١٠٠
قدم/ثانية فيقطع بذلك ميلا واحدا كل ٥ ثوانى ، ويمكن للانسان تقدير
بعد السحابة التى بها البرق بقياس الزمن الذى يمضى بين لحظة رؤية
البرق ولحظة سماع الرعد !

وقد يتحاشى الانسان الصواعق اذا كان داخل سيارة مغلقة أو
طائرة أو مبنى متصل باطار معدنى لأن شرارة الصاعقة يتم تفريغها فى
السطح المعدنى الخارجى . وقد يحدث التفريغ فى الأشياء المعزولة
الطويلة ولذلك يجب علينا الا نحتوى بشجرة أو نلعب الجولف أو نقود
زورقا أثناء العواصف الرعدية ويجب استعمال مانعة الصواعق فوق
أسطح المنازل .

ولقد أشار القرآن الى البرق والرعد كمثال للقدرة والرحمة الالهية
فى آن واحد كما فى الآية التالية التى تحتوى على كثير من المعانى
الروحانية والمادية .

« هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشأ السحاب
الثقال * ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو
شديد المحال » .

(الرعد: ١٣ - ١٤)

وعنده الآية تتناول ظاهرة البرق والظواهر الناتجة عنه كالرعد والصواعق للدلالة على قدرة وعظمة ورحمة الله . وتؤكد الآية أن كل شيء يسبح بحمد الله حتى الرعد (الذى يبعث الرعب فى نفوسنا) يمثل العبودية كباقي المخلوقات أمام الله سبحانه وتعالى كما أن الملائكة رغم قربها من الله تشعر بالرهبة وتخضع لأوامره فكيف يجادل الانسان الضعيف فى حقيقة الله !

والبرق من الناحية العلمية يسبب تفاعلا كيميائيا بين عناصر الهواء الجوى أى بين النتروجين والأكسجين فتتكون أكاسيد النتروجين التى تدوب فى ماء المطر ، وهذا التفاعل تم اكتشافه حديثا ، وهو مفيد جدا للنبات نظرا لاحتواء ماء المطر على أحماض وأملاح النتروجين التى تنتج من هذا التفاعل بمساعدة حرارة البرق وتصبح سمادا طبيعيا للنبات على سطح الأرض ، ولو اشتد البرق وازداد معدل الوميض فان ماء المطر سيصبح حامضا أو مالحا ، ولكن رحمة الله وقدرته تتحكما فى هذه العملية بحيث يظل ماء المطر عذبا ولا يتغير طعمه كما هو واضح من نص الآية القرآنية التالية فى قوله تعالى :

« أقرأيتم الماء الذى تشربون * أنتم أنزلتموه من المزن
أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون »
(الواقعة : ٦٨ - ٧٠)

وبهذا تشير الآية الى السيطرة الالهية الكاملة على شدة البرق حتى لا يصير الماء حامض المذاق (أجاجا) ويظل طعمه عذبا . كما تذكرنا هذه الآية بالدورة الهيدرولوجية المستمرة فى الطبيعة التى يختلط فيها الماء العذب للأنهار عند مصباتها بالماء المالح للبحار ، ويتبخر الماء من سطح البحار والمحيطات فتتكون السحب ويسقط المطر ليغذى الأنهار بالماء العذب من جديد وهكذا كما شرحنا فى الباب الأول بند (١ - ٥) .

وتتحدى هذه الآية الانسان فى عملية انزال المطر من السحب بقوله تعالى « أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » وسوف نناقش موضوع المطر الصناعى فى بند (٣ - ٥) لنبين استحالة العملية لأن إمكانات الانسان محدودة .

وإذا استعرضنا هذه الظواهر الطبيعية والمعاني العلمية لها في القرآن الكريم وما يحتويه من اشارات رمزية للعالم الروحي ، فإننا لابد وأن نتجه الى الله الخالق ونشق بالقرآن الذي يصفه الله بأنه « تنزيل من رب العالمين » كما في قوله تعالى :

« انه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه الا المطهرون * تنزيل من رب العالمين » .

(الواقعة : ٧٧ - ٨٠)

٣ - ٤ الأعاصير والعواصف

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن صفة الرحمن الرحيم في اسمه عز وجل ورغم أن الله غفور رحيم فإنه أيضا شديد العقاب لمن يخالف أوامره وتعاليمه كما في قوله تعالى :

« وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا » .

(الطلاق : ٨ - ٩)

ويجب على كل أمة ألا تتكبر وتعتقد أنها أشد وأقوى من غيرها من الأمم السابقة . وعلينا نحن الآن الا نتخذ من المدنية الحديثة دافعا للتعالى والعجرفة والتسلط ، بل على العكس يجب أن نعلم أن هذا التقدم ما هو الا مسئولية أكبر أمام الله ، ولنرجع الى الوراثة ونفكر في مصير الأمم السابقة القوية التي عصت أمر ربها فهلكت ، ولنتعظ ونعتبر ونخضع لله عز وجل ، ولنعلم أن الله لا يظلم العباد ، ولكن الكفار يظلمون أنفسهم بكفرهم وعصيانهم .

والله سبحانه وتعالى يدعونا الى السير في الأرض لنرى عاقبة الكافرين كما في قوله تعالى :

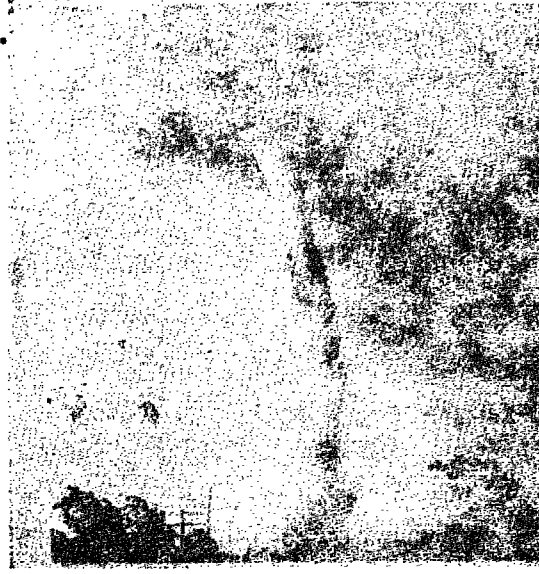
« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » .

(آل عمران ١٣٧ - ١٣٨)

ولقد عرفنا في البند السابق أن الرياح مبشرات بقدم المطر ، ولكن قوى الطبيعة قد تكون نعمة ونقمة ، فالرياح مثلا يمكن أن يسلطها الله سبحانه وتعالى على عباده على هيئة أعاصير شديدة وعواصف مهلكة .

اولا : الأعاصير :

الأعاصير رياح شديدة تحدث في مصاحبة العواصف الرعدية ، وتتكون من مركز ضغط منخفض يدور الهواء حوله بشدة على هيئة دوامة ، ويبدو الاعصار من بعيد كمدخنة طويلة قائمة على هيئة قمع أو سحابة ضخمة يتدلى منها حبل على شكل خرطوم فيل يصل الى سطح الأرض !



(شكل رقم ٣ - ٢)

صورة الأعصار (سحابة يتدلى منها خرطوم)

ويدوم الاعصار في المتوسط لمدة أقل من ساعة ، ويقطع قمع الاعصار خلال تلك الفترة مسافة تتراوح بين ١٠ الى ٤٠ ميل تقريبا تزداد الى ١٠٠ ميل في بعض الحالات الشديدة ، ويمكن الاعصار فوق أي مكان في مساره زمنا أقل من دقيقة ورغم ذلك فانه يسبب خسائر بالغة نتيجة القوة الرافعة الضخمة لرياح الاعصار ، والانفجار الحادث نتيجة النقص المفاجيء في الضغط الجوي في مركز الاعصار ، ونتيجة التفريغ الكهربى الذى يشتعل في قمع الاعصار بسبب شرارة البرق التى تولد النار في جدار القمع . وتتراوح سرعة الهواء في دوامة الاعصار من ١٠٠ الى ٢٠٠ ميل / ساعة والتي تعمل كمكنسة كهربائية تشفط مايقابلها ! ولهذا تحدث الكوارث أثناء مرور الاعصار فقد تلتهم الدوامة الناس والحيوانات والسيارات وكل

ما يقابلها من أشياء يسهل خلعها وحملها في طريق الأعاصير ، حيث تدور كلها في الدوامة وتهبط بعد ذلك محطمة الى الأرض وتصبح لا شكل لها ، ويتساقط الحطام الذي قد يحتوى على جرارات وسيارات وحيوانات وبشر وطوب وزجاج وصخور وأشجار في طريق الأعاصير ، وتنتج أصواتا مزعجة للغاية تزار كما لو كانت أزيز صفارات القطارات ورعد أسراب الطائرات، وبذلك فان الأعاصير خطيرة للغاية ، ولكن كيف ومتى ولماذا يحدث الأعاصير؟ هذا أمر غير معروف ، ولا يمكن التنبؤ بمكان حدوثه وينتج غالبا مع العواصف الرعدية ولكن البرق المصاحب يكون معدله أزيد مائة مرة عن البرق العادى ! ويشير القرآن الكريم الى مثل هذه الشرارات الكهربائية فى اعصار شديد مهلك كما فى قوله تعالى :

« أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت » .

(البقرة : ٢٦٦)

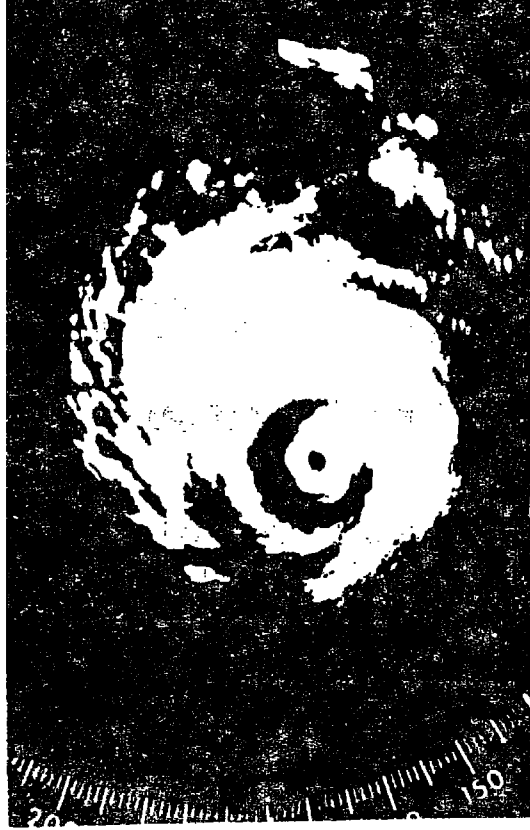
حقا أننا نأسف ونحزن لحدوث مثل هذه الأعاصير الحارقة التى تجلب معها الحراب والدمار والرعب والهلاك . ويجب علينا أن نتجه الى الله ليقينا شر هذه الأعاصير .

ثانيا : العواصف :

العاصفة زوبعة دورانية شديدة يصاحبها أمطار غزيرة مقرونة بالرعد والبرق والرياح العاتية التى تدور حول مركز ذى ضغط منخفض يعلوه سحب عملاق . ودوامة العاصفة تشبه قرص الفونوغراف الدائر شكل (٣ - ٣) - وتتراوح سرعة الرياح ما بين ١٥٠ ، ٢٠٠ ميل / ساعة عند المركز . وتحدث مثل هذه العواصف العاتية قرب خط الاستواء فوق مياه البحار الدافئة وقد تتطور الى أعاصير . ويتراوح معدل المطر فى أماكن هبوب العاصفة من ٦ الى ١٢ بوصة ، ويشند تساقط المطر عن ذلك كلما دامت العاصفة زمتا أطول ، لدرجة أن كمية الحرارة الكامنة المنطلقة من تكثيف البخار الذى يتحول الى أمطار فى مثل هذه العواصف فى يوم واحد تكافئ الطاقة المتولدة من انفجار ٨٠٠٠ قنبلة نووية قوة كل منها مليون طن ديناميت ! وبهذا فان الانسان لا يمكن أن يسيطر على هذه العواصف ولكنه يأمل فقط فى زيادة دراستها وفهمها !

ولقد تسببت هذه العواصف فى حدوث كوارث فى الأرواح للانسان والحيوان بأعداد هائلة ، وتحدث معظم الوفيات فى مثل هذه الدراما

الطبيعية - الهائلة بواسطة الغرق حيث تغطي المياه على المناطق الساحلية المنخفضة ! ويؤدي انخفاض الضغط عند مركز العاصفة الى ارتفاع مستوى الماء عدة أقدام عن المستوى العادى وتتقدم الأمواج التى تسوقها الرياح الشديدة لتتراكم فوق بعضها كالجبال وتصطدم بالشواطىء وتغطيها حيث يبلغ ارتفاع هذه الأمواج البحرية فى مثل هذه العواصف الى مائة قدم ! ويشير القرآن الكريم الى الظلام الدامس الذى ينتج فى البحر أثناء العاصفة البحرية (التى تتراكم فيها الأمواج فوق بعضها تحت السحاب) تشبيها للظلام الذى يعيش فيه الكفار الذين يرفضون النور الالهى وينكرون القرآن كما فى قوله تعالى :



(شكل رقم ٣ - ٣)

عاصفة على هيئة زوينة دورانية كما تبدو على شاشة لاراداد

« او كظلمات فى بحر جئى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور » •
(النور : ٤٠)

وهذا تشبيه رائع للظلام الدامس فى عاصفة تحتوى على موج من فوقه موج من فوقه سحب كمثل رمزى يؤكد عن طريق الاستعارة أن الله سبحانه وتعالى هو المنبع الوحيد للنور فى عالم الحقيقة وأن - الانسان الذى ينكر الحقيقة يحجب نفسه عن الأنوار الالهية فيصبح فى ظلام تام وهلاك مؤكد كما لو كان فى عاصفة بحرية •

والعواصف العاتية تسبب الفيضانات الخطيرة كما حدث فى شرق باكستان فى ديسمبر سنة ١٩٧٠ وراح ضحيتها حوالى ٣٠٠ ألف نسمة من الغرقى حيث بلغت سرعة الرياح ١٢٠ ميل / ساعة مما أدى الى ارتفاع الماء ١٨ قدما فوق مستوى البحر أى بمستوى ضعف ارتفاع أى منطقة ساحلية مكتظة بالسكان ، وبذلك حدثت الكارثة وساعد فى خسائرها عدم تمكن الناس من الهرب من المناطق المنكوبة لقلة المواصلات ووسائل النقل !

ولقد ذكر القرآن الكريم أمثلة من كوارث الأمم الغابرة ، فذكر لنا مثلا الفيضان العظيم الذى حدث أيام سيدنا نوح عليه السلام كما فى قوله تعالى :

« ••• وهى تجرى بهم فى موج كالجبال » •

(هود : ٤٢)

ويشير القرآن الكريم أيضا الى أنواع شتى من الرياح الضارة ، مثل الرياح الجافة المتربة التى تهب أحيانا فيتغير لون السماء من اللون الأزرق الى اللون الأصفر بسبب تغير درجة تشتت الضوء نتيجة وجود ذرات التراب والرمل بنسبة عالية فى هذه العواصف يقول الله تعالى :

« ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون » •

(الروم : ٥١)

كما يشير القرآن الى الرياح الباردة التى تضر بالمحاصيل الزراعية وذلك فى قوله تعالى :

« كمثل ريج فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم
فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون » .

(آل عمران : ١١٧)

ويذكر القرآن أيضا الاعصار الذي سلطه الله تعالى على قوم لوط
فرماهم برداذ من الحجارة لأنهم رفضوا الانذار الالهي الذي أعلنه نبيهم لوط
وأصروا على ممارسة الشذوذ الجنسي وعاقبهم الله بالصيحة والرجفة وانقلبت
مدينتهم كما في قوله تعالى :

« كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حصبا ٠٠ »

(القمر : ٣٣ - ٣٤)

وقوله تعالى :

« فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها
وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل * ان في ذلك لآيات
للمتوسمين * وانها لبسبيل مقيم * ان في ذلك لآية للؤمنين »

(الحجر : ٧٣ - ٧٧)

ويمكن للمسافر بجوار البحر الميت ملاحظة منظر بقايا الخراب
والدمار الذي حل بقوم لوط عقابا على جرائمهم المنحطة .

ويذكر القرآن أيضا قوم عاد ونييهم هود وهم الجيل الرابع بعد نوح
حيث شيدوا في الماضي حضارة تمتد من عمان الى حضرموت واليمن وانتشر
عمرانهم وعلا بنيانهم ولكنهم كانوا كفارا مغرورين بقوتهم وحضارتهم
ووعظهم هود ونهاهم عن الظلم والفساد دون جدوى ولهذا أرسل الله عليهم
ريحا صرصرا عاتية كما في قوله تعالى :

« كذبت عاد فكيف كان عادياي ونذر * انا أرسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر * تنزع الناس
كانهم أعجاز نخل منقعر » .

(القمر : ١٨ - ٢٠)

ولقد دامت هذه الريح العاتية سبع ليالى وثمانية أيام كما وصفها
القرآن :

« وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم
سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى
كانهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية » .

(الحاقة : ٦ - ٨)

ولقد كان قوم عاد أهل حضارة مادية فاقت قوة المشركين أيام
الرسول . وكان طغيانهم شديدا ولهذا كان عذاب الله لهم عذابا مهلكا
والقرآن يذكر قصتهم ليبين لنا أن نهاية الكفر شر لا محالة ، وإذا كانت
هناك الآن دول عظمى تملك القوة والسيطرة التي تدعيها لنفسها فإن
عليها أن تعلم أن العظمة والقوة لله وحده وانها لن تستطيع الوقوف
أمام سلطان الله ! ويحكى لنا القرآن كيف أهلك الله الطغاة الكفار
المستكبرين في الماضي ، ويؤكد لنا بأن مصيرا مماثلا ينتظر كفار اليوم
كما في قوله تعالى :

« أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها »

(محمد : ١٠)

فهل يعلم البشر في كل جيل هذه الحقيقة ؟ إن الله ينصر عباده
المخلصين أما هؤلاء الكفار فلن تنفعهم قوتهم ولن يساعدهم أحد .
حقا إن القرآن الكريم تنزيل من عزيز حكيم لهداية البشر فهو يخاطب
العقل والمنطق ، فلنقرأ هذا الكتاب المقدس ولنفهم معانيه في تكريم
واجترام وتبديق وإيمان غير متأثرين بالكفار ، ولنطلب العون من الله
ونقدم للآخرين هذا النور القرآني الذي استقلبناه وآمننا به لتكسبه
رضاء الله ورضوانه .

والإسلام يدعو جميع الناس إلى الحقيقة ، وليس هناك مبرر لانكار
القرآن .

٤ - ٥ التنبؤ بالطقس ومحاولات التحكم فى بعض الظواهر الجوية

(١) التنبؤ بالطقس

يعتمد التنبؤ بالطقس على توفر المعلومات الخاصة بأماكن الكتل الهوائية ومقدار الضغط الجوى واتجاه وسرعة الجبهات والرياح وعناصر الطقس الأخرى مثل درجة حرارة الجو ودرجة الرطوبة ونوع السحب ومعدل المطر . ويتم تفسير هذه المعلومات على ضوء الخبرة السابقة الخاصة باتجاه وسرعة المنخفض أو المرتفع الجوى على مدار السنة وذلك بالاستعانة بالكمبيوتر حيث يمكن جمع المعلومات وتسجيلها فى آن واحد فى عدة مراكز متفرقة وتحليلها بواسطة خبراء الأرصاد فى المكتب المركزى وتغذيتها للكمبيوتر لرسم الخرائط اللازمة للتنبؤ بالطقس ، وتقوم الأقمار الصناعية حديثا بدور هام فى هذه العملية حيث نشاهد يوميا على شاشة التليفزيون صورة لحظية لتوزيع السحب التى تغطى دولة معينة فى أى وقت وتصل التقارير عبر الأقمار الصناعية لتساعد فى محاولة التنبؤ بالجو فى أنحاء الكرة الأرضية . ونستطيع الآن تتبع عاصفة خطيرة تهب فى مكان بعيد فوق المحيط وكذلك رصد تحرك الجبهات والتيارات الهوائية الناشئة عن المنخفضات والمرتفعات الجوية وغير ذلك من معلومات مفيدة جدا لدراسة الظواهر الجوية والتنبؤ بها الى حد كبير . ولقد تم اطلاق هذه الأقمار الصناعية الخاصة بالطقس منذ عام ١٩٦٠ مثل القمر الأمريكى تيروس رقم ١ والأقمار الأخرى الناجحة فى هذا المجال مثل أقمار ESSA وأقمار نيمبوس التى تستخدم الاستشعار عن بعد بالأشعة تحت الحمراء ، وبذلك أصبح التنبؤ بالطقس على مستوى الكرة الأرضية أمرا ميسورا فى حدود معينة وعلمنا فبنيا على أسس مدرسية بفضل استخدام الأقمار الصناعية والحاسبات الآلية المتطورة .

والآن وقد أصبح التقدم في مجال التنبؤ بالطقس أمرا ملحوظا قاننا في الواقع قد تمكنا بإرادة الله من معرفة جزء ضئيل من الحقيقة وعلى سبيل المثال نلاحظ ما يلي :

١ - لا يمكن علميا حتى الآن تحديد مكان الأعصار أو التنبؤ بحدوثه وكذلك فان كيفية وأسباب حدوث الأعصار غير معروفة على وجه التأكيد .

٢ - يمكن تتبع العواصف بالرادار والأقمار الصناعية ويمكن التنبؤ بمكانها بدقة لأنها لاتأتي فجأة بل لها مقدمات معروفة وبذلك قد يستطيع الانسان أن يجد الوقت الكافي لحماية نفسه والهرب من مكان العاصفة ولكن الخسائر المادية في الممتلكات مازالت هائلة لا يمكن تحاشيها وتقدر بحوالى بليون دولار للعاصفة الواحدة في بعض الأحوال .

٣ - التنبؤ بالطقس بصفة عامة يتم الآن بدقة تصل الى حوالى ٥٠% على مدى فترة قادمة تتراوح بين خمسة أيام وشهر ! بينما يتم التنبؤ التفصيلي المحلى بدقة تصل الى حوالى ٩٠% على مدى ٤٠ ساعة قادمة ! وعلى كل حال ومهما تقدم الانسان في المستقبل بالنسبة لأبحاث التنبؤ بالطقس فان عليه الا ينسب لنفسه التقدم في هذه الأمور ويجب أن يتذكر ويضع في اعتباره أن زلزالا مفاجئا أو صقيعا أو عاصفة ثلجية أو انفجارا ركانيا قد يحدث في أى مكان أو زمان فيقلب كل الحسابات ويحطم الزرع والعمران كما في قوله تعالى مقرا هذه الحقيقة :

« حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »

(يونس : ٢٤)

(ب) محاولات التحكم في بعض الظواهر الجوية :

هناك أبحاث تهدف لتعديل الجو في حدود معينة وعلى سبيل المثال فلقد تمت محاولات لتفريق الضباب في المطارات وكبت البرد وزيادة المطر ! ولتوضيح ذلك نأخذ في اعتبارنا حدود امكانيات الانسان كما يلي :

يعاود الانسان تفريق الضباب لزيادة مدى الرؤية الواضحة وذلك بإعادة توزيع الرطوبة في المطارات مثلا بتحويل الضباب إلى المياه

ثلج بالرش بمادة يوديد الفضة أو الثلج الجاف أو باستخدام حركة
مراوح طائرات الهليكوبتر لخلط الهواء الجاف مع الضباب للمساعدة
على تبخيره أو بتطبيق التدفئة المحلية في المطار لمحاولة إزالة الضباب
ولكن هذه العملية باهظة التكاليف ! وبالنسبة لكبت البرد فيعتمد على
رش السحابة بمادة يوديد الفضة لزيادة كمية نوى التكثف لاستهلاك
الرطوبة الفائضة في السحابة وتكثيفها على هذه النوى بدلا من تكثيفها
على خبات البرد الموجودة بالسحابة وبذلك يظل البرد صغير الحجم
وتحاشي بذلك البرد الكبير الأكثر خطورة علاوة على أن البرد الصغير
قد يتصهر أثناء نزوله ويتحول الى مطر ! ولكي تنجح هذه العملية
فلابد من اضافة يوديد الفضة الى السحابة في وقت معين خرج !

أما بالنسبة لمحاولة زيادة أو استتجال عطاء السحابة من مياه
المطر فيعتمد أيضا على رش السحب بنوى التكثف المناسبة مثل يوديد
الفضة أو الثلج الجاف . ومن المعروف أن سقوط المطر يتغير من مكان
لآخر ومن يوم لآخر بل ومن سنة الى أخرى ولذلك يصعب علينا تقييم
نتائج رش السحب لاحداث مطر صناعي لأن عملية الرش بنوى التكاثف
يتم حينما تكون السحابة ناضجة وقابلة لعطاء المطر ومن الجائز ان ينزل
المطر طبيعيا دون أن يكون للرش أى تأثير ! بل ومن المحتمل أن يكون
للرش نتائج عكسية ! وبهذا فان انزال المطر صناعيا أمر صعب ومشكوك
فيه ويجب أن نعترف بالحدود الضيقة لامكانيات الانسان في هذا الميدان
ونحن نتحدى أولئك الذين يعارضون نص القرآن في قوله تعالى :

« أفرايتم الماء الذى تشربون * أنتم أنزلتموه من المزن
أم نحن المنزلون » *

(الواقعة : ٦٨ : ٦٩)

حقا ان الله هو الذى يسقط المطر من السحاب . وقد كتب م . أ .
فاسي مهندس عام الأرصاد الجوية الفرنسية فى مقالة (الهواطل) بدائرة
معارف أو فيفرسالييس ما يلى :

« لن يمكن أبدا اسقاط المطر من سحابة غير قابلة للهطول أو من
سحابة لم تصل الى درجة مناسبة من التطور والنضج » ويقول الدكتور
بوكاى « ان الانسان لا يستطيع الا أن يفجّل بعمليّة الهطول مستعينا
بذلك بالوسائل العلمية الملائمة بشرط أن تكون الظروف الطبيعية لذلك
متوفرة سلفا ، ولو كان الأمر ، سهلا لما انتشر الجفاف فى أنحاء العالم ،

وبذلك علينا أن نعترف بأن التحكم البشرى الكامل فى انزال المطر
أو تعديل الطقس سيظل حلما » .

وهكذا فإن القرآن الكريم لا يتعارض أبدا مع العلم الحديث ، ويجب
علينا ألا نفتخر بانفسنا ونظن أننا نستطيع انزال المطر ! اننا قد نستطيع
فقط بإرادة الله أن نعجل من هطول المطر من سحابة ناضجة بالفعل ،
ويجب أن ندرك أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يساعدنا على ذلك
بما منحنا من وسائل القدرة والمهارة والذكاء والتقدم العلمى .

ويطالبنا القرآن دائما أن نتأمل جميع ظواهر الطبيعة ولا مانع من
محاولة معرفة كيف ومتى وأين يسقط المطر آخذين فى اعتبارنا أننا
لن نتمكن مطلقا من التحكم فى هذه العملية ويكفى أن نعلم أن بخار الماء
يتبخر بحرارة الشمس من البحر الأحمر أو المحيط الهندى مثلا ثم تهب
الرياح وتحمله هنا وهناك عبر آلاف الأميال أو لمسافة قصيرة ليتكون
السحاب الذى تتم اثارته فى مكان وزمان معين دون تحكم بشرى فى
حركة الرياح أو السحاب . وبهذا فاننا بلاشك نعلم أن الرياح والأمطار
ظواهر طبيعية تخضع لقوانين مترابطة وصفها الله سبحانه وتعالى فى
اعجاز رائع يشمل علوم الأرصاد والجاذبية والهيدروستاتيكا
والهيدروديناميكا والديناميكا الحرارية والرطوبة النسبية وغير ذلك من
فروع المعرفة . ويجب أن نعترف بأن المعرفة البشرية محدودة بالنسبة
لعلم الله المطلق الغير محدود بزمان أو مكان . حقا ان علم الله واسمى
ومحيط وما لدينا من علم يمثل فقط جزءا ضئيلا جدا من العلم الالهى
وانعكاسا ضعيفا من نور الحقيقة الالهية كما فى قوله تعالى :

« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » .
« ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء »

(البقرة : ٢٥٥)

والمطر هو احدى الحقائق المتعددة فى الطبيعة التى يسيطر عليها
علم الله . ولقد ذكر الله المطر على أنه أحد الأسرار الخمسة فى الآية
القرآنية التالية :

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى
الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى
أرض تموت » .

(لقمان : ٣٤)

وهنا تستعرض الآية هذه الغيبيات الخمسة التي تدخل ضمن علم الله الواسع وهي :

- ١ - موعد قيام الساعة .
- ٢ - نزول الغيث .
- ٣ - معرفة ما فى الأرحام .
- ٤ - مستقبل حياتنا .
- ٥ - موعد ومكان وفاتنا .

وبالنسبة لعلم الساعة والمطر والأرحام فاننا قد نحصل بإرادة الله على جزء من علمه فيها . وأما بالنسبة لمستقبل حياتنا وموعد ومكان وفاتنا فهذا شيء مجهول لا يعلمه الا الله طبقا لنص الآية الأخيرة .

وعلى هذا وباستثناء حياتنا ووفاتنا فاننا قد نتمكن بإرادة الله من الفهم الجزئى لبعض قوى الطبيعة المسخرة لنا بأمر الله عز وجل الذى يقول فى القرآن .

« الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجوى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكل الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » .

(ابراهيم : ٣٢ - ٣٤)

حقا لقد سخر الله المطر والبحار والأنهار وكل ما فى الأرض لخدمة الإنسان ، بالإضافة الى تسخير الاجرام السماوية لتساهم فى تهيئة سبل الحياة ، فالشمس مثلا منبع الطاقة والقمر علاوة على فوائده يستخدم الآن للأبحاث العلمية منذ هبوط الإنسان على سطحه فى سفينة الفضاء أبو اللو ١١ عام ١٩٦٩ وقد يستخدمه الإنسان فى المستقبل كمحطة فضائية !

ورغم أن الله منحنا جميع هذه المميزات والخيرات والنعم التى لا تعد ولا تحصى فان الإنسان للأسف قد يكون كافرا . ويضرب الله لنا مثلا لصير القوم الكافرين الذين يستكبرون ويظلمون ويفسدون فى الأرض

القرآن الكريم - ١٩٣

معتمدين على قوتهم المادية وحضارتهم المتقدمة مثل قوم عاد الذين أهلكهم الله كما في قوله تعالى :

« فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ، فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » .

(فصلت : ١٥ - ١٦)

●● الباب الرابع

القمر وغزو الفضاء

٤ - ١ ظلام الفضاء الكوني

أولاً : زرقة السماء وحمرة الشفق

يتكون ضوء الشمس المرئي من ترددات مختلفة ، وتدرك العين البشرية مدى معين فقط من الترددات التي يترجمها المخ الى ألوان الطيف المعروفة بالأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجي . (ويمكن ملاحظة هذه الألوان في طيف الشمس بالانكسار خلال منشور زجاجي) واللون الأحمر أطول الموجات المرئية في ضوء الشمس وينفذ بنسبة كبيرة خلال الغلاف الجوي ، وأما اللون الأزرق فأواجه قصيرة ويميل لتشتت على الدقائق الصغيرة السابحة في الجو مثل ذرات الغاز والتراب التي تعمل على انعكاس الضوء وتشتت في جميع الاتجاهات . وبذلك يظهر نور النهار ويغلب فيه اللون الأزرق نظراً لارتفاع درجة تشتته وينتج عن ذلك أننا نرى السماء بلون أزرق .

ويشير الله تعالى الى نور النهار كاحدى معجزات الطبيعة بقوله سبحانه .

« والنهار اذا جلاها »

(الشمس : ٣)

وقوله سبحانه

« والليل اذا أدبر * والصبح اذا أسفر »

(المدثر : ٣٣ - ٣٤)

وإذا اعتبرنا لحظات الشروق أو الغروب فان أشعة الشمس تصل حينئذ مائلة الى سطح الأرض بعد أن تخترق مسافة أكبر في الغلاف الجوي مما يعطيها فرصة لتشتت أكثر فتتخلص بذلك من اللون الأزرق والألوان الأخرى ويتبقى فقط اللون الأحمر في أفق السماء لأنه أطول

الموجات وأقلها تشتتا وهذه الظاهرة الجميلة تسمى الشفق ويقدمها القرآن الكريم في صورة قسم الهى كدلالة على عظمتها وجمالها فى قوله تعالى :

« فلا أقسم بالشفق »

(الانشقاق : ١٦)

وإذا كان الغبار منتشرا فى الأفق فان ألوان الشفق تكون جذابة وخاصة عند الغروب لأن الشروق يكون فى الفجر حيث يقل الغبار عادة ويقل التشتت ، وأما أثناء النهار فان لون الشمس قد يتحول الى برتقالى ويتحول لون السماء الأزرق الى أصفر وذلك فى حالة هبوب العواصف الجافة المحملة بالأتربة التى تغير من درجة التشتت كما فى قوله تعالى :

« ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلموا من بعده يكفرون » .

(الروم : ٥١)

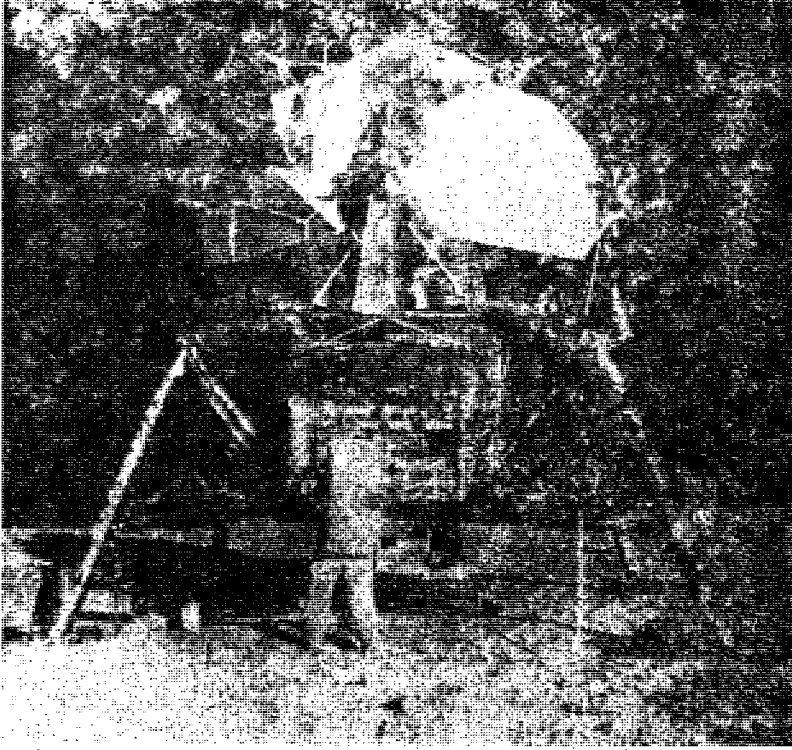
وهناك ظواهر ضوئية أخرى تحدث فى السماء مثل الضوء المشتت فى الأفق بعد الغروب وقبل الشروق حين يتنفس الصبح كما فى قوله تعالى فى القسم الالهى بهذه الظاهرة مؤكدا صدق القرآن وعظمة الرسول :

« والصبح اذا تنفس * انه لقول رسول كريم »

(التكويد : ١٨ - ١٩)

ثانيا : سواد الفضاء الكونى

من المعروف أن السماء تصبح حالكة السواد رغم بزوغ الشمس وذلك بعد مغادرة الغلاف الجوى ، ولكى ندرك هذه الظاهرة الغريبة تخيل أنك تركب سفينة فضاء وعندما تعبر الغلاف الجوى وتنظر من نافذة السفينة (الغير مواجه للشمس) فانك تلاحظ ظلما تاما لأن أشعة الشمس لاتجد ما يعثرها ويشتمتها لكى تصل الى عينك نظرا لعدم توفر ذرات الهواء والتراب فى الفضاء . وبهذا فلن تر النور المنعكس لضوء الشمس ولكنك ترى سماء حالكة السواد مرصعة بنجوم زاهية .



(شكل رقم ٤ - ١)

سواد الفضاء الكوني كما يبدو من سطح القمر المثير (لاحظ ظل رائد الفضاء)

وبالمثل فان منظر السماء على سطح القمر يشير الدهشة لاننا نرى ظلاما دامسا حتى بالنهار لان القمر ليس له غلاف جوى يقوم بعملية التشتت لضوء الشمس وبذلك لا يظهر اللون الأزرق في السماء كما تعودنا على الأرض ، وتظل سماء القمر حالكة السواد وتظهر فيها النجوم نهارا اذا ما نظرت الى أعلا بعيدا عن انعكاس الضوء من سطح القمر الذي يكون ساخنا بالنهار لتعرضه لأشعة الشمس لمدة طويلة أثناء نهار القمر الذي يدوم حوالي ١٤ر٥ يوم أرضي ، وتبدو الأرض بمنظر خلاب اذا ما نظرت اليها من سطح القمر والشكلان (٤ - ١) ، (٤ - ٢) يبينان لنا بعض الصور المأخوذة في الفضاء ويظهر فيها سواد الفضاء الكوني كنموذج لمناظر فريدة رائعة لم تكن معروفة حتى أواخر القرن العشرين . ولقد أشار القرآن الكريم الى ظاهرة ظلام الفضاء الكوني في آيات كثيرة مثل قوله تعالى .



(شكل رقم ٤ - ٢)

المركبة القمرية وسواد الفضاء وكوكب الأرض يبدو متيرا في الاق

« أنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها
فسواها * وأغطس ليها وأخرج ضحاها »

(النازعات : ٢٧ - ٢٩)

والتعبير القرآني في قوله سبحانه « وأغطس ليها » يشير الى جعل
ليل السماء حالك السواد أى الظلام التام للسماء ، لأن الليل والنهار
ليس لهما معنى عند السباحة فى الفضاء بعيدا عن جرم سماوى دائر
حول محوره ، وبهذا فان الليل هنا مقصود به الظلام . ولقد عجز
المفسرون عن ادراك معنى « ليها » واعتبروه « ليل الأرض » ولكن سياق
الآية غير ذلك ، ونحن الآن نعيش عصر الفضاء الذى كشف سر هذه

الآية وأوضح لنا أن السماء حالكة السواد رغم بزوغ الشمس ، وعندما نهبط على القمر نلاحظ أيضا أن السماء بالنهار تكون مظلمة لانعدام الغلاف الجوى شكل (٤ - ١) . وهذا أمر مخالف لما يحدث فى جو الأرض حيث يسطع نور النهار بفضل تشتت ضوء الشمس على ذرات الغلاف الجوى . وظلام الفضاء الكونى بعد مغادرة الغلاف الجوى للأرض حقيقة علمية عبر عنها القرآن الكريم فى آيات أخرى مشيرة الى دهشة الكفار (كفار مكة) اذا ما أتيح لهم ارتياد الفضاء كما فى قوله تعالى .

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون »
 « لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون »

(الحجر : ١٤ - ١٥)

وتعبر هذه الآيات عن الدهشة لمنظر غريب لا يعرفه من يرتاد الفضاء لأول مرة ، فالناس لم يألوا منظر سواد الفضاء الكونى رغم بزوغ الشمس ، ولو أتيح لهم الصعود لقالوا « انما سكرت ابصارنا بل ونحن قوم مسحورون » وتبدأ هذه الآيات بحرف الشرط « ولو » بما يفيد الامتناع ليدل على استحالة ارتياد الفضاء بالنسبة لكفار مكة ، ولكنه حدث يمكن أن يتم بالنسبة لغيرهم من البشر كما نلاحظ ذلك من معنى الآية (الرحمن : ٣٣ - ٣٤) المقتبسة فى البند (٤ - ٣) ، أما الآيات هنا فتصف مشاعر من يرتاد الفضاء وكأنه سكران أو مسحور ! وهذه المشاعر والأوصاف مطابقة تماما لما وصفه رواد الفضاء عقب اختراقهم للغلاف الجوى عام ١٩٦١ حيث لاحظوا أن السماء فقدت لونها الأزرق الجذاب وأصبحت سوداء مظلمة ، وتبدو الأرض من بعيد على هيئة كرة سابعة فى الفضاء المظلم وهى محاطة بلون أزرق ، وأما الشمس فتصبح أقل اصفرارا (لاحتواء الضوء على مزيد من الأشعة فوق البنفسجية فى الفضاء) ومحاطة بخلفية سوداء من جميع الجهات . أى أن جميع الأجرام تسبح فى ظلام الفضاء الكونى وقد يشير هذا الى معنى الآيات التالية فى قوله تعالى :

« وجعلنا الليل لباسا »

(النبا : ١٠)

« والليل اذا يقشاها »

(الشمس : ٤)

ويمكن اعتبار « الليل » هنا اشارة الى ظلام الفضاء الكونى والفعل

يغشى بمعنى يغطي ، كما أن الآية التالية تشير أيضا الى الليل على أنه الغطاء الأصيل والرئيسي للأرض بينما النهار طارئ مخالف للقاعدة العامة التي تتمثل في ظلام الفضاء الكوني . كما في قوله تعالى :

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار »

(ياسين : ٣٧)

حقا ان الجمال والنظام في السماء فوق رؤوسنا يدعونا حتما الى التأمل في قدرة الله بالنظر في العالم الخارجى كما في قوله تعالى :

« الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن

من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر

كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير * »

(الملك : ٣ - ٤)

وهذه الآية تطالبنا بملاحظة النظام والاتقان الموجودين فى السماوات وما بها من اجرام تتبع قوانين منتظمة فى هذا الفضاء الشاسع الذى يقع فى حدود ابصارنا حيث نلاحظ عدم وجود أى تصدع أو خلل . كما أن الكون يتسع فيما وراء قدرات ابصارنا وما وراء قدرات أجهزتنا الحديثة المتطورة . . . ولا بد أن نعتزف بحدود امكانياتنا فى اختراق أغوار هذا الكون . . . وقد تشير الآية أيضا الى ظلام الفضاء الكوني بالإضافة الى عجز قدراتنا المحدودة (كالأبصار وأجهزة الرصد) على الاطاحة بهذا الكون أو تجاوز حد معين فى الأفاق البعيدة .

وطبقا لهذه المناقشة العلمية السابقة (عن ظلام الفضاء الكوني) فإننا لا بد أن ننبهر بتلك التحديدات الدقيقة فى القرآن التى لا يمكن افتراض انها صدرت عن فكر انسان عاش منذ أربعة عشر قرنا تقريبا ٢٠٠

٤ - القمر

القمر هو أحد الأجرام السماوية الرائعة الساحرة القريبة منا والتي يمكن ادركها بالعين المجردة ، ويوجد القمر على بعد تقريبي قدره ٤٠٠ ألف كيلو متر أى حوالى ٢٥٠ ألف ميل من الأرض لدرجة أننا نستطيع أن نرى ملامح سطحه البارزة بدون تليسكوب ، ولقد تعود الأطفال فى جميع بقاع الأرض على التمتع دائما بمنظر البدر المكنم الذى يبدو للإنسان وكأنه وجه امرأة جميلة ، أو كأنه أشكال أخرى حسب تخيل الرائي لمعالم سطح القمر .

ولقد كان للقمر وللشمس منزلة كبيرة فى قلوب الناس منذ قديم الزمان ، لدرجة أن شعوبا كثيرة عبدت هذين الجرمين ولكن القرآن الكريم نهى البشرية عن عبادة الأجرام السماوية والاتجاه فقط الى الله عز وجل أى الاتجاه الى الخالق وليس الى المخلوق وذلك طبقا لنور الوحدانية فى الاسلام الذى الذى اضاء الطريق الروحي للبشرية كما فى قوله تعالى :

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى

خلقهن » .

(فصلت : ٢٧)

ويتضح من هذه الآية الكريمة أن لفظ « خلقهن » أتى بضمير الجمع المؤنث بدلا من ضمير المثنى كدلالة على تعدد الشمس والأقمار فى هذا الكون ، ورغم أن هذه الحقيقة لم تكن معروفة أثناء نزول القرآن وحتى اختراع التليسكوب عام ١٦١٠ ميلادية فإن التعبير القرآني تحدث عنها فى اعجاز لغوى اتضح علميا الآن حيث تعددت الأقمار فى المجموعة الشمسية ووصلت الى ٥٣ قمرا كما أن النجوم ما هى الا شمس ، ولهذا فإن القرآن الكريم يمتاز بالدقة والأيجاز والاعجاز .

والقمر هو جارنا فى الفضاء وهو رفيق الأرض حتى أن بعض الناس يقولون أن الأرض والقمر توأمان ويكونان كوكبا واحدا ، ومن

المعروف ان الكواكب الأخرى المماثلة للأرض حجما ليس لها أقمار ماعدا المريخ الذى يدور حوله قمران صغيران وكانهما نيزكان ، وأما قمر الأرض فهو كبير وقطره $\frac{1}{4}$ قطر الأرض ، وطبقا لأحدث المعلومات فان عدد أقمار المجموعة الشمسية ٥٣ قمرا موزعة على الترتيب كما يلي (باستثناء عطارد والزهرة لأنهما كواكب ليس لها أقمار) •

الأرض ١ ، المريخ ٢ ، المشترى ٥١ ، زحل ١٧ ، يورانوس ١٥ ، نبتون ٢ ، بلوتو ١ •

والقمر مثل جميع الأقمار والكواكب لا يضيء بذاته ، ولكنه يعكس فقط ضوء الشمس ويميز القرآن الكريم بين التوهج الذاتى كما فى الشمس وبين نور القمر المنعكس كما فى قوله تعالى :

« هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا » •

(يونس : ٥)

وهذه الآية تحتاج الى تعليق فبينما يذكر الانجيل الشمس والقمر على أنهما جرمان مضيئان دون تمييز ويصف الشمس بأنها أكبر من القمر فان القرآن يميز بين طبيعة ضوء الشمس ونور القمر من الناحية الفيزيائية كما فى هذه الآية وآيات أخرى فى قوله تعالى :

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا »

(الفرقان : ٦١)

« ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » •

(نوح : ١٥ - ١٦)

ويوصف القمر هنا بالجرم المنير أما الشمس فيقارنها القرآن بالسراج الوهاج •

ويقول الدكتور بوكاى (*) « هذه المقارنة طبيعية وماتهم الاشارة اليه هنا هو ذلك الايجاز فى التعبير عن هذه المقارنة بالأضافة الى خلو القرآن من أى خرافة كانت سائدة فى ذلك العصر وأصبحت اليوم وهما خاطئا •

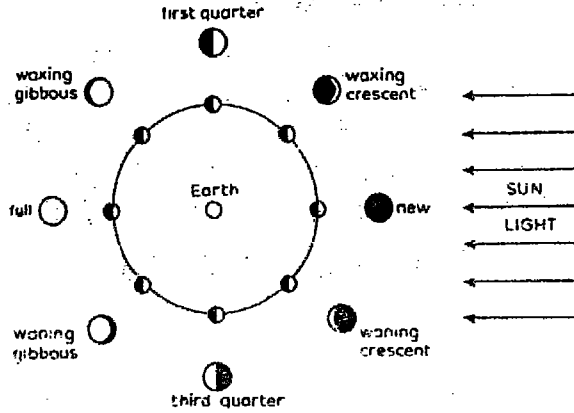
(*) موريس بوكاى - المرجع السابق ص ١٧٩ •

ونحن الآن نعلم أن الشمس نجم ينتج الضوء والحرارة بالطاقة المتولدة من التفاعلات النووية ، على حين أن القمر ليس مضيئاً بذاته بل يعكس إلينا ما يسقط عليه من ضوء الشمس . لاشيء اذن في القرآن يناقض ما جاء به العلم الحديث .

ولقد أشار القرآن الكريم الى ملاحظة منازل القمر والاستفادة منها في معرفة الزمن والحساب كما في قوله تعالى :

« هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقمره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق ليصل الآيات لقوم يعلمون »

(يونس : ٥)



(شكل رقم ٤ - ٣)

منازل القمر

وبالنسبة لمنازل القمر والحسابات المتصلة بها فقد أوضح العلم الحديث الحقائق التالية :

تضيء الشمس النصف المواجه لها من سطح القمر بينما يكون النصف الآخر منه مظلماً ، ونظراً لدوران القمر حول نفسه فان الليل والنهار يتعاقبان على سطحه . وبينما يدور القمر حول الأرض فان جزءاً متغيراً من النصف المضاء من سطح القمر هو الذي يكون في مستوى النظر بالنسبة لسكان الأرض ، وتبدأ منازل القمر في الظهور كأطوار مختلفة

تتكرر كل شهر قمرى ، وتظهر فى البداية عندما يكون القمر بين الأرض والشمس ويكون الوجه المضاء للقمر مختلفيا عن سبكان الأرض (طور المحاق) . ثم يظهر الهلال ، وبعد اسبوعين فان الوجه المضاء للقمر يكون مواجهًا لسطح الأرض ويظهر القمر فى هذه الحالة فى طور البدر شكل (٤ - ٣) .

والقمر فى أول ظهوره (أول الشهر القمري) يكون جهة الغرب على هيئة هلال صغير يظهر ويختفى مع غروب الشمس ، ويتطور الهلال بعد اسبوع الى نصف بدر فى طور يسمى التربيح الأول حيث يشرق القمر فى الشرق وقت الظهر ويعلو ويصبح جنوب السماء عند غروب الشمس ويغرب أى يختفى فى الغرب عند منتصف الليل . وفى نهاية الاسبوع الثانى يصبح القمر بدرا كاملا يشرق فى الشرق فى نفس الوقت الذى تقرب فيه الشمس فى الغرب ويعلو البدر ويصبح فى جنوب السماء فى منتصف الليل ويختفى عند شروق الشمس . وفى نهاية الاسبوع الثالث يعود القمر على هيئة نصف بدر فى طور التربيح الثانى حيث يشرق فى منتصف الليل ويغرب وقت الظهيرة ، وفى نهاية الاسبوع الرابع يختفى القمر تماما ويصبح فى طور المحاق ، وبعد ذلك يظهر الهلال الجديد فى أول الشهر أى بعد مرور ٢٩ر٥ يوم للدورة الكاملة التى تتكرر لتمطى هذه المنازل التى يصفها الله سبحانه وتعالى بقوله :

« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

(يس : ٣٩)

وهذا يشير الى منازل القمر التى تتغير حتى يصبح هلالا يشبهه عنقود البلح القديم الجاف عندما يتجدد وينحنى .
وهناك آيتان فى غاية الأهمية فى القرآن تخصان مدار الشمس ومدار القمر وهذان المداران تم اكتشافهما حديثا .

فنأمل قوله تعالى

« وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون »

(الأنبياء : ٢٣)

« لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »

(يس : ٤٠)

القرآن يذكر بوضوح هنا أمرا جوهريا ، ألا وهو وجود مدار لكل من الشمس والقمر ، كما يشير الى تنقل هذين الجرمين في الفضاء كل بحركة خاصة باستعمال فعل « يسبح » ، ولفظ « فلك » ، ولقد أثار هذا التعبير القرآني دهشة المفسرين القدماء ، لأنهم لم يكن في مقدورهم أن يتخيلوا السباحة في فلك دائري لكل من الشمس والقمر في الفضاء ! وبهذا فقد قدم القرآن في وقت نزوله مفهوما جديدا لم يتضح الا بعد قرون عديدة . وبالنسبة لمدار القمر فلقد أصبح معروفا الآن أن القمر يدور فورة كاملة في مداره حول الأرض كل ٢٧٣ يوم ، وبذلك تحدث له ازاحة بمعدل ١٣ درجة يوميا مما يؤدي الى تأخر ظهوره في الأفق بمعدل ٥١ دقيقة يوميا . ويدور القمر أيضا حول نفسه مرة كل ٢٧٣ يوم أي في نفس الفترة التي يدور فيها حول الأرض . وبذلك يدور القمر حول الأرض وحول نفسه أي يتحرك حركة انتقالية دورانية مصحوبة بحركة ذاتية مغزلية شكل (٤ - ٣) وهذه الحركة يعبر عنها القرآن تعبيراً دقيقاً بالسباحة في فلك ! ومن المستحيل ان نتصور ان انسانا عاش في القرن السابع الميلادي (مهما كان لديه من علم في عصره) قد استطاع ان يتخيل مثل هذه الحقائق بل أننا حتى الآن لا نصدق ان القمر يدور فعلا حول محوره لأنه يبدو لنا دائما بوجه ثابت ، وبمعنى آخر فاننا على الأرض نرى دائما القمر بوجه واحد فقط ولا نرى مؤخرة رأسه ! ، وهذا يرجع الى تزامن دوران القمر حول نفسه وحول الأرض ، ولم يستطع الانسان رؤية الوجه الآخر المسمى بالوجه البعيد المختفى للقمر الا بعد غزو الفضاء .

والقرآن الكريم يعبر عن حركة القمر في مداره بلفظ يسمع وهذا أدق تعبير للدلالة على أن حركته الانتقالية في المدار مصحوبة قطعا بحركة دائرية منه .

ويعبر القرآن الكريم أيضا عن العلاقة بين التقويم الشمسي والتقويم القمري كما في قوله تعالى :

« ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا
قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض » .

(الكهف : ٢٥ - ٢٦)

وباستثناء الفلكيين فان غالبية الناس لا يعرفون العلاقة بين التقويم الشمسي والقمرى ، ولقد تم حساب الشهور القمري جديدا بما قيمته ٢٩٥٣٠٥٩ يوما ، وتكون السنة القمرية مساوية ١٢ × ٢٩٥٣٠٥٩ =

٣٥٤٣٦ يوماً ، وبهذا فان ٣٠٠ سنة شمسية تقابل ٣٠٩ سنة قمرية (هجرية) ، وهذه العلاقة الرياضية واضحة في الآية السابقة التي تبين أيضا حقيقة نسبية الزمن سواء قسناه بالتقويم الشمسي أو القمري فالزمن نسبي وليس مطلقاً ، والزمن الحقيقي يعلمه الله وحده كما في قوله تعالى :

« قل الله أعلم بما لبثوا »

(الكهف : ٢٦)

مما قد يشير الى ما نسميه في عصرنا بالنظرية النسبية التي تمثل سرا من أسرار الزمان والمكان في هذا الكون كما أعلنها العالم أينشتين عام ١٩٠٥ .

والحركة في المدارات في علم الفلك هي حركة عامة تشمل جميع الأجرام السماوية ، وتخضع لقوانين خاصة تعتمد على التوازن بين قوة الجذب العام وبين القوة الطاردة المركزية المساوية لها في المقدار والمضادة لها في الاتجاه تماما مثل كفتي ميزان . ولقد تم كشف هذه القوانين عام ١٦٧٠ ميلادية ويشير القرآن الكريم الى هذا التوازن في حركة الأجرام السماوية كما في قوله تعالى :

« الشمس والقمر بحسبان . . . والسماء رفعها ووضع الميزان »

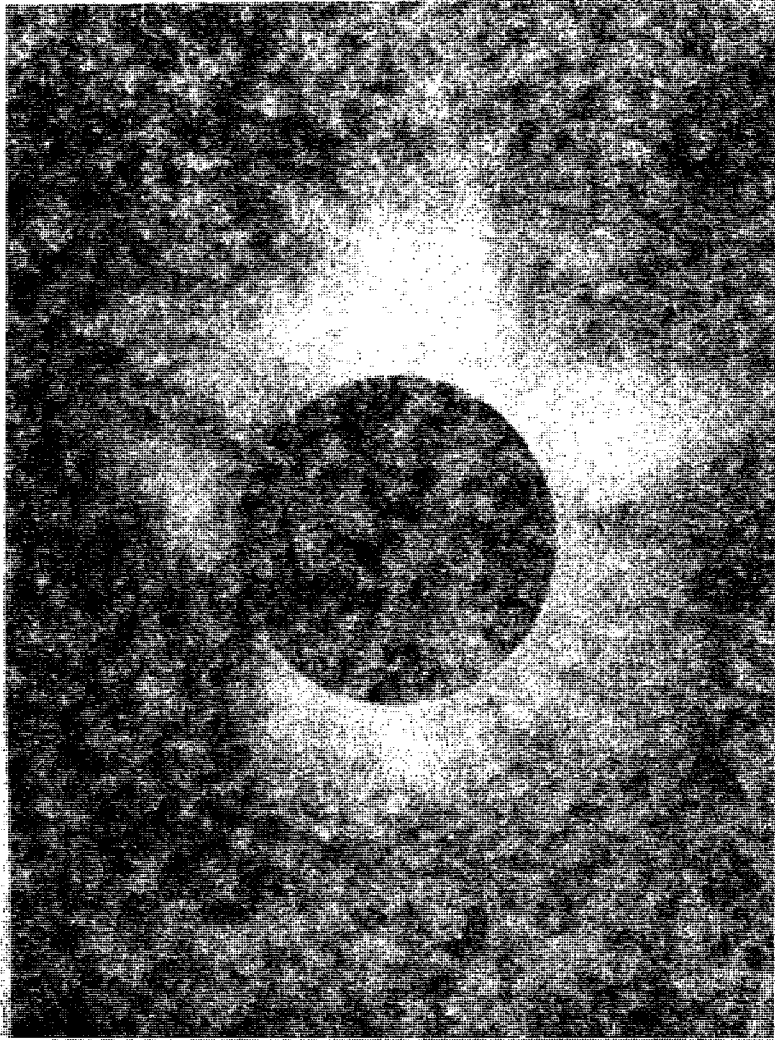
(الرحمن : ٥ - ٧)

وهذا يشير الى أن السماوات محفوظة بتوازن رياضي محسوب كما في قوله تعالى « بحسبان » حقا ان الشمس والقمر يتبعان مدارات محسوبة بدقة متناهية وتخضع حركتهما لقوانين وضعها الله سبحانه وتعالى لتصبح أساسا لعلم الفلك يقول سبحانه .

« لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون »

(يس : ٤٠)

وبهذا فان كل جرم له مداره الخاص وعندما يقع القمر بين الشمس والأرض على خط مستقيم واحد فانه سوف يحجب ضوء الشمس عن الأرض ويحدث بذلك كسوف الشمس شكل (٤ - ٤) . وأما اذا جاء القمر في الناحية الأخرى لتصبح الأرض بين الشمس والقمر على خط



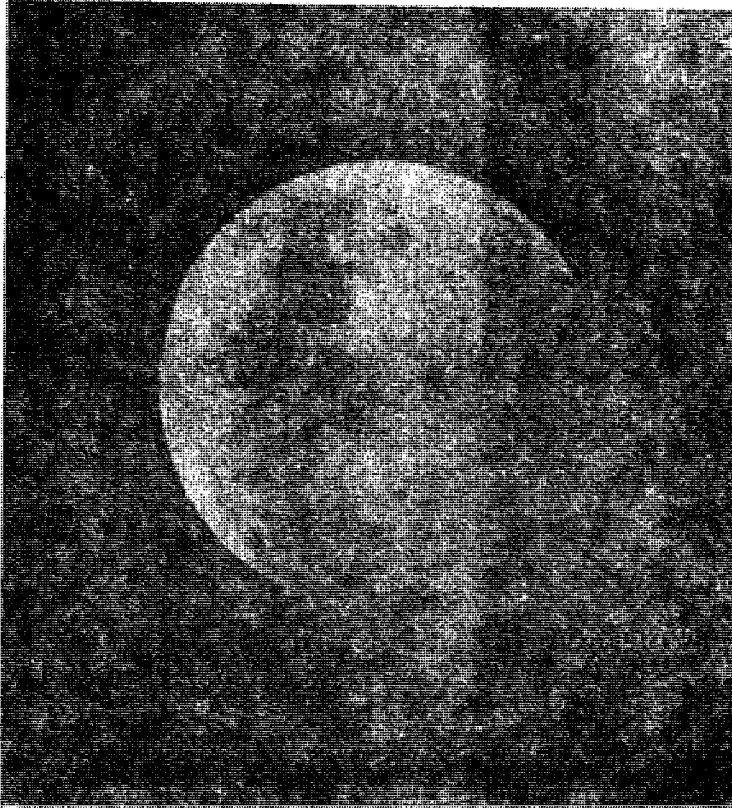
(شكل رقم ٤ - ٤)

الكسوف الكلي للشمس

واحد فان خسوف القمر يحدث في هذه الحالة شمسكل (٤ - ٥)
وهكذا تتحرك الأجرام السماوية دون تصادم نتيجة الحركة المدارية في
فلك مستقل لكل جرم طبقا لقوانين منتظمة محسوبة اتاحت لنا إمكانية
التنبؤ بالمواعيد المتوقعة للكسوف والخسوف في المستقبل . حقا إن
هذه الحقائق الفلكية وغيرها في فروع العلم المختلفة لابد أن تقود

القرآن الكريم - ٢٠٩

الانسان العاقل الى معرفة الخالق عز وجل . ان النظام الذى يشرف على
الأجرام السماوية وعلى الحياة بجميع أنواعها يتضح لنا تدريجيا كلما
تعمقنا فى دراسة العلم الحديث ، وكلما ازداد الانسان علما ازداد اعجابا
بهذا النظام ومعرفة النظام الشامل فى الكون تؤدي الى سقوط ورفض
ما يسمى بالصدفة العمياء فى تشكيل هذا الكون .



(شكل رقم ٤ - ٥)

الحسوف الجزئى للقمر

البيئة على سطح القمر :

العظمة لله وحده والشكر له سبحانه على النعم الكثيرة التى
منحها لنا على كوكب الأرض كالجاذبية الأرضية والغلاف الجوى ،
وبالمقارنة فان طبيعة القمر موحشة ولا يوجد له غلاف جوى لضعف
جاذبيته وهذا يؤثر مباشرة على البيئة القمرية كما يلى :

١ - السماء القمر سوداء حتى بالنهار (انظر بند ٤ - ١ وشكل ٤ - ١) .

٢ - ليس لسماء القمر سحب تعكس ضوء الشمس ولهذا يتعرض سطحه لحرارة الشمس ولاشعتها الضارة التي تصل دون أن يرشحها أى غلاف جوى . وتصل درجة حرارة سطح القمر أثناء النهار الى ١٠٠ م ولذلك هبط الرواد في مكان كادت تغيب عنه الشمس تحاشيا للحرارة العالية على سطح القمر . (ويمكن ملاحظة ذلك من طول الظلال الواضحة في الصورة بشكل (٤ - ١)) ويبرد سطح القمر ليلا الى ١٥٠ درجة تحت الصفر لعدم وجود غلاف جوى يحجز الحرارة المتصدة أثناء النهار .

٣ - تبدو البيئة موحشة جدا عندما تصل الى سطح القمر لأن غياب الضغط الجوى يجعل من المستحيل وجود غلاف مائى على السطح لأن الماء يتكون من جزيئات تتجمع مع بعضها بتأثير الضغط فوقها ، ولو فرضنا أن الماء موجود مؤقتا على سطح القمر فانه سوف يتبخر ويتلاشى فى الفراغ فورا .

٤ - الصوت لا يمكن انتقاله فى سماء القمر لعدم وجود هواء كما أننا لا نستطيع اشعال النار على سطح القمر لغياب الاكسجين .

٥ - لا يوجد طقس للقمر ، والمطر الوحيد هو مطر النيازك من الفضاء ، ولقد هاجمت النيازك سطح القمر فى الماضى بكثرة لبلابين السنين ، ونحن نعلم أن معظم النيازك تحترق بالاحتكاك على هيئة شهب فى جو الأرض ، أما سماء القمر فلا تحرق النيازك والشهب لغياب الغلاف الجوى ، ونظرة الى سطح القمر تبين الى أى مدى أصبح هذا السطح مشوها نتيجة كثرة اصطدام النيازك به كما بالشكل (٤ - ٦) .

٦ - لا توجد عوامل نحت أو تعرية على سطح القمر فلا توجد رياح أو أمطار وبهذا لا تتغير معالم السطح كما بالأرض ، ويشير القرآن الكريم الى ازدياد كثافة الشهب والنيازك والدقائق المشحونة السريعة والأشعة الخطيرة المنتشرة فى الفضاء وعلى سطح القمر وذلك ضمن معانى الآية التالية كما فى قوله تعالى :

« وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلْبَثٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا »

(الجن : ٨)



(شكل رقم ٤ - ٦)

سطح القمر وأثار اصطدام النيازك

٧ - نحن لانستطيع أن نتنفس على سطح القمر لعدم وجود هواء ويجب أن نحمل معنا الاكسيجين من الأرض ، ونحرص أيضا على أن نلبس بدلة خاصة محكمة غير مثقوبة (لتكثيف الضغط على أجسامنا) ، وهذه الحقيقة يشير اليها القرآن في سياق آية روحية هادفة :

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنهصا يصعد في السماء. كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴿١٢٦﴾ وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون »

(الأنعام : ١٢٥ - ١٢٦)

والآن وقد وصفنا باختصار البيئة القمرية الموحشة ، وأوضحنا عدم وجود حياة أو هواء أو ماء أو نار أو صوت على القمر ، فهل علمت بذلك نعمة الله في الأرض المباركة واعترفت بآيات خلقك ونموك وتنفسك وطعامك وشرابك والنبات الذى ينمو على أرضك ودورة الماء خلال الأنهار والبحار والأمطار والسحب ؟ وهل أيقنت نعمة الغلاف الجوى على الأرض الذى يحميك من الشهب والاشعاعات الخطيرة أو يسهل لك اشعال النيران وتوليد الطاقة وغير ذلك من آيات الله والنعمم التى لاتحصى ؟ حقا كل شىء فى الكون يشير الى الخالق عز وجل الذى يخبرنا فى القرآن بعلامات اقتراب الساعة كما فى ظاهرة انشقاق القمر .

انشقاق القمر فى المستقبل .

القمر هو أقرب جرم يؤثر على سكان الأرض . ويدرك البحارة بالذات تأثير القمر على عملهم أثناء ظاهرة المد والجزر التى تؤدى الى ارتطام الماء بالشواطىء نتيجة جذب القمر للكتل المهولة لمياه البحار والمحيطات ، وهذا الجذب يعمل كقرملة تؤدى الى ابطاء سرعة دوران الأرض حول محورها ، وبالتالي الى زيادة طول اليوم الأرضى تدريجيا مع مرور الزمن .

ولقد قام الفلكيون حديثا بالتأكد من التغير الطفيف فى طول اليوم على الأرض باستخدام الرصد الفلكى للنجوم ومساعدة الساعات الذرية لقياس هذا الابطاء التدريجى الذى يقدره العلماء حاليا بحوالى ٠.٠٢ر٠٠ ثانية كزيادة فى طول اليوم كل مائة سنة ولقد استخدم الجينولوجيون الشعب المرجانية لقياس هذا التغير فى طول اليوم وذلك بمقارنة عدد الأخرمة السنوية التى توضح معدل النمو اليومي لهذه الكائنات البحرية قديما وحديثا ولقد اتضح من هذه الدراسة أن حفريات المرجان القديمة التى عاشت منذ ٣٥٠ مليون سنة تحمل شاهدا على أن اليوم كان فى ذلك الوقت ٢٢ ساعة فقط ، وقياسا على ذلك فاننا اذا عدنا الى الوراء ٤٥٠٠ مليون سنة فاننا نستنتج أن طول اليوم كان فقط ٤ ساعات أثناء التاريخ المبكر للأرض وهذا يعنى أن الأرض كانت تدور بسرعة كبيرة حول محورها فى ذلك الزمن القديم ، ومن المدهش مقارنة الآيتين القرآنتين التاليتين عن تتابع الليل والنهار فى فترتين مختلفتين من تاريخ الأرض حيث تشير الآية الأولى الى التتابع السريع لليل والنهار فى بدء الخليقة قبل عملية تطوير الأرض كما فى قوله تعالى :

« أن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يفتي الليل النهار يطلبه حثيثا » •

(الاعراف : ٥٤)

وأما الآية الثانية في قوله تعالى :

« الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يفتي الليل النهار ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون » •

(الرعد : ٢ - ٣)

فهى تذكر تتابع الليل والنهار دون وصفه بلفظ «حثيثا» ، وهذا قد يشير الى الابطاء الذى حدث فى دوران الأرض حول محورها بمرور الزمن بعد اكتمال خلق الأرض وتطويرها بالماء وانشاء الرواسي والأنهار ونشأة الحياة فيها ، وذلك من سياق الآية الأخيرة كما شرحنا فى بند (١ - ٢)

وظاهرة المد والجزر تلعب دورا هاما فى نظام الأرض والقمر حيث يؤدي الاحتكاك الحادث بين الماء وشواطئه وقيعان البحر أثناء دوران الأرض حول نفسها الى تباطؤ الارض ، وهذا يؤدي الى اسراع القمر وينتج عن ذلك اتساع مداره حول الأرض تدريجيا ، أو بعبارة أخرى فإن القمر يبتعد عنا بمعدل أمكن تقديره حديثا بحوالى ٤ سم كل عام وهى ازاحة ضئيلة جدا بالنسبة لبعده القمر عنا بمسافة قدرها ٣٨٤٠٠٠ كيلومتر ، ولقد استخدم العلماء أشعة الرادار وأشعة الليزر لقياس هذه الازاحة الضئيلة التى تنتج بسبب قانون بقاء كمية التحرك للأرض والقمر بحيث أن كمية التحرك التى تفقدها الأرض يكتسبها القمر بنفس المقدار ، وينتج عن ذلك زيادة طول اليوم الأرض وطول الشهر القمري بمرور الزمن ، ويتوقع العلماء اقتراب القمر من الأرض فى المستقبل لدرجة ان فرق قوة الجاذبية على جانبي القمر سيؤدي فى النهاية الى انشقاقه •

ولقد أشار القرآن الكريم الى ظاهرة انشقاق القمر كما فى قوله تعالى :

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

(القمسر : ١)

وهذه الآية قد تشير بأسلوب مباشر الى انشقاق القمر ، وهذا التطور متوقع علمياً في المستقبل البعيد ، وبالإضافة الى اثر المد والجزر فان هناك عوامل أخرى مثل التغير في قوة الجاذبية العامة الذي قد يعتجل من حدوث انشقاق القمر ولا أحد يعرف متى سيحدث ذلك ؟

وسوف ينشق القمر في المستقبل كعلامة من علامات الساعة ، ومقدمة للانقلاب والأنهيار الذي سيحدث في كل أرجاء الكون ، وعند قيام الساعة سيسطع نور الله ، ويتلاشى هذا الكون وينشأ عالم جديد (راجع بند (٦ - ٢) ، (٦ - ٥) ، وبهذا فان يوم القيامة قادم لامحالة ، ويمكننا ان نضع يوم الحساب في اعتبارنا دائماً ونستعد من الآن لكي نفوز بالنعيم المقيم في الجنة ورضوان الله .

٤ - ٣ عصر الفضاء ورحلة الانسان للقمر

بدأ عصر الفضاء في ٤ أكتوبر ١٩٥٧ عندما أطلق الاتحاد السوفيتي أول قمر صناعي ناجح يدور حول الأرض (سبوتنك ١) ، وبدأ الفلكيون منذ ذلك التاريخ في التفكير في اكتشاف القمر بواسطة سفن الفضاء ، وفي ٤ أكتوبر عام ١٩٥٩ أطلق السوفيت مركبة الفضاء لونا ٣ التي مرت حول القمر وصورت لأول مرة وجهه المخفي عنا .

وفي عام ١٩٦٦ أطلقت أمريكا أقمارا صناعية كثيرة تدور حول قمر الأرض في مشروع المدار القمري لوكالة ناسا لتصوير سطح القمر ، وحصلت الوكالة على حوالي ٢٠٠٠ صورة رائعة ، وهكذا تحقق للانسان وعده الله برؤية آياته في الآفاق البعيدة ، كما في قوله تعالى في القرآن الكريم .

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه لحق »

(فصلت : ٥٣)

حقا ان الحقيقة الالهية سوف تنتشر في الوقت المناسب والله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء في هذا الكون كما في قوله سبحانه :

« يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور »

(العديد : ٤ - ٥)

والله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان ولا يحده مكان أو زمان ويعلم كل ما يعرج في السماء وهو معنا أينما نكون ، وهذه الآية تبين

أن الله يرى كل شيء في الوجود ، ويعلم كل ما نفعسل ، وله السيطرة المطلقة الكاملة على كل هذا الكون ، وحتى لو سافرنا في الفضاء فهو معنا يراقب كل أعمالنا .

وغزو الفضاء موضوع هام تعرض له القرآن بشكل مباشر كما في قوله تعالى :

« يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ » .

(الرحمن : ٣٣ - ٣٤)

وهذه الآية تخاطب معشر الجن والانس وتقرر انهم لن يستطيعوا غزو الفضاء والهروب من اقطار السماوات والارض الا بسلطان من الله ، وأن عليهم ان يشكروا الله لمنحهم الامكانيات لتحقيق ذلك .

حيث أن موضوع الجن فوق مستوى ادراكنا علميا ، فإننا سوف نناقش القضية بالنسبة للانس .

ولقد بدأ عصر الفضاء بعد نزول القرآن بحوالى ١٣٨٠ سنة وأصبح السفر الى الفضاء حقيقة الى حد ما ، ولهذا فان الآية السابقة أشارت منذ اربعة عشر قرنا الى غزو الفضاء وبينت النقاط الرئيسية التالية :

١ - استخدام حرف الشرط « ان » في هذه الآية تغيير لغوي عن فرض جائز مما يعطى امكانية مادية لانجاز ملموس في غزو الفضاء لمعشر الجن والانس كل على حسب قدراته وهذا ما تحقق الى حد ما فعلا في عصرنا الحاضر بالنسبة لنا معشر البشر .

٢ - العبارة « تنفذوا من » تعنى لغويا العبور من جهة الى جهة والخروج من الناحية الأخرى ، وبذلك تشير الآية الى ولوج عميق وخروج من جهة معاكسة للمناطق المشار اليها ، وربما يتحقق هذا بالتقدم المستمر في تكنولوجيا غزو الفضاء .

٣ - السلطان الذى سيكون للبشر عونا على تحقيق غزو الفضاء يبدو بلاشك سلطانا نايما من الله العلى القدير كما هو واضح فى ختام الآية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » كدعوة لنا للاعتراف بنعم الله وأفضاله المتعددة .



(شكل رقم ٤ - ٧)

اول رائد فضاء يهبط على القمر (نيل أرمسترونج)

وبصرف النظر عن الجن فقد تحقق وعد الله بالنسبة للانسان في غزو الفضاء في القرن العشرين وذلك بسلطان من الله ، وسوف تذكر البشرية ذلك اليوم التاريخي الخالد في ٢٠ يوليو ١٩٦٩ حينما هبط الانسان لأول مرة على سطح القمر كما بالشكل (٤ - ٧) في رحلة سفينة الفضاء أبوللو ١١ ، والتي انطلق بعدها خمس رحلات أخرى يقودها أيضا بشر وذلك في سفن الفضاء أبوللو ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، وتحقق بذلك حلم البشرية في الوصول الى القمر .

ولقد كان نيل أرمسترونج الرائد القائد لأبوللو ١١ وسيظل اسمه في التاريخ كأول انسان يمشى على سطح القمر .

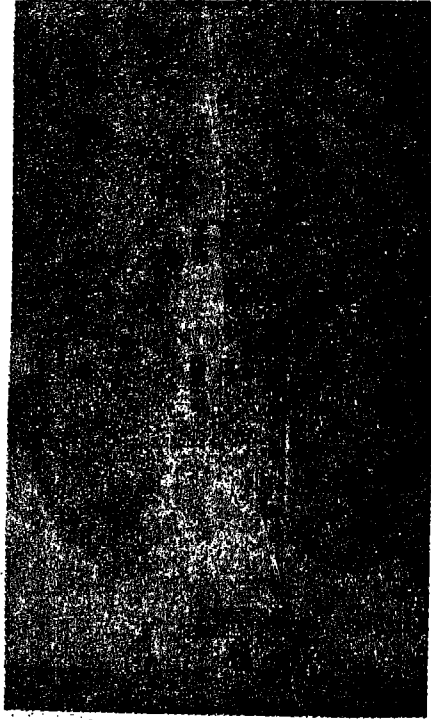
وما كان للانسان ان ينجح في غزو الفضاء الا باذن وسلطان من الله . وسفن الفضاء ما هي الا منحة الهية من الله عز وجل الذي يقول في القرآن الكريم :

« وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون *
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » .

(يس : ٤١ - ٤٢)

فالعظمة لله الذي أخضع وسخر لنا كل شيء وخلق لنا ما يشبه الفلك كسفن الفضاء مثلا وأعطانا الذكاء والعلم والمهارة اللازمة لانتاج هذه السفن والتحكم في قيادتها .

وفى الساعة ٩:٣٢ صباح يوم ١٦ يوليو ١٩٦٩ ركب نيل أرمسترنج والدرين وكولينز سفينة الفضاء أبوللو ١١ فى مهمتهم التاريخية لاستكشاف القمر ، حيث انطلقت سفينتهم بمساعدة صاروخ جبار يدعى ساتورن ٥ شكل (٤ - ٨) ، وهو أحد الصواريخ العملاقة ويبلغ طوله كمنطقة سحاب مكونة من ٣٥ طابقا ، وقوة دفعه تصل الى حوالى ٣٨٠٠ طنا ، ويحمل فى قمته سفينة أبوللو ١١ التى احتوت بداخلها على المركبة القمرية والمركبة الأم . ولقد تم الانطلاق بسرعة ٧ ميل / ثانية (أى ٢٥٠٠٠ ميل / ساعة) حتى يمكن الهروب من جاذبية الأرض والسفر مسافة قدرها ٢٤٠٠٠٠ ميل للوصول الى القمر . ولقد هبطت المركبة القمرية وهى تحمل رائدى الفضاء أرمسترنج والدرين على سطح القمر بينما ظل كولينز ينتظرهم فى المركبة الأم التى كانت تدور فى مدار حول القمر . وفى رحلة العودة انطلقت المركبة القمرية برائدى الفضاء أرمسترنج والدرين حيث التحمت مرة أخرى بالمركبة الأم التى عادت بهم جميعا سالمين الى وطنهم على كوكب الأرض .



(شكل رقم ٤ - ٨)

الصاروخ ساتورن « لحظة انطلاقه فى رحلة أبوللو ١١ »

ولقد تكررت رحلات أبوللو وانتقل رواد الفضاء من مرحلة الى مرحلة ، وفي كل مرة كانوا يركبون طبقا عن طبق كما قد تشير الآية القرآنية التالية :

« فلا أقسم بالشفق* والليل وما وسق* والقمر
إذا اتسق* لتركبن طبقا عن طبق* فما لهم لا يؤمنون*
وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون* بل الذين كفروا
يكذبون* والله أعلم بما يوعون* فيشرهم بعذاب اليم*
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » .

(الانشقاق : ١٦ - ٢٥)

وهنا نلاحظ القسم الالهي وقد تضمن بعض الظواهر الطبيعية التي تدل على جمال الخلق وقدرة الله مثل ضوء الشفق أى الوهج الأحمر الذى ينتشمت من ضوء الشمس عقب غروبها أو قبل شروقها ، وكذلك القسم بالليل أو ظلام الفضاء الكوني وما يحتويه من أسرار ، وبالقمر المكتمل فى طور البدر الجميل كمقدمة تلفت نظرنا الى جواب القسم فى التأكيد القرآنى الصريح فى الجملة الخيرية بقوله تعالى « لتركبن طبقا عن طبق » بمعنى أنكم يامعشر البشر سوف تسافرون حتما من مرحلة الى مرحلة . وكلمة طبق قد تعطى معنى طبقة من طبقات الجو أو مركبة تشبه الاناء ، ولقد شرح المفسرون القدماء هذه الآية بمعنى الصعود الروحي من سماء الى سماء ! وذكر آخرون انها تشير الى صعود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى رحلة الاسراء من مكة الى المسجد الأقصى بالقدس وصعوده الأعلى فى رحلة المعراج عبر السماوات حيث توغل الرسول الكريم فى الأسرار الروحية لهذه الرحلة التى طوى فيها المكان والزمان ! ولكن هذا التفسير القديم غير دقيق من وجهة نظرى لأن الاسراء والمعراج موضوع خاص تتناوله آيات أخرى بأسلوب مباشر ، وأما الآية هنا فموجهة لجميع البشر لأن الخطاب بصيغة الجمع فى معظم القراءات لقوله تعالى « لتركبن طبقا عن طبق » ، فى جواب القسم الالهي « والقمر إذا اتسق » ، وهذا يعزز الاستنتاج الجديد بأن هذه الآية اشارة صريحة لوصول الانسان الى القمر وليس لرحلة المعراج النبوية ، وبهذا فان عصر الفضاء قدم لنا بوضوح تفسيرا جديدا مقبولا لهذه الآية القرآنية فى قوله تعالى :

« والقمر إذا اتسق* لتركبن طبقا عن طبق »

(الانشقاق : ١٨ - ١٩)

وهذا التفسير الفيزيائي الجديد يعبر بدقة عن عبارة « طبقا عن طبق » كإشارة لطبقات التروبوسفير والأوزونوسفير والأيونوسفير والأكسوسفير التي يخترقها الإنسان للوصول إلى القمر ، أو كإشارة إلى هذه المركبات المتعددة ، أو الأطباق التي يركبها رائد الفضاء ابتداء من الصاروخ متعدد المراحل وحتى مركبة أبوللو التي احتوت بداخلها على المركبة القمرية والمركبة الأم كما شرحنا سابقا وكان رواد الفضاء قد ركبوا فعلا طبقا عن طبق !

وبهذا وبعد استعراض هذه الآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى غزو الفضاء فإن على الإنسان أن ينتهز الفرصة للاعتراف فورا بصدق القرآن ، والترحيب بدين الله في الإسلام ، والصعود بإيمان في آفاق الحكمة الروحية التي تتجلى في القرآن ، وإلا فإن الإنسان سيظل كافرا إذا لم يصدق القرآن بعد أن أدرك بلا شك الاتساق المذهل بين القرآن والعلم ، فلماذا لا يؤمن الناس بالقرآن ؟ يقول تعالى :

« والقمر إذا اتسق * لتركبن طبقا عن طبق * فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون » .

(الانشقاق : ١٨ - ٢١)

والجدير بالذكر هنا أن المسلمين يسجدون فور قراءتهم لهذه الآية احتراما وتقديرا لكلام الله .

والآن وقد وصل الإنسان فعلا إلى القمر ، فماذا بعد ذلك من رحلات الفضاء ؟ وهل سنتوغل أكثر من ذلك في أعماق الكون في المستقبل ؟

الحقيقة أن هناك مصاعب كثيرة بالنسبة لتقدم رحلات الإنسان في الفضاء نظرا للمسافات الخيالية للكواكب والنجوم الأخرى (وارجع بند ٦ - ١) ، وعلى سبيل المثال فإن المسافة لأقرب نجم إلينا والمعروف بنجم ألفا قنطورس تصل إلى ٤٢ سنة ضوئية أي حوالي ٣٩٨ مليون كم ، وهذا يعني استحالة الوصول لأقرب نجم !

وعلاوة على ذلك فإن هناك أخطارا كثيرة في الفضاء مثل أحزمة الكويكبات والأشعة الكونية التي تحتوي على دقائق سريعة كالبروتونات والاليكترونات بجرعات قاتلة كافية مئات المرات لقتل الإنسان .

وهناك أخطار يشير إليها القرآن الكريم محذرا معشر الجن والانس في حالة توغلمهم في أعماق الفضاء كما في قوله تعالى :

« يرسل عليهما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران »

(الرحمن : ٣٥)

ونحن لا نستطيع تحديده المدى الذى يمكن للانسان الوصول اليه فى الفضاء بأمان ، والقرآن يحذر هنا بوجود خطر معين (فى حالة التوغل فى الفضاء) يمكن تفسيره من وجهة نظرى بأنه قد يكون تفاعلا نوويا ناتجا من التقاء البروتون السريع (شواظ النار) والنحاس ضمن دقائق الأشعة الكونية المتصادمة فى الفضاء ، فيتولد بذلك البروتون المضاد أو ما نسميه بالمادة المضادة والتي تتحول الى طاقة فور تقابلها بالمادة العادية (كمادة السفينة وركابها) وبهذا يحدث فناء فوري • واعتقد أن رحلة الانسان للقمر لا تدخل ضمن هذا المدى الخطير لأن القمر جار للأرض ونحن لم نخترق بعد أقطار السماوات ولا ندرى الى أى مدى سيصل الانسان خلال الفضاء فى المستقبل ! والله وحده يعلم الغيب وله ملك السماوات والأرض ويبيده سبحانه مصير كل شيء كما فى قوله تعالى :

« ولله ما فى السموات وما فى الأرض والى الله ترجع

الأمور »

(آل عمران : ١٠٩)

الله وحده مدبر هذا الكون وهو الخالق المبدع للسماوات والأرض واليه سبحانه ترجع كل الأمور • ونحن تقيس الأمور ونقننها طبقا لادراكنا المحدود ، ولكن المقاييس البشرية مرتبطة بإرادة الله طبقا لتعاليم دين الله فى الإسلام •

●● الباب الخامس

المجموعة الشمسية

٥ - المادة والطاقة والنسبية والجاذبية

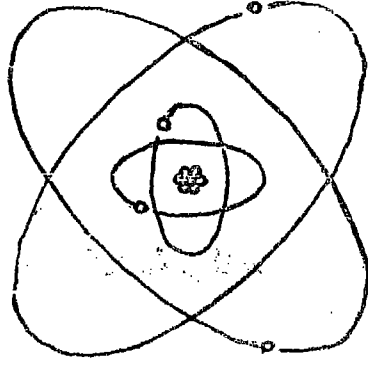
أولا : المادة

المادة تتكون من دقائق صغيرة جدا تدعى الذرات ، ولقد تعرف الانسان على ٩٢ عنصرا لكل منها ذرته الخاصة . وقد تتحد ذرات العناصر المختلفة لتكوين جزيئات المركبات الكيميائية المتعددة ٠٠٠٠٠

ولقد اعتقد العلماء الى عهد قريب أن الذرة أصغر جزء في المادة ، ولا يمكن تقسيمها الى ما هو أصغر منها ، وفي مطلع القرن العشرين أمكن التحدث عن ما هو أصغر من الذرة ، حيث تبين أنها تتركب من نواة موجبة الشحنة تحيط بها سحابة من الاليكترونات التي تدور في أفلاك حول النواة لارتباطها بالجذب الكهروستاتيكي . والنواة صغيرة تصل أبعادها الى حوالي ١٠ - ١٥ متر بالمقارنة بأبعاد الذرة التي تصل الى ١٠ - ١٠٠ عمتر بما في ذلك المدارات الاليكترونية ، ووزن الذرة صغير للغاية ويتراوح بين 1.6748×10^{-24} جم لذرة الايدروجين الى 3.986×10^{-22} جم لذرة اليورانيوم . وأي ذرة لا يمكن رؤيتها ولا رؤية مكوناتها المعروفة الآن بالدقائق الأساسية كالبروتون والنيوترون والاليكترون وبهذا فان الذرة غير مرئية ، ويمكن تقسيمها الى ما هو أصغر منها ، ولها مثقال رغم صغرها . وقد يشير القرآن الكريم الى هذه الحقائق الأخيرة في قوله تعالى :

« وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي تأتيناكم عالم الغيب لا يعبث عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين »
(سورة الحديد : ٢٨)

القرآن الكريم - ٢٢٦



(شكل رقم ٥ - ١)

النظام الشمسي للذرة

هذه الآية تبين بوضوح ما يلي :

(أ) الذرة غير مرئية (فهي غيب غير منظور) .

(ب) الذرة ليست أصغر شيء في الوجود ويمكن تقسيمها .

(ج) الذرة لها مثقال .

ولقد اعتبر المفسرون القدماء (مثقال الذرة) المذكور مشيراً لمثقال النملة باعتبار النملة أصغر كائن حتى تدركه العين ، ولكنني لا أتفق مع هذا الرأي لأن الآية تشير بوضوح إلى ما هو غيب أي غير منظور مثل الذرة وما هو أصغر منها ولا يمكن اعتبار النملة من العالم الغير منظور !

وبالرجوع إلى ما كتبه جون نيل في كتابه عن الذرة (١٩٤٥) نقرأ

العبارة التالية :

« ان احدى عجائب ما قبل القرون الوسطى في عصر النبي محمد ما جاء في أقوال علي بن أبي طالب بن عم رسول الله وزوج ابنته ردا على سؤال عن معنى الذرة أجاب قائلاً :

« اننا اذا فتحنا الذرة ، أي ذرة ، لوجدنا في قلبها شمساً »

وهذه العبارة تبين قوة البصيرة الروحية النافذة لسيدنا علي ابن أبي طالب الذي نسباً بهذا الوصف المعروف الآن بالنموذج الشمسي للذرة . وبذلك فاننا نستطيع أن نعتبر الذرة المذكورة في القرآن هي نفسها ذرة القرن العشرين .

ولقد اقترح رذرفورد (عام ١٩١١ م) لأول مرة النموذج الشمسي للذرة ، وذكر لنا أن معظم كتلة الذرة مركزة في النواة التي تتكون من بروتونات ونيوترونات ، وأما الاليكترونات فتدور حول النواة (تماماً كما تدور الكواكب حول الشمس) في مدارات دائرية أو اهليلجية شكل (٥ - ١) .

ولقد درس أندرسون عام ١٩٣٢ الدقائق الذرية الناتجة بواسطة الأشعة الكونية واكتشف لأول مرة الاليكترون المضاد (البوزيترون) وأصبح وجود المادة المضادة حقيقة لا شك فيها ، فكل جسيم من المادة جسيم آخر مضاد ، فالبروتون مثلاً له بروتون مضاد والنيوترون له نيوترون مضاد وهكذا

ويمكن تحويل الطاقة الى مادة (عملية تجسيته) وعلى سبيل المثال يتحول شعاع جاما الى دقيقتين أحدهما من المادة والآخر من المادة المضادة . وهذا ما يعرف بإنتاج الأزواج في علم الفيزياء النووية ، وبذلك فإن ظاهرة الأزواج حقيقة عامة موجودة حتى في أصغر الدقائق الذرية الغير مرئية والتي تتكون فعلاً من أزواج المادة ، ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة كقانون كوني عام في قوله تعالى :

« ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » .

(الذاريات : ٤٩)

وقوله سبحانه :

« سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .

(يس : ٣٦)

ومن المعروف في الفيزياء أنه عندما تتلاقى المادة مع المادة المضادة يحدث لهما فناء فوري لتحولهما الى أشعة جاما الغير مرئية ، وهذا يمثل ظاهرة زوال الكون المذكورة في القرآن (في إطار الحوادث الكونية للقيامه في المستقبل انظر بند ٦ - ٥) .

ثانياً : الطاقة :

الضوء صورة من صور الطاقة وينبثق على شكل دقائق تدعى الفوتونات تسير في الفراغ بسرعة قصوى مقدارها 3×10^{10} سم/ثانية .

وكل فوتون يحمل معه طاقة معينة تحدد لون الأشعة في حالة الضوء المرئي ، فاللون الأزرق مثلا تكون فوتوناته أعلى طاقة من فوتونات اللون الأحمر .

والضوء أيضا مزدوج الشخصية تماما كعملة ذات وجهين احدهما على هيئة جسيم مادي والآخر طاقة موجية وقد يسلك الضوء بأحد الوجهين أو بكليهما معا وهذه الصفة قد تدخل في اطار ظاهرة الزوجين المذكورة في القرآن .

ومن المعروف أن الضوء يحتوى على أمواج ذات ترددات مختلفة يمكن فصلها وتحليلها الى ضوء مرئي في عملية طيفية (تدعى التفرق أو التشتت) تتم باستخدام منشور زجاجي ، والعين البشرية يمكنها فقط تمييز مدى معين من الترددات التي يستجيب لها المخ البشرى ويترجمها الى ما نسميه الألوان كالأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي ، وهذا المدى المرئي هو في الحقيقة جزء ضئيل جدا من الترددات الكهرومغناطيسية المتعددة التي تسير بسرعة واحدة هي سرعة الضوء وأغلبها غير مرئي . وهذه الترددات المرئية والغير مرئية مبينة في الجدول التالي بأطوالها الموجية بالمتر .

جدول رقم (١)

نوع الأشعة	جاما	أكسى	فوق البنفسجي	مرئية	تحت حمراء	راديوية
الطول الموجي بالمتر	١٠ - ١١	١٠ - ٩	١٠ - ٧	٥ × ١٠ - ٧	١٠ - ٦	٣ - ١٠ متر

والاشعاع ذو الطول الموجي الأقصر من الضوء المرئي يمتاز بتردد كبير وطاقة عالية مثل أشعة جاما وأكسى وفوق البنفسجي ، وهي كلها أشعة خطيرة على الحياة بصفة عامة لأن فوتوناتها عالية الطاقة تتلف الخلايا والأنسجة ، وأما الأمواج الطويلة كالأشعة تحت الحمراء والأمواج الراديوية التي تلى الضوء المرئي فهي غير خطيرة ، ويشير القرآن الكريم إلى النوعين المرئيين وغير المرئيين في الضوء وبالتالي إلى عوالم الشهادة والغيب كما في قوله تعالى :

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * انه لقول
رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون
تنزيل من رب العالمين » .

(العنقا : ٣٨ - ٤٠ - ٤٣)

والقسم هنا في قوله تعالى (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون)
إشارة مباشرة لكل ما هو مرئي وغير مرئي من اشعاعات ودقائق وغير
ذلك من غيبيات كالجن والملائكة ، ونحن مطالبون هنا بأن نعترف بالقرآن
على أنه الوحي العظيم الصادق الذي يهديننا في حياتنا المادية والروحية .

ويشير القرآن الكريم أيضا الى كل حبه في السماوات والأرض
بما في ذلك الدقائق الذرية والأشعة الغير مرئية كما في قوله تعالى :

« الا يستخفون لئلا يخرج الغيب في السموات
والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون » .

(النمل : ٢٥)

ان حكمة الله ورحمته واسعة تشمل كل شيء في الكون وتمتد في
آفاق المكان والزمان هنا وهناك الآن نوال الأيدى في العالم
المرئي وغير المرئي كما في قوله تعالى :

« يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من
السما وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور » .

(سبأ : ٢١)

ثالثا : النسبية

يقرر القرآن أن الزمن نسبي كما في قوله تعالى :

« وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون » .

(الحج : ٤٧)

وقوله تعالى :

« يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في
يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » .

(السجدة : ٥)

والله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان، وزمان ٠٠ والزمن نسبي لأن ما نعتبره ألف سنة قد يمثل يوماً واحداً أو لحظة خاطفة في المقياس الإلهي عند الله عز وجل ، ولقد أدركنا الآن هذه الآيه طبقاً للمفهوم العلمي الحديث (*) ، فنحن نعلم على سبيل المثال أن زمن الدورة الكاملة لأي كوكب حول الشمس يختلف من كوكب لآخر ليعطى زمن العام الواحد لكل كوكب من كواكب المجموعة الشمسية كما يلي على الترتيب :

عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشترى ، زحل ، يورانوس نبتون وبلوتو .

٨٨ يوماً ، ٢٢٥ يوماً ، ٢٦٥ يوماً ، ٦٨٧ يوماً ، ١١٩٩ سنة ، ٢٩٥ سنة ٨٤ سنة ، ١٦٥ سنة ، ٢٤٨ سنة .

أما بالنسبة لزمن دورة كل كوكب حول نفسه (أى زمن اليوم الواحد) فهو على الترتيب لنفس الكواكب السابقة :

٥٩ يوماً ، ٢٤٣ يوماً ، (٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة) ، (٢٤ ساعة ، ٣٧ دقيقة) ، (٩ ساعات ، ٥٠ دقيقة) ، (١٠ ساعات ، ١٤ دقيقة) ، ١٦ ساعة ٢٢ ؟ ساعة ؟ ، (٦ أيام ، ٩ ساعات) .

وبذلك يتضح أن الزمن نسبي وليس مطلقاً ، وهذه حقيقة علمية قرآنية .

والمسافة بين النجوم خيالية (انظر بند ٦ - ١) ولقد استخدمت السنة الضوئية كوحدة جديدة لقياس المسافات الهائلة وتساوى ٦ تريليون ميل وتمثل المسافة التي يقطعها الضوء (بسرعه الهائلة ١٨٦٠٠٠ ميل/ثانية) في زمن قدره سنة أرضية كاملة . ومن المناسب جداً استخدام السنة الضوئية للتعبير عن بعد النجوم وعلى سبيل المثال : نجم الشعرى وهو ألمع نجوم السماء يبعد عنا ٩ سنوات ضوئية ، ونجم الدبران ذلك النجم الأحمر العملاق يبعد عنا ٦٨ سنة ضوئية وهذا يعنى أن الضوء الذي يصل إلينا حالياً من نجم الدبران قد غادر هذا النجم منذ ٦٨ سنة مضت . لهذا فنحن لا نرى النجم بصورته الحالية ولكن نراه بصورته منذ ٦٨ سنة ، ومعنى هذا أننا حينما ننظر في الفضاء الكوني فإننا ننظر في الماضي وليس الحاضر ، ويجب ان نعلم أن الزمان والمكان مرتبطان ولا يمكن أن نتحدث عن أحدهما دون اعتبار الآخر .

(*) قام المؤلف حديثاً ببحث جديد عن امكانيات حساب سرعة الضوء من الآيتين (السجدة : ٥) (والحج : ٤٧) وكانت النتيجة مساوية للسرعة المعترف بها دولياً وقدرها ٢٩٩٧٩٢٠ كم/ثانية . (راجع المرجع رقم ٤٩ للمؤلف بند ٦ - ٦) .



(شكل رقم ٥ - ٢)

الفيصل أينشتاين

وفي عام ١٩٠٥ أعلن أينشتاين (شكل ٥ - ٢) نظريته في النسبية الخاصة التي قلبت المفاهيم وأضاف بعدا جديدا رابعا وهو الزمن لأبعاد الفراغ الثلاثة ، واعتبرت سرعة الضوء ثابتة وتمثل في الفراغ أعلى سرعة معروفة ، كما ناقشت هذه النظرية ما يحدث من تغيرات اذا سار جسم بسرعة مقاربة لسرعة الضوء ، ولقد استنتج أينشتاين أن الزمن والطول والكتلة كميات تعتمد كلها على سرعة الراصد ، وبذلك فإن الساعات تبطئ والأطوال تنكمش والكتلة تزداد بازدياد السرعة وخاصة اذا اقتربت السرعة من سرعة الضوء !

ومن النتائج المثيرة للدهشة بالنسبة للنظرية النسبية الخاصة موضوع انكماش الزمن ، فاذا افترضنا سفينة فضاء منطلقة بسرعة تقترب من سرعة الضوء فإنه يحيل لرائد السفينة أنها تقطع مسافات خيالية بين النجوم والمجرات في الكون في زمن ضئيل وانه عند عودته الى الأرض سيدرك أنه غاب عنها زمنا أكبر قد يقدر بالآلاف السنين وأن أجيالا كثيرة ولدت وماتت عبر هذه الحقبة الكبيرة بينما هذا الرائد ما زال في متوسط العمر العادي كما يتضح من الشكل (٥ - ٣) . وقد تستفيد من هذه المناقشة لفهم الانكماش الزمني المتساوية في الآونة القارئة التالية :

« تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة » .

(المعارج : ٤)

وهذه الآية قد تعنى طبقا لنسبية الزمن أن الزمن عند التحرك
فى المستوى الروحى لا يستغرق يوما أو لحظة بينما يستغرق على الأرض
آلاف السنين بالنسبة للمستوى الدنيوى لسكان الأرض ! ، ولكن يجب
أن نعلم أن معرفتنا فى عالم الغيب والشهادة جزئية وليست مؤكدة أو
شاملة بينما العلم الالهى جامع شامل كما فى قوله تعالى :

« عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم »

(السجدة : ٦)

نحن معشر البشر لا نعلم سرعة تحرك الملائكة والروح لأنها أمور
غيبية ونظرية أينشتاين فى النسبية تسمح فرضا بوجود سرعات أكبر
من سرعة الضوء ! كما فى الدقائق التخيلية المعروفة بالتاشيون والتي
لم يرها أحد وكتلتها كمية تخيلية ، ويفترض العلماء أنها تسير فى
لا زمن ، وأى حركة بواسطة التاشيون يعنى أن النتائج سوف تظهر قبل
حدوث المسببات ، وكأننا نرى المستقبل فهذه الدقائق قد تهصل الى
جهتها المقصودة قبل أن تقوم من مكانها التى تنطلق منه !! فالتاشيون
دقيقة خيالية تخالف كل منطق ! ولا ندرى هل هى موجودة أم لا ؟ وربما
تشير الآية القرآنية التالية الى شىء ما أسرع من الضوء فى قصة سيدنا
سليمان :

« قال يا أيها الملا ايكم ياتينى بهرشها قبل ان ياتونى
مسلمين * قال عفريت من الجن انا آتيتك به قبل ان تقوم
من مقامك وانى عليه لقوى امين * قال الذى عنده علم من
الكتاب انا آتيتك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه
مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونى اشكر ام اكفر
ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غنى كريم »

(التمل : ٣٨ - ٤٠)

وهنا نلاحظ عبارة « انا آتيتك به قبل ان يرتد اليك طرفك » ، والتي
تدل على أن القوى الروحية تعمل فى التو واللحظة ، وقد يدل هذا على
شئ أسرع من الضوء فى العالم الروحى ، فهل يا ترى دقائق التاشيون



(شكل رقم ٥ - ٣)

انكماش الزمن (مثال التوائم)

موجودة فعلا في الطبيعة بما في ذلك عالمنا الحالي الذريوي المادي ؟ هذا
 شيء في علم الله لأنه هو وحده محيط بكل شيء كما في قوله تعالى :

« ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع
 الأمور » .

(آل عمران : ١٠٩)

حقا ان الحقيقة والمعرفة والقرار في كل الأمور ترجع الى الله ،
ورغم ذلك فهو سبحانه يحثنا دائما على التأمل في هذا الكون في اطار
امكانياتنا المتواضعة وقدراتنا المحدودة لكي نتعرف باذن الله على جزء
من العلم الالهي الواسع .

رابعا : الجاذبية :

عند التفكير في الجاذبية نعود حتما الى الورا لتتذكر العالم نيوتن
الذي ولد في انجلترا عام ١٦٤٢ ميلادية والذي فكر في القوة التجاذبية
التي تسبب بقاء الكواكب في مداراتها حول الشمس ، واهتدى بذكائه
الى ان القوة التي تجذب التفاحة من على الشجرة لتقع على الأرض هي
نفسها القوة التي تجذب كوكب المشتري العملاق الى الشمس .

ووصل نيوتن من خلال قوانين رياضية الى القانون العام للجاذبية
الذي ينص على ما يلي :

« كل جسمين في هذا الكون يجذبان بعضهما بقوة جذب متبادل .
وهذه القوة تتناسب طرديا مع حاصل ضرب الكتلتين المتجاذبتين وعكسيا
مع مربع المسافة بينهما » .

ولفهم هذا القانون الكوني الشامل تخيل جرمين في الفضاء
يقول نيوتن أن كلا من الجرمين يجذب الآخر بقوة متبادلة تتناسب طرديا
مع قيمة الكتل المتجاذبة وعكسيا مع مربع المسافة الفاصلة ، فاذا ضاعفنا
كتلة أي جرم تضاعفت القوة وأما اذا ضاعفنا المسافة بينهما فان القوة
تنقص الى الربع .

ولقد تم تطبيق قانون نيوتن للجاذبية في دراسة علم الفلك والتنبؤ
بعودة مذنب هالي عام ١٧٥٨ وفي اكتشاف الكواكب الأخيرة مثل نبتون
وبلوتو في المجموعة الشمسية ، وما زال القانون مستخدما حتى الآن في
حساب مسارات سفن الفضاء كما حدث في رحلات أبولو للقمر وسفن
فويجر للكواكب البعيدة بعد المشتري .

ونستنتج بذلك أن هناك بالفعل قوانينا رياضية تم التعرف عليها
حديثا لتكون شاهدا ودليلا على حكمة الله . وهذه القوانين الفلكية أشار
اليها القرآن الكريم في قوله تعالى

« الشمس والقمر بحسبان » :

(الرحمن : ٥)

ولقد توقع نيوتن أن قوة الجاذبية تؤثر على حركة الكواكب وتجعلها تدور فعلا في مسارات شبه دائرية وتمنعها من التبعثر في الفضاء . هذه القوة تجذب الكواكب نحو الشمس شكل (٥ - ٧) وهي قوة غير مرئية تتوازن تماما مع القوة المركزية الطاردة الناشئة عن الدوران حول الشمس وهذه الحقيقة يعبر عنها القرآن بقوله تعالى :

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها

وما لها من فروج » .

(١٠٥)

وبلاحظ هنا أن فعل « بنيناها » يشير الى وجود قوة الجاذبية كاستعارة وتشبيهه بالبناء بالطوب الذي يماسك بقوة الأسمنت ! . ويدعونا الله الى أن نتأمل هذه السماء بما فيها من نجوم جميلة وكواكب رائعة لا حصر لها ، وندرس القوانين الرياضية العالية التي تدل على النظام والحركة والتناسق والتوازن في هذا الكون المنظم الشاسع الذي لا يحتوى على أى خلل ! . فكيف يدعى كافر بأن الصدفة العمياء قد دبرت هذا الكون ؟

ولقد تصور القدماء أن هناك أعمدة تحمل السماء فوق رؤوسهم ! ولكن القرآن دحض هذه الفكرة تماما بقوله تعالى :

« خلق السماوات بغير عمد ترونها » .

(لقمان : ١٠)

وقوله سبحانه :

« الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسبحن الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسهى »

(الرعد : ٢)

وهاتان الآيتان تشيران الى أن السماء مرفوعة بقوة غير مرئية تدل على قدرة الله وعظمته ، ويشير القرآن الى مثل هذه القوة والى التوازن الحادث بين الأجرام السماوية والى سباحة هذه الأجرام بكل فى فلك خاص به وذلك فى آيات أخرى كما فى قوله تعالى :

« ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنه » .

(الحج : ٦٥)

وقوله سبحانه :

« وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل

في فلك يسبحون » .

(الأنبياء : ٣٣)

وقوله عز من قائل :

« الشمس والقمر بحسبان والسما رفعها

ووضع الميزان » .

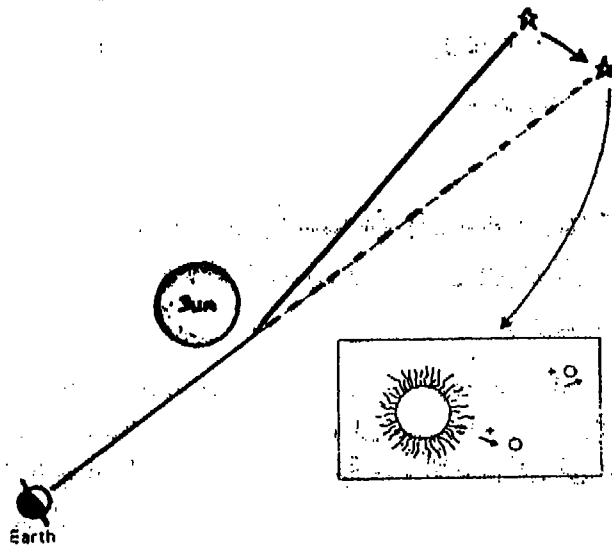
(الرحمن : ٥ - ٧)

وإذا تأملنا قوله تعالى « والشمس والقمر بحسبان » نجد أن لفظ
حسبان يشير بوضوح إلى القوانين والحسابات التي تؤدي إلى انتظام
رحلة الأجرام السماوية في مداراتها والقرآن الكريم يعبر عن هذا الانتظام
بكلمة « دائب » وهي اسم فاعل لفعل معناه الأول العمل بهمة وبلا انقطاع
أي اجتهاد في عمل شيء ما بعناية وبشكل دائم لا يتغير طبقاً لعادة ثابتة
كما في قوله تعالى :

« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل

والنهار » .

(إبراهيم : ٣٣)



(شكل رقم ٥ - ٤)

الضوء لا يسير في خط مستقيم في الفضاء

والجاذبية موضوع هام جدا . ولقد بحث أينشتين هذا الموضوع في بحث جديد متكامل خلال نظريته عن النسبية العامة عام ١٩١٥ م والتي أوضحت لنا بعض الحقائق الفيزيائية الدقيقة مثل انحناء المسارات في الفضاء الكوني ، وانسحاق المكان والزمان ، وصر الثقوب السوداء التي تسبح في هذا الكون !

وانحناء المسارات الكونية مقياس للمجال التجاذبي ، وعلى مسيل المثال فان شعاعا قادمًا من نجم بعيد لا يبد أن ينحني عن مساره المستقيم اذا اقترب من نجم الشمس كما بالشكل (٥ - ٤) ، وهذا الانحناء حقيقة مؤكدة مستنتجة من النظرية النسبية العامة التي تنص على أن كل شيء سواء كان مادة أو طاقة يسير في مسارات منحنية في هذا الفضاء الذي لا يعرف الخط المستقيم ، وهذه الظاهرة مذكورة في عدة آيات في القرآن لوصف الحركة في السماء بلفظ « يعرج » للدلالة على أن هذه الحركة في مسار منحني وليس في خط مستقيم اذ أن لفظ يعرج في اللغة العربية يأتي بمعنى يصعد ، يميل ، ينحني ويتعرج كما في قوله تعالى :

« من الله ذى المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »

(المعارج : ٣٤ - ٤)

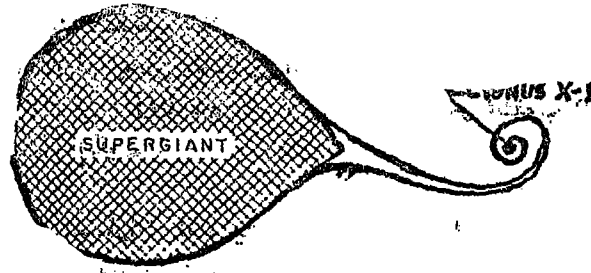
وقوله سبحانه :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا انها سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون »

(العنكبوت : ١٤ - ١٥)

ولقد تنبأت النظرية النسبية العامة بوجود ما يسمى بالثقوب السوداء عام ١٩٧٠ م وهي اجرام سماوية تمثل نجوما ميتة توقف التفاعل النووي في باطنها فانهارت على نفسها بجذب هائل لتصبح ثقوبا سوداء .

والثقوب السوداء له مجال جذب هائل لدرجة أن كل شيء يقترب منه يدخل فوراً في باطنه وكأنه مقبرة لا هروب منها . والضوء نفسه لا يستطيع الهرب من هذا الثقب ولذلك لا يمكن رؤية الثقوب السوداء بالعين أو بالتلسكوبات ولكننا نتعرف عليها من سلوكها وهي تجرى في السماء كما لو كانت مكائن جبارة تكس وتشفط كل ما يقع في طريقها من مادة أو طاقة شكل (٥ - ٤)



(شكل رقم ٥ - ٥)
الثقب الأسود يتتبع نجما ضخما

ولقد فكر علماء فيزياء النجوم في مصير الغازات التي تدفن في الثقوب السوداء حيث يؤكد العلماء أن هذه الغازات تتصادم ذراتها وهي في طريقها متسارعة لمجال الجذب الهائل في الثقب الأسود فتتفجع درجة حرارة هذه الغازات إلى ملايين الدرجات وتتشع بذلك كميات هائلة من أشعة اكس أثناء ذهابها إلى مقرها الأخير في مقبرة الثقب الأسود وكأنها تصرخ طلباً للنجاة!

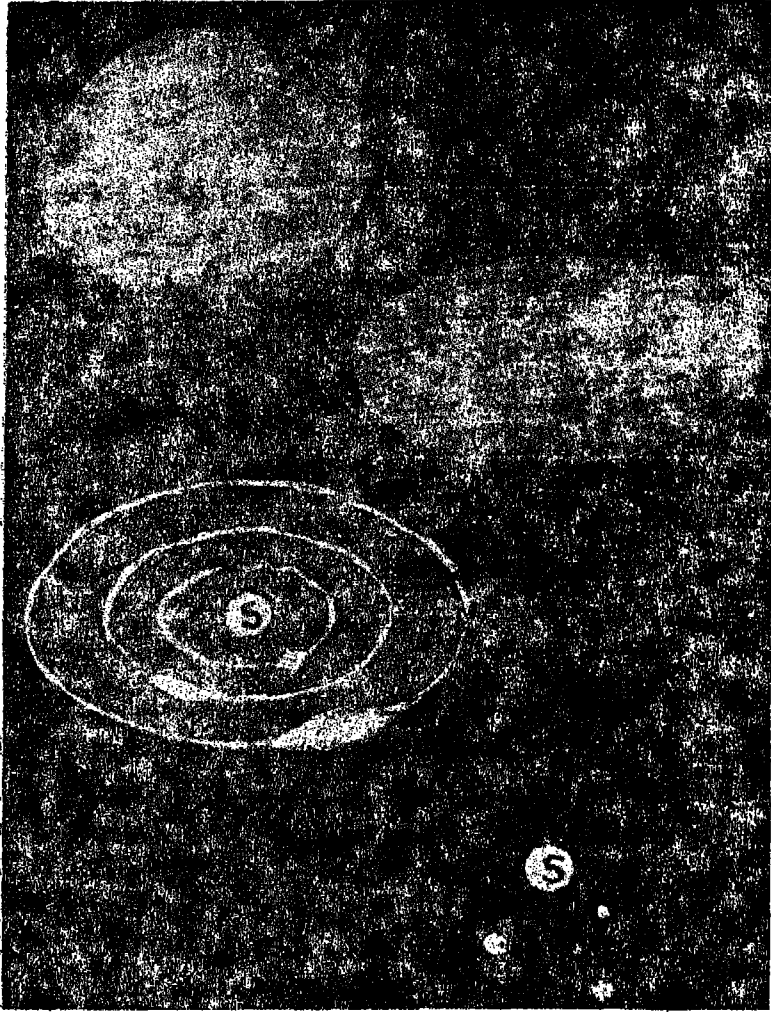
ولقد تم عام ١٩٧٠ إطلاق أقمار صناعية لقياس مكان واتجاه وشدة أشعة اكس الصادرة في الفضاء بحثاً عن مكان الثقوب السوداء ، وفي ابريل عام ١٩٧٨ م تم إطلاق تلسكوب أشعة اكس في القمر الصناعي كوبر نيكس الذي يرسل معلوماته إلى مركز المراقبة الأرضي عن مصادر أشعة اكس في السماء ، ولدينا الآن معلومات هائلة عن هذه « الجوار الكنس » التي تمثلها الثقوب السوداء وهي تجزي في السماء وتكنس كل ما يقابلها وتتتبع كل ما يصادفها ، ونأمل ألا تقع أرضنا في مجال جذب مثل هذه الثقوب السوداء فتتبع كوكبنا وتستهلكنا سحقاً إلى الأبد!

وقد يشير القرآن الكريم إلى مثل هذه الثقوب السوداء في وصف مباشر كما في قوله تعالى :

« فلا أقسم بالجنس * الجوار الكنس »

(التكويد : ١٥ - ١٦)

ومن وجهة نظري قاضي أميل إلى الاحتشاش بأن هذه الآية تشير إلى الثقوب السوداء ، تلك الأجرام المتساوية التي تجزي وتكنس عن الأنظار ، وبالرجوع إلى آية قرآنية أخرى في وصف النجوم بقوله تعالى :



(شكل رقم ٥٠) - نظرية السديم لتكوين النظام الشمسي
 (لاحظ دخان السديم أعلاه الصورة وميلاد الشمس والكواكب أسفل الصورة)

٥٠ وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب

والتي تصف النجم بالطارق والثاقب ٥٠ ومعنى الثاقب يشير إلى النجم الجوى الذى يتقرب الفضاء بالضوء والحرارة والإشعاعات المنبعثة من فرنه النووى أو الى النجم الميت الذى انكمش على نفسه طوارقاً فجاءت له لدرجة أنه يكتسب المادة والطاقة الشمسية تعرضه طريقه ويبتلعها من الفضاء الكونى وبذلك يتقرب السماء

٥ - ٢ المجموعة الشمسية

(١) تكوين النظام الشمسي

تشير التوقعات العلمية الحديثة الى فكرة السديم الأولى عندما تكثف الدخان الكوني في مركز السديم لتكوين الشمس بينما انفصلت الكواكب من حواف هذا السديم طبقا لآراء لابلاس الذي اقترح هذا الفرض عام ١٧٩٦ ميلادية . ولقد تطورت هذه الأفكار حديثا لتشمل نشأة جميع النجوم كما يلي :

يتكون السديم الأولى من كمية ضخمة جدا من تراب وغاز كوني في سحابة هائلة تنكمش تدريجيا تحت تأثير الجذب التناقلي الذاتي فترتفع درجة الحرارة في مركز السديم تدريجيا الى أن تصل الى الدرجة الكافية لبدء التفاعلات النووية الاندماجية في قلب السديم الذي يعمل في هذه الحالة كفرن نووي حراري يولده الطاقة باستمرار ويعلم بذلك عن ميلاد نجم جديد في المركز الذي يحيط به باقي دخان السديم حيث تتكون الكواكب التي تنفصل وتدور بواسطة القوى المغناطيسية وضغط الاشعاع . وهذا الضغط يطرد المواد الأقل كثافة من السديم ويجعلها تتركز في الكواكب البعيدة كالمشتري وزحل ويورانوس ونبتون وبلوتو بينما تتركز المواد الأكبر كثافة في الكواكب القريبة مثل عطارد والزهرة والأرض والمريخ كما في حالة المجموعة الشمسية .

ولقد تقدمت بحوث الفضاء حديثا وحصل العلماء على عينات من سطح الأجرام القريبة (كالممر) وتشير النتائج الأولية الى صحة نظرية السديم شكل (٥ - ٦) .

ولقد ذكر القرآن الكريم حقيقتين علميتين فيما يخص تكوين المجموعة الشمسية .

١ - كانت السماء دخانا (غاز مع تراب كوني) على هيئة سديم في الخلق الأول كما يشير القرآن الكريم في قوله تعالى :

« ثم استوى الى السماء وهي دخان » .

(فصلت : ١١)

٢ - اسماوات والأرض كانتا كتلة ملتصقة في هذا السديم في ما يسمى الرسق وذلك قبل حدوث الانفصال في عملية الفتق كما في قوله تعالى :

« أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا

رتقا ففتقناهما » .

(الانبياء : ٣٠)

ومنا يقدم القرآن في هاتين الآيتين خلاصة مركبة ومختصرة بلظواهر التي كونت العملية الأساسية لتشكيل الكون بصفة عامة دون أي تناقض مع العلم الحديث .

(ب) الشمس :

الشمس هي نجمننا القريب ورغم هذا فهي تبعد عنا ٩٣ مليون ميل ، وهي النجم الوحيد الذي ربما نستطيع دراسته بالتفصيل ويبدو لنا على هيئة قرص مرئي نظرا لقربه من الأرض ، وهي نجم متوسط من جميع الوجوه ، ولهذا فان خواص الشمس المميزة يمكن أن تنطبق بدرجات متفاوتة على خواص باقي النجوم طبقا لتماثل الكون ووحداية الخالق .

وكتلة الشمس تبلغ ٣٣٣.٠٠٠ مرة قدر كتلة الأرض وقطرها ١٠٩ مرات قدر قطر الأرض ، وحجمها ١٣٩٥ مليون مرة قدر حجم الأرض وكتلتها حوالي ٢ × ١٠^{٣٠} ٢٧ طن وتحتوي على حوالي ٩٩.٣٪ من كتلة المجموعة الشمسية ، كما أن معظم كتلة الشمس (حوالي ٩٦ الى ٩٩٪) يتكون من الايدروجين والهيليوم ، والشمس وجميع النجوم بصفة عامة تشع الطاقة من مصدرين : الأول من الطاقة المتخزنة من الانكماش الى الداخل بواسطة الجذب الثقالي الذاتي وذلك أثناء بعض مراحل تطور النجم (راجع بند ٦ - ٢) ، والثاني من التفاعل النووي الحراري في باطن النجم والذي ينشأ بسبب توفر درجة الحرارة العالية والضغط الهائل في المركز . وبهذا فليس هناك نار احتراق كيميائي في الشمس ، ولكن ما يحدث هو اندماج في قلب الشمس يؤدي الى اتحاد البروتون بالبروتون في وجود الكربون كعامل مساعد ليتحول الايدروجين الى هيليوم ، وبذلك تتحول المادة الى طاقة هائلة في قلب الشمس الذي يعمل كفاعل نووي عملاق يولد في كل ثانية طاقة تكافئ الطاقة المتولدة

القرآن الكريم - ٢٤١

فى تفجير العديد من القنابل الهيدروجينية ، ورغم هذا فقلب الشمس لا ينفجر ولا يتبعثر فى الفضاء وذلك بفضل الجذب الثقالى الذاتى للنجم الى الداخل والذى يتوازن مع ضغط الاشعاع والغاز الى الخارج . وتقدر درجة حرارة باطن الشمس بحوالى ١٥ مليون درجة مطلقه على الاقل لتمنع انهيارها المتواصل الى الداخل بالجذب العام (راجع مرحلة انكماش الشمس بند ٦ - ٢) .

وقرص الشمس المرئى يدعى الفوتوسفير الذى يتميز بوجود بقع سوداء منتشرة على سطحه ويبدو عند رصده بالتليسكوب محتويا على حبيبات لا حصر لها ، ودرجة حرارة سطح الشمس فى الفوتوسفير ٦٠٠٠° ولكن البقع السوداء تكون درجة حرارتها ٤٠٠٠° بفارق قدره ٢٠٠٠° تقريبا ولهذا تكتسب البقع المظهر للأسود بالمقارنة بالسطح الأصفر الأكثر توهجا فتبدو معتمة بالنسبة للفوتوسفير ، وهذه البقع ما هى الا مراكز لنشاط شمسى هائل ينبعث منه سيل عارم من الدقائق والاشعاعات التى تسبب أحيانا اضطرابا فى الغلاف الجوى للأرض يؤدى غالبا الى اعاقه الاتصالات اللاسلكية .

وهناك ألسنة من المواد الملتهبة المقذوفة من الشمس من المناطق النشيطة فى الفوتوسفير . وهذه الألسنة يمكن رؤيتها أثناء ظاهرة الكسوف الكلى للشمس ويمتد اللسان خارج سطح الشمس الى أكثر من مليون كيلو متر نتيجة الانفجارات والاضطرابات التى تحدث فى هذه المناطق النشيطة بالقرب من البقع الشمسية ، وتبدأ بظهور لمعان مفاجئ لبضع ثوانى أو دقائق مصحوبا بقذف سحب هائلة من المادة تبدو كالسنة اللهب وتبعث بمزيد من الضوء المرئى والأشعة فوق البنفسجية وأشعة اكس والأمواج الراديوية مع سيل من الدقائق المشحونة عالية الطاقة كالبروتونات والاليكترونات . وهذه الدقائق والاشعاعات لها تأثير ملحوظ على كوكب الأرض وتحدث اضطرابا فى طبقة الايونوسفير فى غلافنا الجوى (راجع بند ٣ - ١) .

والشمس تدهر حول محورها مرة كل ٢٧ يوما ، وهذه الحركة المغزلية تم التعرف عليها بمتابعة تحرك البقع الشمسية ، وبهذا فان الشمس تتحرك حركة دورانية ذاتية مغزلية حول نفسها بالإضافة الى حركات انتقالية أخرى ، وهذا يعطى تفسيرا للوصف القرآنى الدقيق الذى يعبر عن هذه الحركة بفعل (يسبح) (راجع بند ١ - ١) ، (٤ - ٢) ، (٦ - ١) .

ويحيط بكرة الغوتوسفير التي تمثل السطح المتوهج للشمس قشرة كروية خارجية من الغلاف الشمسي تدعى الكروموسفير وتظهر كوهج أحمر حول الشمس أثناء كسوفها ، وتقدر درجة حرارة هذا الغلاف بحوالى ٤٠٠٠° مطلقة ، ويوجد حوله طبقة أخرى خارجية تدعى الكورونا التي تمتد الى اضعاف قطر الشمس وتصل درجة حرارتها الى أكثر من مليون درجة ! •



(شكل رقم ٥ - ٧)

الشمس وحولها الكواكب التسعة وحزام الكويكبات

(ج) السماء الدنيا :

يقول الله سبحانه وتعالى :

« انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب » •

(الصافات : ٦)

ترى أيشير التعبير القرآني « السماء الدنيا » الى المجموعة الشمسية ؟ المعروف انه ليس هناك بين الأجرام السماوية الأكثر قربا منا أجرام أخرى دائمة سوى الكواكب • والشمس هي النجم الوحيد في ذلك النظام الذي يحمل اسمها اننا لا نرى اذن أى أجرام سماوية أخرى ، والكواكب المقصودة هنا هي بالتأكيد كواكب المجموعة الشمسية • وهذا

التفسير يبدو صحيحاً فالقرآن الكريم يذكر وجود الكواكب حسب التعريف الحديث ، فالكواكب لا تضيء ذاتياً ولكنها تعكس ما يسقط عليها من ضوء الشمس وهذه الحقيقة موضحة في آية النور كما في قوله تعالى :

« الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة »

(النور : ٣٥)

المقصود هنا فعلاً سقوط ضوء على جسم يعكسه (مثل الزجاج) ويعطيه بريق الدر تماماً مثل الكوكب الذي يعكس إلينا أشعة الشمس . وهذا هو التوضيح الوحيد الخاص بكلمة كوكب والذي يمكن أن نجده في القرآن .

والمجموعة الشمسية تشمل تسعة كواكب رئيسية موضحة في شكل (٥ - ٧) والجدول (رقم ٢) . وهذه الكواكب يدور حولها ٥٣ قمراً (حسب معلوماتنا حتى الآن) بالإضافة إلى وجود عدة كويكبات ومذنبات ونيازك وشهب ودقائق لا حصر لها من التراب الكوني والاشعاعات في المجموعة الشمسية .

وتدور الكواكب حول الشمس بالإضافة إلى دورانها حول نفسها وبهذا فإن الكواكب تسبح فعلاً أثناء حركتها في مداراتها وتدخل بذلك في الصفة العامة الشاملة الواردة في القرآن لجميع الأجرام السماوية كما في قوله تعالى :

« وكل في فلك يسبحون »

(يس : ٤٠)

جدول رقم (٣)
كواكب المجموعة الشمسية

سرعة الكوكب في مداره بالكيلومتر / ساعة	عدد الاقمار	يوم الكوكب (بتقاسم الأرضي)	سنة الكوكب (بتقاسم الأرضية)	كتلة الكوكب (الأرضي = ١)	متوسط بعد الكوكب عن الشمس بالليون كم	الكوكب
٤٧٠٩	-	٥٩ يوم	١٣٢٤١	٥٥٠٥٥	٥٧٠٩	عطارد
٣٥٠١	-	٢٤٣ يوم	٥١٦٥	٥١٦٥	١٠٨٢٣	الزهرة
٢٩٠٨	١	٢٣ ساعة ٥٦ دقيقة	١	١	١٤٩٦٦	الأرض
٢٤١	٢	٢٤ ساعة ٣٧ دقيقة	١٠٨٨١	٧٠٠٨	٢٣٧٩	المريخ
١٣١	١٥	٩ ساعات ٥٥ دقيقة	١١٠٨٦	٣١٧٨	٧٧٨٢٣	المشتري
٩٦٥	١٧	١٠ ساعات ١٤ دقيقة	٢٩٤٦	٩٥٢٣	١٤٣٧	زحل
٦٨	١٥	١٢ ساعة ٢٥ دقيقة	٨٤٣٠٣	١٤٥٧	٧٨٧٠	يورانيوس
٥٣٣	٢	١٦ ساعة ٢٥ دقيقة	١٦٤٨	١٧٢٣	٤٤٩٧	نبتون
٤٧٤	١	٦ يوم ١٠ ساعات	٢٤٨	٤٠٠٠٢	٥١١٣	بلوتو

ويلاحظ ان الفلكيين قديما لم يعرفوا سوى خمسة كواكب هي عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل ، وأما كواكب يورانوس ونبتون وبلوتو فقد تم رصدها حديثا . ومن الجدير بالذكر أيضا ان قمر الأرض هو القمر الوحيد الذى كان معروفا لنا قبل اكتشاف التليسكوب عام ١٦١٠ م ، وأما الآن فلقد تعرفنا على ٥٣ قمرا فى المجموعة الشمسية .
ولقد أشار القرآن الكريم الى الكواكب فى رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام كما فى قوله تعالى :

« اذ قال يوسف لأبيه يا ابي انى رأيت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .
(يوسف : ٤)

والمقصود هنا الرواية التخيلية فى منام سيدنا يوسف عليه السلام ، وربما يرمز عدد الكواكب الى اخوته وأما الشمس والقمر فتشيران رمزيا الى والده والدة .

ولكل هل من الممكن أن ترمز هذه الرؤيا الى العدد الحقيقى لكواكب المجموعة الشمسية التى تدور حول الشمس ؟

على أى حال نحن نعرف الآن تسعة كواكب فقط ، وأما حزام الكويكبات الموجود بين المريخ والمشتري فيحتمل ان يكون بقايا كوكب متحطم ، بالاضافة الى ذلك لقد اقترح جوزيف برادى عام ١٩٧٢ م بعد اجراء حسابات بالكمبيوتر احتمال وجود كوكب افتراضى جديد سماه كوكب اكس وذلك بعد كوكب بلوتو ، وهذا الكوكب اكس ربما تكون كتلته قدر كتله زحل ثلاث مرات ويقع على بعد ٩٩٢٠ مليون كيلو متر من الشمس . وقد يدور حولها فى زمن قدره ٤٦٤ سنة أرضية ! .
وبهذا فاننا لو فرضنا ان كوكب اكس سيتم اكتشافه عمليا فى المستقبل فان عدد الكواكب فى المجموعة الشمسية ربما يصل الى أحد عشر كوكبا بما فيها حزام الكويكبات .

والقرآن الكريم يذكر السماء الدنيا عدة مرات مقترنة بذكر الأجرام التى تحتويها مثل الكواكب والشهب . وعلى سبيل المثال يذكر القرآن الشهب فى عدة آيات منها قوله تعالى :

« وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا
وشهبا » .

(الجن : ٨)



(شكل رقم ٥ - ٨)
منظر الشهب وهي تملأ السماء

والحرس الشديد في هذه الآية قد يشمل ما تحتويه السماء من أشعة كونية وأشعة اكس وأشعة فوق بنفسجية وغير ذلك ، وأما الشهب فهي صخور صغيرة موجودة بكثرة في سماء المجموعة الشمسية لدرجة ان عشرين مليون شهاب تهاجم الغلاف الجوي للأرض يوميا (لاحظ التعبير القرآني الدقيق باستخدام لفظ ملئت) شكل (٥ - ٨) .

والشهب تدخل جو الأرض بسرعة عالية لدرجة ان الاحتكاك بين الشهب والهواء الجوي يؤدي الى احتراقها تماما بحيث لا يصل منها شيء

للأرض ومعظم الشهب تحترق على ارتفاع ١٠٠ كيلو متر من سطح الأرض فلا تسقط فوق رؤسنا رحمة بنا ٠٠٠ ونستطيع رؤية الشهب المحترقة في السماء بالعين المجردة لأنها تترك آثارا متوهجة لبضعة ثواني أثناء احتراقها في الغلاف الجوي وكأنها نجوم قاذفة ، وقد تعطى الشهب الوانا حمراء وزرقاء أثناء احتراقها في مسارها وكأنها تزين السماء بألوان جميلة ، وتعتبر الشهب مقذوفات منبعثة من مصابيح السماء أى من النجوم والكواكب والكويكبات كما يتضح من قوله تعالى :

« ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوا للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير »

(الملك : ٥)

والشياطين مقصود بها شياطين الجن والانس طبقا للتعريف القرآنى كما فى قوله تعالى :

« وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وائجن »

(الانعام : ١١٢)

فاذا كانت الشياطين من الجن فان الله سبحانه يهاجمها بالشهب كما فى قوله تعالى .

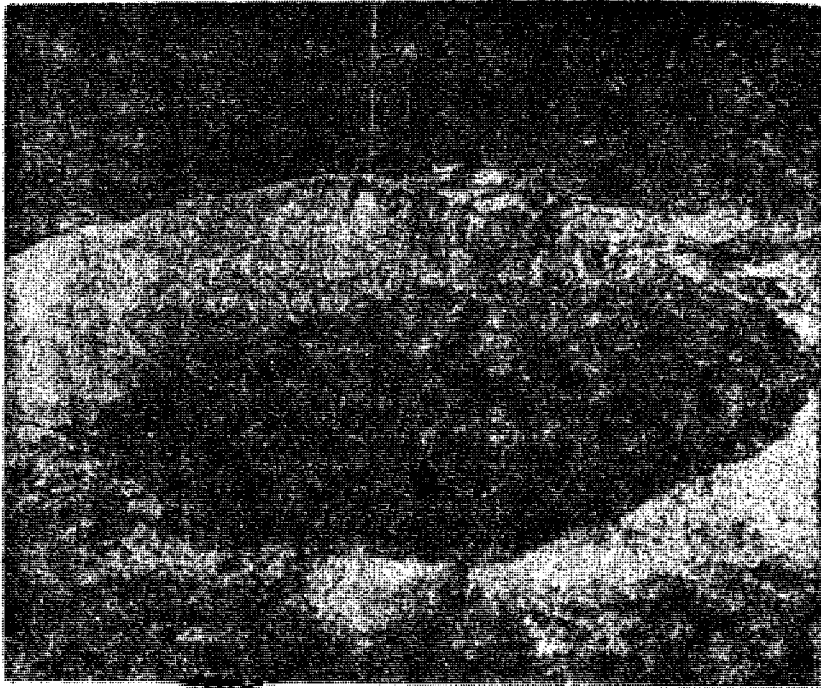
« انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظنا من كل شيطان مارد * لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحورا ولهم عذاب واصب * الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب »

(الصافات : ٦ - ١٠)

وقوله تعالى :

« وانا كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصا »

(الجن : ٩)



(شكل رقم ٥ - ٩)

مكان سقوط نيزك في اريزونا

ونحن لا نستطيع هنا أن نناقش موضوع الجن لأنه فوق ادراكنا العلى ، وبهذا فان التعليق على هاتين الآيتين خارج موضوع هذا الكتاب ، ولكن يجب ان نذكر هنا المقذوفات الموجهة من الله تعالى لتسقط على رؤوس الكافرين من البشر مثل النيازك التي نزلت كالطرر على قوم لوط وأصحاب الفيل الذين قذفهم الله بحجارة من سجيل كما فى قوله تعالى :

« فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد »

(سورة : ٨٢ - ٨٣)

حقا ان العقاب الالهى ليس ببعيد عن الكافرين فى كل عصر ، ولندكر هنا أصحاب الفيل وهم قبائل من قوات أبرهه التي حاولت فى الماضى غزو مكة بجيش كبير قادم من الحبشة على ظهر أفيال، ولقد حطم الله هذا الجيش بحجارة من سجيل كما فى قوله تعالى :

« ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل
يديهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترهبهم
بجحارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول » .

(الفيل : ١ - ٥)

والنيازك هي الشهب الكبيرة التي لم يكتمل احتراقها أثناء مرورها
بالغلاف الجوي فتصل بذلك الى الأرض ، وهناك نوعان من النيازك :
نوع يدعى النيازك الحديدية ويتركب أساسا من الحديد والنيكل وهذا
النوع مميز وكثافته عالية (أى انها مسومة كما وصفها القرآن في الآية
(هود : ٨٣)) وأما النوع الثانى فهو النيازك الحجرية التي تشبه صخور
الأرض وهذه يصعب تمييزها . وقد تكون النيازك كبيرة الحجم لدرجة
أنها قد تحدث فجوات كبيرة فى سطح الأرض نتيجة لتصادمها الشديد
تماما مثل ما حدث فى اريزونا شكل (٥ - ٩) حيث يبلغ قطر الفجوة
١٦٦ كيلو متر ، ومن المعروف أن أكبر نيزك وقع فى الماضى البعيد فى
جنوب أفريقيا وزن ٦٠ طنا . ومعظم النيازك تتكون من صخور هاربة من
حزام الكويكبات الموجود بين المريخ والمشتري ، وهذه الكويكبات أجرام
صخرية قد تهرب من الحزام وتنتشر بين الكواكب وتشكل بذلك خطورة
على سفن الفضاء التي تحاول العبور بين الكواكب فى المجموعة الشمسية .

ويقدر علماء الجيولوجيا أن الأرض لا تعيش بمعزل عن الفضاء ،
وانه من الممكن تكرار الكوارث الطبيعية التي أصابت الأرض عندما
هاجمتها أمطار النيازك فى الماضى ، وأن مثل هذه الحوادث الكونية قد
تصيب كوكب الأرض فى المستقبل .

ويحذر الله الكافرين فى قوله تعالى :

« افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم
الأرض أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون » .

(النحل : ٤٥)

وقوله عز وجل :

« وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين * ان فى
ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وان ربك لهو العزيز
الرحيم » .

(الشعراء : ١٧٣ - ١٧٥)

(د) آية النور

آية النور آية قرآنية جذابة من الناحية الفيزيائية والروحية ، ولا يمكن الاحاطة بكل معانيها العميقة ، ولقد كتب المفسرون عنها من وجهة النظر الروحية ، ولكن التفسير المادى لهذه الآية ما زال محتاجا لتوضيح ، ولهذا قدمت تفسيراً مادياً علمياً جديداً نشر عام ١٩٨٠ فى مجلة الازهر التى يصدرها مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة .

يقول الله تعالى فى آية النور :

« الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاج كأنها كوكب درى يوفد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » .

(النور : ٣٥)

هذه الآية الرائعة قد تعطى اشارات عجيبة لبعض الأشياء المادية الموجودة فى عالمنا بالاضافة الى معناها الروحى الذى يمثل محور التفسيرات السابقة وحيث أن هذه التفسيرات الروحية تعتبر خارج الاطار العلمى لهذا الكتاب فاننى سوف أقتصر على تقديم المعنى الفيزيائى لآية النور من وجهة نظرى طبقاً لتحليل علمى موضوعى للإشارات القرآنية الواردة .

هناك أربعة اشارات فيزيائية فى هذا المثل الذى ضربه الله للنور وهى المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة المباركة وهذه تشير جميعاً الى تركيبات مادية قد تكون موجودة فى عالمنا وتمطينا فعلاً النور الذى خلقه الله لفائدتنا واستعمالنا ، وهذه التركيبات تنحصر من وجهة نظرى فى الشمس والقمر وليس فى مصباح الزيت الأثرى الذى اقترحه المفسرون فى الماضى ! . وهناك اشارات تؤيد صحة الاستنتاج العلمى الجديد لبيان أن طبيعة النور الفيزيائى فى هذه الآية تنطبق مع نور القمر وضيء الشمس كما يلى :

١ - المشكاة هى لغويًا الفجوة أو الكوة المظلمة فى جدار المنزل الرفيى والموجودة فى مستوى مرتفع قرب سقف الحجر ليوضع فيها مصباح الزيت الأثرى قبل اختراع الكهرباء .

وحيث أن المشكاة مكان مظلم مرتفع ، فأنى أقترح اعتبار هذه المشكاة اشارة الى ظلام الفضاء الكونى حيث يوجد المصدران انضوئيان الأساسيان فى مجموعتنا الشمسية وهما الشمس والقمر اللذان يمثلان محور هذه الآيه من الناحية الفيزيائية للأسباب التالية :

(أ) يقول الله تعالى فى وصف المشكاة :

« كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة » •

وهنا نلاحظ أن المصباح فى زجاجة مما قد يشير الى أن هذا المصباح هو القمر لأن هذا الوصف القرآنى يتفق مع طبيعة السطح القمرى المغطى ببللورات الزجاج ، ولقد أحضر رواد الفضاء عينات كثيرة من سطح القمر تثبت وجود نوعين من الصخور القمرية الأول صخور نارية متبلرة والثانى بللورات زجاجية مختلفة ، وطبقا لتقارير وكالة ناسا الأمريكية فان تراب القمر وصخوره تحتوى على كميات كبيرة من كرات وبللورات الزجاج ، وهذه الحقيقة العلمية شجعتنى لاعتبار المصباح المذكور فى هذه الآيه الكريمة رمزا للقمر فى سماءنا المظلمة ، لأن المقصود فعلا هنا هو سقوط الضوء على جسم يعكس هذا الضوء ويعطيه بريق الدر كما يفعل الزجاج تماما مثل الكوكب الدرى الذى تضيئه الشمس فيعكس لنا النور •

(ب) الشجرة المباركة فى هذه الآيه قد تكون هنا اشارة للشمس التى يصفها الله فى قوله تعالى :

« شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » •

وهذا الوصف قد يرمز الى ما يلى :

- الشمس شجرة تفرعت منها جميع انواع المادة والطاقة فى نظامنا الشمسى ولذلك فهى الشجرة المباركة التى تتعدد فروعها من مادة وطاقة • وهذه الاستعارة قد تساعدنا على فهم آية قرآنية أخرى فى قوله تعالى :

« افرايتم النار التى تورون * أنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون • نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقربين •

فسبح باسم ربك العظيم * فلا أقسم بمواقع النجوم * وأنه
لقسم لو تعلمون عظيم »

(الواقعة : ٧١ - ٧٦)

والتعبير القرآني بالفعل « أنشأتم » قد يشير الى الشجرة المباركة
وهي الشمس .

- الشمس تشبه الزيتون في كبد السماء ولكنها لا شرقية
ولا غربية لأن حركتها اليومية التي تبدو لنا من الشرق الى الغرب ليست
حركة حقيقية ولكنها حركة وهمية خيالية خادعة تنشأ من دوران الأرض
حول محورها . أما الحركة الحقيقية للشمس فسوف نناقشها في بند
(٦ - ١) .

- وقود الشمس المشار اليه هنا بالزيت على سبيل الاستعارة
لا يحترق مطلقا لأن الطاقة تنتج بالاندماج النووي وليس بالاحتراق
وبهذا فان وقود الشمس لم تسممه نار .

٢ - آية النور تنتهي كما سبق بالعبارة القرآنية « نور على نور
يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم »

وهنا قد نفهم أن هناك نوعين من النور : النور الفيزيائي الذي
شرحناه والنور الروحي المعنوي .

والعين البشرية ترى نور القمر وضياء الشمس أما القلب والفؤاد
(العين الروحية) فترى نور العقيدة وضياء الايمان كما في قوله تعالى :

« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا
اليكم نورا مبينا »

(النساء : ١٧٤)

وهذا البرهان هو القرآن والنور المبين هو النبي محمد صلى الله
عليه وسلم الذي أرسله الله للناس جميعا .

ان نور الله الروحي عظيم وبلا حدود وتمتد درجاته ومراحل في
الآفاق الروحية التي لا يحيط بها تصور الانسان ، وأعظم هذه المراحل
هو قمة النور ، وهو النور الحقيقي الذي تتضاءل بجانبه باقي الأنوار
التي تمثل فقط انعكاسا جزئيا من النور الأصلي العظيم ، انه نور

الأنوار ٠٠٠ نور الله ، كما يقول الرسول الكريم « نور الله سبعة آلاف طبقة من النور » .

والآن وقد شرحنا هنا مثالا للنور الفيزيائي الملموس في هذا العالم الزائل وشرحنا النور الروحي لانتهاء المناقشة متجهين الى عالم الروح أو عالم الحقيقة الخالدة ٠٠٠٠ عالم الشعور والادراك الحقيقي ٠٠٠٠ راجيا من الله أن تكون خواطرى حول آية النور صحيحة وأن يشرح الله صدرنا للإسلام لنستقبل نور القرآن الكريم الذى أنزله الله للعالمين فسيحان الله الواحد وما أعظم النور الساطع للحقيقة الالهية الخالدة .

●● الباب السادس

الكون

٦ - ١ مواقع النجوم

يقول الله سبحانه وتعالى :

« ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين »

(الحجر : ١٦)

السماء مزينة للنظرين لأنها مرصعة بعدد هائل من بلايين النجوم . ونحن لا نرى بالعين المجردة الا ستة آلاف نجم فقط ، ولكن الدراسة الفلكية تساعدنا على التعرف على تفاصيل النظام الرائع وروعة الجمال ودقة التناسق الذي يشمل أرجاء الكون الشاسع على مستوى رفيع من العظمة وتزداد دهشتنا كلما ازدادت معارفنا . . .

وإذا تأملنا السماء بما فيها من أجرام فلا بد أن نحصل على جرعة روحية عظيمة لأننا سوف نستنتج حتما أن خالق هذا الكون اله واحد ، وهو وحده الجدير بعبادتنا + سوف نشعر حقا بالرهبة والذهول حينما نرى في ليلة صافية هذا العدد الهائل من النجوم الجميلة في السماء المظلمة .

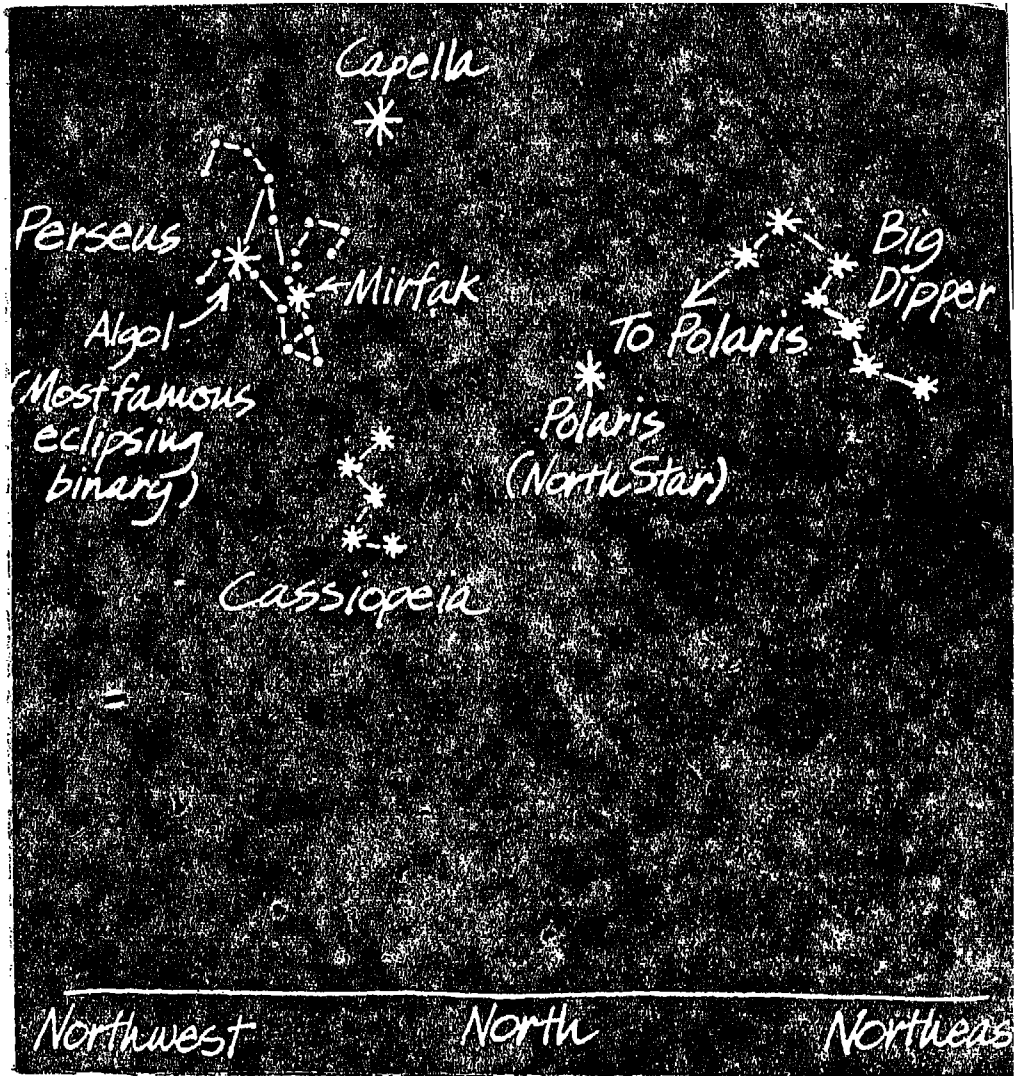
ولقد حاول الفلكيون القدماء تقسيم النجوم الى مجموعات تدعى البروج حسب تجمعاتها ومواعيد ظهورها وأعطوها (مع النجوم شديدة اللمعان) أسماء تتفق مع تخيلاتهم . وهذه الأسماء أصلها عربي حيث أطلقها الفلكيون العرب وما زالت مستعملة حتى الآن لنجوم كثيرة ولائى عشر برجا موضحة على الترتيب فى الجدول التالى :

القرآن الكريم - ٢٥٧

أسماء البروج ومواعيد ظهورها

التاريخ التقريبي لظهوره في السماء	البرج
٧ يوليو	١ - القوس
٨ أغسطس	٢ - الجدى
٢٥ أغسطس	٣ - الدلو
٢٧ سبتمبر	٤ - الحوت
٣٠ أكتوبر	٥ - الحمل
٣٠ نوفمبر	٦ - الثور
٥ يناير	٧ - الثورمان
٣٠ يونيو	٨ - السرطان
١ مارس	٩ - الأسد
١١ أبريل	١٠ - العذراء
٩ مايو	١١ - الميزان
٣ يونيو	١٢ - العقرب

وتبدو لك النجوم وكأنها تتحرك حركة ظاهرية بطيئة في القبة السماوية أثناء الليل حيث تظهر يوميا في الشرق كل مساء وتتحرك تدريجيا حركة خادعة لكي تغرب في الغرب آخر الليل ، ولو أتيت لك الفرصة لمراقبة العديد من النجوم كل ليلة فانك تلاحظ جميع النجوم وهي تتحرك في اتجاه واحد من الشرق الى الغرب في القبة السماوية باستثناء نجم واحد فقط يبدو لك ساكنا في مكانه ! وهذا النجم يدعى النجم القطبي الشمالى والشكل (٦ - ١) يبين كيفية تحديد مكان هذا النجم في السماء لمعرفة الاتجاهات الاصلية . فالنجم القطبي الشمالى يقع تماما فوق اتجاه الشمال في الأفق ! ، ومعرفة موقع هذا النجم معلومة أساسية لازمة لمعرفة الاتجاهات الاصلية في عرض البحر أو في الصحراء مثلا ، واذا توجهت ونظرت نحو الشمال فان الشرق يكون على يمينك والغرب على يسارك والجنوب في ظهرك ! . وهكذا فان النجوم ترشدنا



شكل (٦ - ١) : كيفية تحديد موقع النجم القطبي الشمالى (بولاريس)

لتحديد الاتجاه وتعمل كبوصلة فى السماء ، ويشير القرآن الكريم الى هذه الظاهرة كما فى قوله تعالى :

« وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات

البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون »

(الانعام : ٩٧)

وقوله سبحانه :

« وعلامات وبالنجم هم يهتدون » .

(النحل : ١٦)

حقا ان الرحلات الطويلة تحتاج لعلامات معينة كالبوصلة والنجوم لكي نهتدى بها للاستدلال على الاتجاه الصحيح ومن الناحية الروحية فاننا بالمثل يجب أن نهتدى في حياتنا بالنور الالهي وانعكاساته الباهرة في القرآن الكريم لنسلك الطريق المستقيم في رحلتنا في الدنيا والآخرة !

ولقد اعتقد الفلكيون القدماء أن النجوم مثبتة في قبة سماوية تدور يوميا حول الأرض ! ونظروا الى الأفق وتخيّلوا الأرض عنده كالقرص المستدير تنطبق على حوافة القبة السماوية وكأن السماء كرة تحيط بنا وتدور حولنا بما فيها من نجوم . ولقد أدى هذا التخيل الى الفرض الخاطيء عن مركزية الأرض باعتبار الأرض ساكنة في مركز انكون بينما جميع الأجرام في القبة السماوية تدور حولها (ما عدا النجم القطبي) وأن حركة هذه الأجرام من الشرق الى الغرب تعتبر حركة حقيقية وليست ظاهرية ! فالشمس تتحرك فعلا من الشرق الى الغرب كل يوم ! وظل هذا الاعتقاد الخاطيء سائدا منذ عهد بطليموس عام ١٥٠ ميلادي الى عهد كوبرنيكس عام ١٥٤٣ م حين تم نشر النظرية الجديدة لمركزية الشمس والتي تلخصت فيما يلي :

١ - الشمس ثابتة في سكون نسبي وموجودة في مركز المجموعة الشمسية وأما الأرض وباقي الكواكب فتدور حول الشمس !

٢ - تبدو النجوم والشمس في القبة السماوية كما لو كانت تدور من الشرق الى الغرب يوميا ولكن هذه الحركة ظاهرية خادعة لأن الأرض هي التي تدور بالفعل (من الغرب الى الشرق) حول محورها مرة كل يوم !

ولقد اعترض الناس على هذه النظرية في البداية لأن حركة الأرض تتعارض مع الاحساس العام للعقل البشري ، وتصطدم أيضا مع تعاليم الكنيسة لأن فقرات الانجيل تصف الشمس على أنها تتحرك كما ورد في أقوال مؤلف الانجيل :

« تشرق الشمس وتغرب »

« الشمس كالرجل القوي تجرى بمرح في مسارها »

وبذلك كان الاعلان بتحريك الأرض بينما الشمس ثابتة نسبياً طبقاً
لنظرية كوبرنيكس سبباً في إثارة احتجاج شديد وجدال دام لمائة سنة
حيث أنكر معظم الناس حركة الأرض وتزعمت الكنيسة جبهة المعارضة
ولكن كوبرنيكس وأنصاره أصروا على أقوالهم بأن الأرض تتحرك فعلاً
وإن كاتب الانجيل من البشر قد أخطأ لأنه لا يهتم بالفلك في كتاباته !
وعلى سبيل المقارنة فإننا بالرجوع الى القرآن الكريم سوف نستنتج
ما يلي :

١ - القرآن لم يدافع مطلقاً عن مركزية الأرض وسكونها الظاهري
رغم أن الوحي نزل في وقت سادت فيه هذه النظرية الخاطئة دون
منافسة ! وعلى العكس فقد أشار القرآن بأسلوب غير مباشر الى حركة
الأرض (راجع بند ١ - ١) .

٢ - لقد أدخل القرآن الكريم مفهوماً جديداً في آية قرآنية خاصة
وذلك بالإشارة الى دوران الشمس في فلك خاص بها ! بالإضافة الى
آية أخرى تشير مباشرة الى حركة الشمس وجريانها الحقيقي حركة
انتقالية لمستقر معين ! . وهذه الحركات كلها لم تكتشف الا بعد قرون
من نشر نظرية كوبرنيكس .

ولتوضيح ذلك نعود الى قول الله تعالى في القرآن الكريم :

« وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل
في فلك يسبحون » .

(الانبياء : ٢٣)

وقوله سبحانه :

« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق
النهار وكل في فلك يسبحون » .

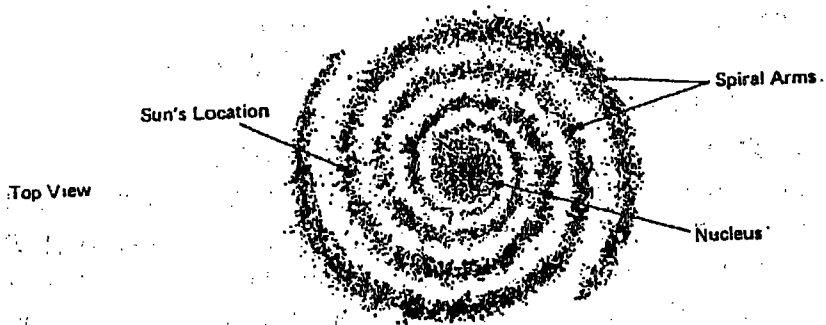
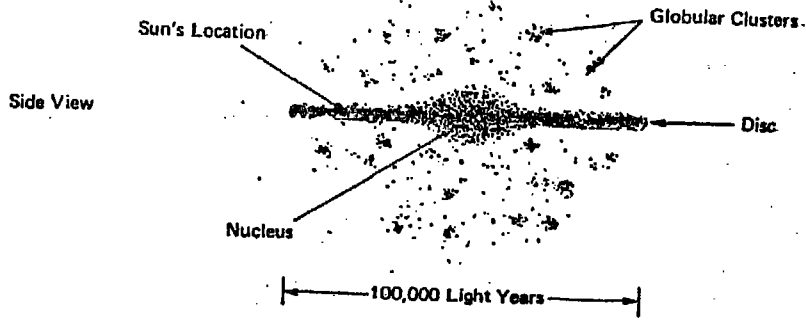
(يس : ٤٠)

وهنا يقرر القرآن حقيقة هامة وهي : وجود مدار مستقل لكل من
الشمس والقمر علاوة على التحرك بطريقة تشبه السباحة في المدار (راجع
الفعل يسبح في بند (١ - ١) ، (٤ - ٢) وفيما يختص بالشمس فإن
مجرد تصور وجود مدار للشمس أمر صعب للغاية فنحن معتادون منذ
نظرية كوبرنيكس على النظر اليها كمركز ثابت للمجموعة الشمسية حيث
تدور الكواكب حولها ! ، ولكن لكي نفهم وجود مدار خاص للشمس طبقاً
لنص الآيات القرآنية فإننا يجب علينا النظر في موقع الشمس داخل
مجرتنا ونستعين بالتالي لأحدث ما وصل اليه العلم في العصر الحديث !



(شكل رقم ٦ - ٢)

مجرة سكة التبانة وبها بلايين النجوم



(شكل رقم ٦ - ٣)

موقع الشمس في مجرتنا الحلزونية

تتكون مجرتنا شكل (٦٠ - ٢) من عدد هائل من النجوم يصل الى ١٣٠ بليون نجم (شمس) ! موزعة على قرص هائل منتشر في المركز وتقع الشمس (نجمنا) في طرف هذا القرص ، ويقع مركز المجرة في اتجاه برج القوس حيث نلاحظ في السماء سحباً كثيفة من الغاز والتراب الكوني مملوءة بالنجوم التي لا حصر لها . وتوزع النجوم بحيث تكون مركزة في المركز وأما في أطراف المجرة فتوجد أزرع حلزونية من النجوم والغبار الكوني ، ولقد حسب الفلكي شابلي عام ١٩١٧ م البعد بين الشمس ومركز المجرة بحوالي ١٠ كيلو فرسخ أى ما يعادل الرقم ٢ وعلى يمينه سبعة عشر صفراً بالكيلو مترات ! ولقد تم رسم هذه المجرة حديثاً بالاستعانة بالفلك الراديوى وتؤكد لنا أن المجرة تدور بجميع نجومها حول مركزها لتعادل قوة الجاذبية التي تميل الى سحق جميع أجرامها في باطنها ! ولذلك تدور المجرة لتحافظ على شكلها الحال ولكن هذا الدوران ليس كقرص متماسك ولكن كل نجم له فلك خاص به حول مركز المجرة (لاحظ التعبير القرآني في قوله تعالى) : « كل في فلك يسبحون » .

والشمس تستغرق ٢٥٠ مليون سنة لتدور في فلكها دورة واحدة حول مركز المجرة ! شكل (٦ - ٣) وتجرى الشمس في هذه الحركة المدارية بسرعة خطية قدرها ١٥٠ ميل/ثانية . تلك هي الحركة المدارية للشمس والتي صرح بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً وعلاوة على ما سبق فإن هذه الحركة المدارية يصفها الله بالسباحة في المدار وهذا يشير الى أن الشمس تدور أيضاً حول محورها حركة ذاتية مغزلية بجانب حركتها الانتقالية ! ، ولقد اتضح علمياً أن الشمس تدور حول محورها مرة كل ٢٧ يوم (انظر بند ٥ - ٢ ب) . وبذلك يتبين لنا أن الحركات الدورانية والمغزلية للشمس هي بالتأكيد من مكتشفات علم الفلك الحديث في القرن العشرين !

ويذكرنا الله سبحانه وتعالى عدة مرات في القرآن الكريم بالحقيقة

التالية :

« وسفر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى » .

وذلك في الآيات (الرعد : ٢) ، (لقمان : ٢٩) ، (فاطر : ١٣) ،

(الزمر : ٥) .

وهنا تبرز فكرة الأجل المسمى لخريان الشمس وهذا الأجل مرتبط بفكرة المكان المحدد لوصول الشمس اليه (أو المكان المرتبط بالزمان) .

وهذا المكان يسميه القرآن المستقر كما في قوله تعالى :
« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »
(يس : ٣٨)

ونستنتج من هذه الآية بعض الحقائق كما يلي :
« الشمس تجرى » (يس : ٣٨) حقيقة مذكورة قبل آية السباحة
في فلك (يس : ٤٠) وتتصل الآيتان بحرف عطف (و) وهذا يدل
على أن الشمس تتحرك حركة انتقالية بالإضافة الى سباحتها في فلك
خاص بها .

ولقد اتضح حديثا أن الشمس مع نظامها الشمسي تتحرك أيضا في
الفضاء حركة خاصة نحو نقطة تقع في كوكبة هرقل مجاورة لنجم يدعى
فيجا وتحددت تماما أحداثياتها ، وأمكن تحديد سرعة جريان الشمس
في هذه الحركة بحوالى ١٢ ميل/ثانية .

والآية القرآنية (يس : ٣٨) المقتضية هنا تتحدث فعلا عن الشمس
وهي تجرى نحو مكان خاص بها « لمستقر لها » وربما يحدد علم الفلك
الحديث بشكل كامل في المستقبل هذا المكان الذى يسميه العلماء أيضا
« مستقر الشمس » .

القرآن الكريم يعطى أيضا حدا لتطور الشمس ومكانا لوصولها
ولكى نفهم المعنى الممكن لهذه المقولات يجب علينا التذكير بالمعارف الحديثة
في تطور النجوم عامة والشمس خاصة والالمام بالتشكيلات السماوية
التي تتبع بالضرورة حركة الشمس وتطورها في الفضاء بما في ذلك
تطور القمر كجزء من المجموعة الشمسية .

وبالنسبة لتطور الشمس يمكن الرجوع الى بند (٦ - ٢)
وبالنسبة لتطور نظام الأرض والقمر راجع بند (٤ - ٢) (انشقاق
القمر) .

حقا لقد كان من واجبنا ذكر معطيات علم الفلك الحديث لنستطيع
تفسير آيات القرآن الخاصة بالشمس واثبات التطابق التام مع العلم
الحديث !

والآن وقد بحثنا حركة الشمس كأقرب نجم لنا نسأل أنفسنا
« كم تبعد النجوم عنا ؟ »

وهذا سؤال جوهري كان ولا زال مثار دهشة وتحدي لعلماء الفلك
حتى بدأ الفلكي الألماني بازل عام ١٨٣٨م بأول قياس لبعد النجوم عنا

باستخدام طريقة تدعى الزوغان وفي عام ١٩١٢ استخدم العالم Leavitt النجوم القيفاوية لقياس مسافات لنجوم أبعد .

وللتعبير عن المسافات المقيسة لابعاد ومواقع النجوم اضطر العلماء لاستخدام وحدة جديدة مناسبة تدعى السنة الضوئية وهي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعه المعروفة (٢٩٩٧٩٢٥ كم/ثانية أي ١٨٦٠٠٠ ميل/ثانية) في زمن قدره سنة أرضية كاملة .

$$\text{السنة الضوئية} = ١٨٦٠٠٠ \times ٦٠ \times ٦٠ \times ٢٤ \times \frac{٣٦٥}{١٠٠} =$$

٦ تريليون ميل تقريبا

ولمناقشة مواقع النجوم على ضوء هذه الوحدة الجديدة المعروفة بالسنة الضوئية فان الضوء يصل من الأجرام السماوية بعد رحلة طويلة فالشمس مثلا وهي أقرب النجوم اليها تبعث الضوء من سطحها ليصلنا بعد رحلة ٩٣ مليون ميل أي ٨ دقائق ضوئية . وأما اذا أخذنا في اعتبارنا نجم ألفا قنطوروس وهو أقرب نجم اليها بعد الشمس فانه يبعد عنا ٤٣ سنة ضوئية ! أي أننا نرى هذا النجم الآن كما يبدو منذ ٤٣ سنة ! وبذلك فاننا اذا نظرنا الى النجوم فنحن في الواقع لا ننظر في الحاضر ولكننا نشاهد الماضي وكأننا نتعامل مع آلة زمنية تعود بنا الى الوراء لأننا قد نرى نجما في هذه اللحظة الحالية بصورة قديمة كان عليها النجم منذ أجيال ! ، وفيما يلي البعد التقريبي لبعض النجوم اللامعة في السماء (بوحدة السنين الضوئية) مرتبة تنازليا طبقا لبريقها الظاهري .

اسم النجم	البعد عنا بالسنين الضوئية
الشعري	٩
فيجا	٢٧
كايلا	٤٦
أركتوروس	٣٦
ريجيل	٩٠٠
بروسيون	١١
الطائر	١٧
منكب الجوزاء	٥٢٠
الدبران	٦٨
سبيزا	١٦٠
أنطارس	٥٠٠
ذئب	١٦٠٠

ولقد أتاح لنا مرصد جبل ماونت بالومار في أمريكا تصوير مجرات لا حصر لها تقع على مسافات أكبر من ٣٠٠ مليون سنة ضوئية وذلك باستخدام تليسكوب ذي مرآة قطرها ٢٠٠ بوصة .

والواقع أن معرفتنا بالمسافات الفاصلة بين النجوم لن تكتمل إلا إذا شملت معرفة المكان والزمان معا ! ، ولتوضيح ذلك فاننا اذا قدرنا المسافة بيننا وبين مجرة معينة بليون سنة ضوئية مثلا فان معنى هذا ان موقع هذه المجرة كان منذ بليون سنة يبعد عن وضعنا الحال بليون سنة ضوئية ! فأين كانت هذه المجرة لحظة صدور هذا الضوء منها وأين كنا نحن في الفضاء منذ بليون سنة وأين موقع المجرة حاليا ؟ نحن لا نعرف بالتأكيد ! ونحن لا نرى المجرات والنجوم البعيدة الا بضوء قديم أثرى صادر في الماضي من هذه الأجرام فأين هذه النجوم والمجرات الآن وإلى أين تذهب هذه الأجرام ؟ هذه حقا أسئلة معقدة تحتاج الى بذل المزيد من البحث الفيزيائي والرياضي الشاق لتحديد الموقع الفعلي للنجوم في الفضاء وتحديد سرعتها واتجاهها وهذا عمل هائل وصعب ولكنه ضروري للتعرف على هذا الكون .

لقد كان من الواجب ذكر كل المعطيات الفلكية الحديثة لكي نستطيع أن نتأمل الأسرار والعظمة وراء القسم الالهي التالي في القرآن الكريم في قوله تعالى :

« فلا أقسم بمواقع النجوم * وانه لقسم لو تعلمون عظيم * انه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه الا المطهرون * تنزيل من رب العالمين * أفبهذا الحديث انتم مدهنون * وتجعلون رزقكم انكم تكذبون » +

(الواقعة : ٧٥ - ٨٢)

والقسم بعظمة مواقع النجوم في السماء اشارة واضحة للعقول الذكية لانسان المستقبل الذي أمده الله بإمكانيات البحث في أسرار وأبعاد النجوم والعبارة الشرطية في قوله تعالى : « لو تعلمون » تفيد بأن مواقع النجوم لن يتم التعرف عليها وقت نزول القرآن ، بل انها ستكون موضوع دراسة وبحث في العصور المتقدمة كما هو الحال في عصر العلم الحديث الذي نعيشه الآن .

ونحن وقد عرفنا حاليا عظمة مواقع النجوم طبقا لأبحاث الفلك الحديث ، علينا أن نحني رؤوسنا أمام هذا القسم الالهي في القرآن الذي ورد في مطلع الآيات السابقة ليلفت أنظارنا الى اعجاز علمي في مواقع

النجوم ، وليقدم لنا تأكيداً دينياً لجواب القسم الذى يتلخص فى أربعة حقائق اسلامية تتعلق بالقرآن الكريم كما يلى :

١ - القرآن كتاب كريم مقدس من عند الله وهو كتاب جدير باهتمام كل البشر لانه نور وهداية لكل من يؤمن به .

٢ - القرآن كتاب محفوظ يمتاز بالصدق والنقاء والطهارة ويحتوى على كنوز الحكمة والموعظة .

٣ - القرآن كتاب لا يمسه الا المطهرون أى لا يمسه الا الانسان الطاهر فى الجسم والعقل والفكر والقصد والنفس والروح ! وهذا الانسان هو الذى يستطيع الاقتراب مادياً وروحياً من جميع المعانى السامية فى القرآن !

٤ - القرآن تنزيل من رب العالمين . والتعبير بصيغة الجمع فى لفظ العالمين اشارة أكيدة الى ما يلى :

(أ) عالمية الرسالة الاسلامية أى أن القرآن وسنة النبى محمد عليه الصلاة والسلام يخصان جميع العالمين فى جميع العصور على اختلاف الزمان والمكان .

(ب) الله رب العالمين . وهذا يعطى الاحتمال بوجود عوالم ذكية متعددة تعيش على كواكب أخرى غير الأرض تدور حول نجوم أخرى غير الشمس (راجع بند ٦ - ٣) .

وما سبق يتضح لنا أن وصف القرآن عقب القسم الالهى بمواقع النجوم يعطى دلالة على عظمة الرسالة القرآنية . فكيف يجرؤ أى بشر على انكار القرآن ؟ أو يرفض الاهتداء بالقرآن فيعيش كافراً .

ان مواقع النجوم ما هى الا رمز للتواضع أمام عظمة وقدرة الله المطلقة ! فجميع الأنوار نسبية ما عدا النور الالهى الوحيد المطلق الخالد الذى لا يزول .

وضوء النجوم سيزول حتماً ، بل ربما ترى الآن نجماً لامعاً فى السماء لأنك تستقبل أشعة صدرت منه منذ زمن بعيد بينما نفس النجم حالياً ميت لا يشع ضوءاً مطلقاً ! (انظر بند ٦ - ٢) .

وبذلك يتضح أن الضوء الفيزيائى ظاهرة قد تكون خادعة ومعرضة أيضاً وختماً للزوال ، بينما النور الالهى حقيقى وخالد وساطع فى العقيدة الاسلامية والوحى القرآنى وهو النور الوحيد الباقي ، فالحمد لله الذى

أنزل القرآن - بالحق على النبي محمد عليه الصلاة والسلام مبشرا وهاديا
لنا في حياتنا المادية والروحية .

ومواقع النجوم تشمل بالإضافة الى المسافات الهائلة الفاصلة بينها
التحركات الحقيقية وليست الظاهرية التي اكتشفت حديثا للنجوم .
والقرآن يؤكد هذه الحقيقة بوصف النجوم كأجرام تجرى بسرعة خارقة وهي
تشع ضوءا ثاقبا كما في قوله تعالى :

« والسما والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم
الثاقب » .

(الطارق : ١ - ٣)

ولفظ « الطارق » هنا يفيد معنى الزائر المتحرك ولفظ « الثاقب »
يعنى الذى يخترق شيئا وهو نفس اللفظ المستعمل فى القرآن لوصف
الشهاب المتوهج النافذ خلال طبقات الجو كما فى قوله تعالى « فاتبعه
شهاب ثاقب » فى الآية (الصافات : ١٠) وبهذا فان النجم الثاقب يعنى
جرما متوهجا يشبه الشمس ويخترق الفضاء !

والحركة الحقيقية للنجوم لم يتم التعرف عليها الا عام ١٧١٨م
بواسطة قياسات الفلكى البريطانى هالى . ولقد تقدم العلم الآن لدرجة
أن مواقع وسرعة تحرك النجوم تقاس باستخدام ظاهرة دوبلر التى تعتمد
على ازاحة الطيف الذرى الناتجة عن تحرك النجوم ، علاوة على استخدام
هذا الطيف فى قياس درجة حرارة النجوم ولعانها الظاهرى والحقيقى !
ولقد تم فعلا تقسيم النجوم المرئية فى السماء الى سبعة أنواع طبقا
لالوانها ودرجة حرارتها السطحية المطلقة .

النوع	الدرجة السطحية	اللون
O	٢٥ ٠٠٠	أزرق
B	٢٠ ٠٠٠	أبيض مزرق
A	١٠ ٠٠٠	أبيض
F	٧ ٠٠٠	أبيض مصفر
G	٦ ٠٠٠	أصفر
K	٥ ٠٠٠	برتقالى
M	٣ ٠٠٠	أحمر

والشمس من النوع الأصفر G ونجم ريجيل الذى يبعد عنا
٩٠٠ سنة ضوئية من النوع B ونجم الشعرى الذى يبعد عنا ٨٦ سنة
ضوئية من النوع A ويعتبر ظاهريا ألمع نجوم السماء ولقد ورد ذكره
فى القرآن فى قوله تعالى :

« وانه هو رب الشعرى » .
(النجم : ٤٩)

ولقد عبدت بعض القبائل المشتركة نجم الشعرى ولكن الله سبحانه
وتعالى هو الخالق والمنظم لهذا الكون وهو عز وجل وحده لا شريك له
المستحق للعبادة !

والآن وقد استعرضنا بعض الخواص المميزة المعروفة للنجوم ،
نحمد الله على رحمته بنا فلقد سخر لنا نجم الشمس الحبيب الى قلوبنا ،
ولو فرضنا أن نجم ريجيل الذى تبلغ قوة اضاءته ٥٣٠٠٠ مرة قدر
الشمس قد حل محل الشمس لتبخرت الأرض وما عليها !

والله سبحانه وتعالى يدعونا دائما الى دراسة الكون كما فى قوله
عز وجل :

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تفتى
الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » .

(يونس : ١٠١)

فاذا لم يكن الايمان نابعا عن اقتناع وتدريب للقوى الروحية
والعقلية ، فان الآيات العلمية الملموسة فى الكون والآيات القرآنية المكتوبة
فى الوحى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم لن تصل الينا الا كما
تصل الموسيقى الى أذن الأصم .

٦ - ٢ النجوم ودورة حياتها

نحن معشر البشر نختلف نختلفا واضحا في مظهرنا وحياتنا واتجاهاتنا ورغم ذلك فنحن نشترك جميعا في حقيقتين هامتين حاسمتين هما الميلاد والوفاة . ولكننا غالبا ننسى أو نحاول نسيان تلك الحقائق المذهله في حياتنا اليومية (مثل الوفاة) .

يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴿١﴾
الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴿٢﴾
الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴿٣﴾ » .

(الملك : ١ - ٣)

وحيثما نبارك اسم الله فان هذا يعني اننا نعترف بفضلنا علينا فهو سبحانه بيده الخير وبقبضته ملكوت كل شيء وهو الذي خلق الموت والحياة . وبالتأمل في هذه الآية نجد الموت مذكورا قبل الحياة وبذلك يمكن تعريف الموت كما يلي :

(أ) الحالة التي كنا عليها قبل بدء حياتنا أي حالة عدم الوجود أو الوجود في طور جنيني لم تدب الحياة فيه بعد .

(ب) الحالة التي تتوقف عندها الحياة وهي الموت كما نعرفه ولكن الوجود يستمر في صورة أخرى لا نعرفها في العالم الآخر .

وبذلك يمكن اعتبار دورة الحياة في الوجود الدنيوي كما يلي على الترتيب : موت - حياة - موت . والآية السابقة تقرر تشابه الخلق في السماوات والأرض فالتقوانين الالهية واحدة كما في قوله تعالى : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ، وهذا يعني وحدانية الله الخالق ، كما أن كل شيء في هذا الكون مثل الشمس والأرض والنجوم الخ

سيمر حتما بنفس الأطوار المذكورة على الترتيب : الموت - الحياة - الموت
وذلك في أزمنة محددة لكل شيء ولكل طور . وهكذا فالموت والفتاء مصير
حتمى لكل المخلوقات في هذه الدنيا ، وأما الدوام والبقاء لله وحده فهو
سبحانه الخالد كما في قوله تعالى :

« ولا تدع مع الله ألها آخر لا إله الا هو كل شيء هالك
الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » .

(القصص : ٨٨)

ان الحقيقة الوحيدة الخالدة هي الله . بينما مصير الكون سوف
ينتهى الى زوال ! فالشمس مثلا تشرق علينا كل صباح وتبدو لنا تماما
كما كانت في اليوم السابق ونحن تعودنا على ذلك ، ولكن يطالعنا
الفلكيون حديثا بأخبار جديدة (لم تعرف الا في القرن العشرين) تفيد
بان الشمس وجميع النجوم لها عمر محدود فهي تولد وتعيش وتموت .

وقصة حياة النجوم قصة ساحرة تسلب العقول وقد نسأل : لماذا
يفكر الفلكيون في وفاة النجوم هكذا ؟ ألا يمكن أن تبقى النجوم للأبد
في السماء كما نراها الآن ؟ وسوف نتناول الإجابة على هذا السؤال
في هذا البند . ولكن هل من اجابة سريعة ؟ نعم : النجوم لا بد
أن تولد وتعيش ثم تموت في النهاية طالما ظل قانون الطاقة صحيحا !
فالنجوم تشع كما نعلم طاقة كهرومغناطيسية في الفضاء ولا يمكنها في
يوم ما عند نفاذ وقودها أن تخلق طاقة من عدم . وحيث أن النجوم تفقد
الطاقة بمرور الزمن فانها ستموت حتما .

وتولد النجوم بطريقة معينة وتموت عندما تنفذ طاقتها . ومصدر
الطاقة موجود في باطن النجم ولا بد أن ينضب هذا المصدر في وقت
ما ولا يمكن للنجوم أن تدوم الى الأبد !

ولقد قسم العلماء حديثا دورة حياة أي نجم الى خمسة مراحل هي
على الترتيب :

موت - ميلاد - شباب - شيخوخة - موت وذلك طبقنا للنظرية
المعاصرة التي ظهرت عام ١٩٢٠ وتطورت فيما بعد لتشمل استخدام
بيانات جديدة من أراضاد النجوم وقوانين الفيزياء النووية والامكانيات
الهائلة للمكبيوتر ! وهذه النظرية تؤكد بلا شك أن كل نجم سيصل
حتما الى مرحلة الشيخوخة أي الى مرحلة العملاق الأحمر التي عندها
لا يمكن للنجم توليد الطاقة من الاندماج النووي ، ولا بد للنجم أن يبرد

تدرجيا في النهاية وينطفئ نوره الى الأبد ، وهذا التطور المؤلم في حياة النجوم هو أحد منجزات العلم الحديث !

ومن المدهش حقا أن نجد اشارات صريحة لوفاة النجوم في القرآن الكريم الذي نزل قبل عصر العلم بألف وأربعمائة سنة كما في قوله تعالى :

« واذا النجوم انكدرت » •

(التكوير : ٢)

وقوله سبحانه :

« فاذا النجوم طهست » •

(المرسلات : ٨)

وهاتان الآيتان تقرران بأن جميع النجوم بما فيها شمسنا سوف تختفي قبل يوم القيامة حينما تتوقف كل الظواهر الطبيعية في هذا الكون ! وبهذا فان وعد الله المذكور في القرآن سيتحقق حتما وأن يوم القيامة الذي سيحاسب فيه الناس على أعمالهم (التي ارتكبوها سرا أو جهرا) قادم لا محالة ، فهو يوم موعود في القرآن ولن يفر منه أحد ، وسيأتي ذلك اليوم المشهود طبقا لأوصافه في القرآن • وقد تكشف الأبحاث العلمية في المستقبل عن بعض أسرار الآيات القرآنية التي تتناول زوال هذا الكون !

وسوف نقصر الحديث هنا على تطور النجوم لنوضح كيف وصل الفلكيون لحقيقة وفاة أى نجم !

ان دراسة حياة النجوم أمر صعب جدا لأن الفلكيين لا يستطيعون مراقبة النجوم طوال فترة مولدها وحياتها ووفاتها فدورة حياة النجوم طويلة جدا بالقياس لعمر الراصدين ، كما أن جميع المعلومات نلتقها فقط من سطح النجم وليس من باطنه ، ويقوم العلماء بتجميع معلومات الأرصاد الفلكية والقوانين الفيزيائية وبرمجتها في الكمبيوتر للحصول على توقعات معينة عن تطور النجوم •

ولقد تكونت النجوم في الماضي السحيق وما زالت تتكون حتى الآن كما يبدو من بعض الأرصاد • وتبدأ قصة ميلاد النجم عادة بكمية هائلة من السحب الداكنة والساطعة لتكوين سديم يتجمع بالجاذبية ويحتوى على غاز وتراب كوني ولا بد أن تصل كتلة السديم التراكم الى مقدار كبير يسمح بتكوين النجم وتفيد الحسابات أن أى سديم تصل كتلته الى أقل من ٠.٠٥ من كتلة الشمس لن يصبح نجما لأن هذه الكتلة

الصغيرة نسبيا لا توفر الضغط ودرجة الحرارة الكافية في المركز واللازمة لبدء التفاعلات النووية الاندماجية وفي مثل هذه الحالات يصبح السديم كوكبا باردا وليس نجما متوهجا ! ويمكننا القول بأن كتلة السديم أهم عامل يحدد مولد النجم ونوعه وكمية الطاقة المتولدة منه ومعدل وطريقة تطوره في دورة حياته مع الزمن !

والشمس مثلا نجم متوسط الكتلة ولقد بدأت مراحل تطوره في الماضي البعيد بسحب من الرماد الكوني وغاز الايدروجين ، وتجمعت هذه السحب وتقلصت بالجاذبية مما أدى الى ارتفاع درجة الحرارة والضغط في مركز هذا السديم باستمرار هذا الانكماش الى الحد الذي أتاح للتفاعل النووي الحزاري الاندماجي للايدروجين أن يبدأ ليعلن عن مولد نجم جديد ، ويقف الانكماش ويتزن النجم في هذه المرحلة التي تدعى مرحلة التتابع الرئيسي أى مرحلة الشباب التي تدوم حوالى ١٠ بليون سنة بالنسبة للشمس ! ، ومعظم النجوم فى السماء تعيش الآن هذه المرحلة كالشمس وتولم الطاقة بانتظام وباستمرار بالاندماج النووى للايدروجين وتحوله الى هيليوم ! ، ويظل النجم متوازنا نتيجة تعادل قوة الجاذبية الهائلة الى الداخل مع الضغط المتولد من القرن النووى الى الخارج طوال مرحلة الشباب والحياة والاستقرار التي تستمر حتى ينفذ الايدروجين فى باطن النجم .

وعندما يبطوء أو يقف التفاعل النووى لنقص الايدروجين فى مركز النجم فى نهاية مرحلة الشباب فان القلب ينكمش تحت تأثير الجاذبية ، وهذا يؤدي الى رفع درجة الحرارة فى المركز فيندمج الايدروجين المحيط بالقلب بمعدل أسرع الى هيليوم ويقف الانكماش . ويبدأ بذلك عصر الشيوخوخة الذى يمتاز بانتفاخ النجم وازدياد حجمه نظرا لارتفاع معدل انتاج الطاقة بالقلب ، فتزداد مساحة سطح النجم زيادة هائلة وتوزع الحرارة السطحية ويصبح لون سطح النجم أحمرًا عند شيخوخته ويسمى فى هذه الحالة بالعملاق الأحمر .

ويقدر العلماء وصول الشمس الى مرحلة العملاق الأحمر فى شيخوختها بعد بضعة بلايين من السنين فى المستقبل (على فرض أن عمرها الآن ٥ بليون سنة) ، ولكن يجب أن نضع فى اعتبارنا أن المعرفة المطلقة للأعمار بصفة عامة هى فى علم الله ونحن لا نعرف الا القليل من العلم الالهى بأمره سبحانه ، ونعترفنا الحالية ما هى الا انعكاس ضئيل من الحقيقة الالهية المطلقة كما يشير القرآن فى الآية (البقرة : ٢٥٥) ، (لقمان : ٢٤) فى بند (٣ - ٥) . والأعمار المقدره هنا ببلايين السنين عن حياة النجوم لا تبطل سوى تصور علمى تقريبي .

القرآن الكريم - ٢٧٣

للتعبير عن الأعمار الطويلة للنجوم ، وما يهمنا ليس تحديد عمر الشمس ، ولكن المهم معرفة أن معطيات العلم الحديث تؤكد لنا تغير ظروف شمسنا في المستقبل عما هي عليه الآن . وهذه التوقعات مبنية بالقياس لنجوم أخرى تمت دراستها في السماء والتعرف عليها وهي في مرحلة الشيوخوخة أو الوفاة ، وبذلك أمكن التنبؤ بمصير الشمس حيث سينتفخ حجمها في المستقبل وتصبح عملاقا أحمر قد يصل سطحه الى الأرض ويبتلع القمر وتصل درجة الحرارة الى حوالي ٤٠٠٠ درجة مئوية على سطح الأرض ! ومن المتوقع استحالة الحياة على الأرض لنخوتتها في هذه المرحلة علاوة على اختفاء القمر داخل العملاق الأحمر .

والآن دعنا نتأمل الوصف القرآني لمصير الشمس في المستقبل كما في قوله تعالى :

« فإذا برق البصر* وخسف القمر* وجمع الشمس والقمر* يقول الانسان يومئذ أين المجر* » .

(القيامة : ٦ - ١٠)

وتصف هذه الآيات الكريمة مقدمات يوم البعث الذي سيتغير فيه الكون الى عالم جديد . وقد تشير الآيات هنا في تصوري الى مرحلة العملاق الأحمر كاحدى الحوادث الكونية التي تسبق يوم القيامة ! وهناك مبررات تدعوني الى هذا التصور كما يلي :

(أ) قوله تعالى : « فإذا برق البصر* » قد يكون دليلا على اقتراب سطح الشمس من الأرض في مرحلة العملاق الأحمر .

(ب) قوله تعالى : « وخسف القمر وجمع الشمس والقمر* » قد يعطى معنى احتواء الشمس (وهي مرحلة العملاق الأحمر) للقمر لأن الشمس ستتمدد وتبتلع القمر كما يتوقع العلم .

(ج) قوله تعالى : « يقول الانسان يومئذ أين المجر* » قد يشير الى عدم تحمل الانسان لهذه المرحلة نظرا لاقتراب العملاق الأحمر من الأرض التي سترتفع درجة حرارتها عندئذ الى حوالي ٤٠٠٠ م .

ويقول الدكتور جون براندت أن البشرية يجب عليها أن تستعد من الآن بتجهيز مركبات فضائية كافية لحمل كل البشر لكي يستطيعوا الهرب من سطح الأرض الى كوكب آخر يكون بعيدا عن الشمس ! . . . وهكذا فإن انسان القرن العشرين يعترف بمرحلة العملاق الأحمر ويتساءل من الآن ويقول « أين المجر ؟ » ! والسؤال عن المجر نجد اجابته واضحة في الآية القرآنية التي تلت الآيات السابقة كذا في قوله تعالى :

« كالا لا وزر * الى ربك يومئذ المستقر » .

(القيامة : ١١ - ١٢)

حقا سيأتي يوم القيامة ، وسيزول الكون كله فى ثورة كونية شاملة ، لدرجة أن الكواكب التى يعتقد العلماء انها ستكون الملجأ المناسب للبشرية فى مرحلة العملاق الأحمر ستصبح متناثرة كما فى قوله تعالى :

« اذا السماء انفطرت * واذا الكواكب انتثرت * واذا البحار فجرت »

(الانفطار : ١ - ٣)

وهكذا فان يوم القيامة بداية لعالم روعى جديد تسطع فيه الأنوار الالهية .

وبالرجوع الى مصير هذا الكون فى المستقبل كما يعبر عنه القرآن الكريم نجد آيات أخرى قد تشير أيضا الى مرحلة العملاق الأحمر فى تطور الشمس كما فى قوله تعالى :

« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » .

(الرحمن : ٣٧)

وهنا قد يرمز اللون الوردى (الأحمر) الى سطح العملاق الأحمر الساخن الذى سيرفع درجة حرارة الأرض الى ٤٠٠٠ (كالدهان) مسببا غليان البحار وانفجارها وتبخرها ، وقد يتحلل الماء الى عنصريه : الايدروجين والاكسجين مسببا اشتعال النار فوراً فى جميع بحار الأرض . وهذا قد يفسر الآية القرآنية فى قوله تعالى :

« واذا البحار سجرت »

(التكويد : ٦)

وقوله سبحانه

« واذا البحار فجرت » .

(الانفطار : ٣)

والآن وقد اتضح لنا أن القرآن الكريم والعلم الحديث يقرران نهاية المجموعة الشمسية ، بل نهاية الكون كله ، فسوف نناقش هذه النهاية

بالنسبة للشمس حيث يجمع علماء فيزياء النجوم أن قلب الشمس سوف ينكمش بتأثير الجاذبية في المستقبل مما سيؤدي الى رفع درجة الحرارة في باطن الشمس عن ما هي عليه الآن وبالتالي فسوف تتمدد كما ذكرنا سابقا لتصبح عملاقا أحمر وهذه هي مرحلة الشيخوخة ! ويقول العلماء أن الشمس بعد هذه المرحلة سيزداد انكماشها وتتحول الى قزم أبيض يبرد تدريجيا الى أن ينطفئ نهائيا وهكذا تموت الشمس . وهذا التغير بمزيد من الانكماش الى قزم في مرحلة الوفاة قد يشير اليه القرآن ضمن أحداث القيامة كما في قوله تعالى :

• « اذا الشمس كورت »

(التكوين : ١)

وهذه الآية قد تشير الى القلب المنكمش الذي يمثل القدر المحتوم للشمس ولاى نجم يصل الى مرحلة الوفاة . وهذه النهاية البائسة المظلمة للنجوم أمر متوقع عند علماء فيزياء النجوم الذين يؤكدون وصفهم لموت النجوم باحدى الاحتمالات الثلاثة التي نسميها القزم المظلم والنجم النيوترونى المظلم والثقوب الأسود والتي تتم كلها بانكماش النجم على نفسه فى نهاية حياته بل وتوقف توليد الطاقة بصفة نهائية . وبهذا فان المصير المشترك هو طمس جميع النجوم كما فى قوله تعالى :

• « واذا النجوم انكدرت »

(التكوين : ٢)

وقوله سبحانه :

• « فاذا النجوم طمست »

(المراتل : ٨)

ولقد أكد العلماء أن النجوم النيوترونية تمثل وفاة النجم بانكماش أكبر من الانكماش فى حالة القزم الأبيض لدرجة أن الذرات تنسحق وتتحد البروتونات مع الاليكترونات وتتكون النيوترونات فى جميع ذرات النجم الميت الذى ينكمش عند وفاته الى كرة قطرها لا يزيد عن عشرات الأميال بعد أن كان نجما أكبر من الشمس ! والنجوم الأكبر من الشمس قد تتحول الى ثقب أسود عند وفاتها حيث يزداد الانكماش لدرجة الانهيار التام بالجاذبية !

وجميع النجوم الميتة سواء كانت اقزاما أو نجوما نيوترونية أو ثقوبا سوداء اجرام جارية فى السماء وتعمل نتيجة ارتفاع مجال

جاذبيتها كمكانس في الفضاء كما يسميها علماء فيزياء النجوم ، وهذه الحقيقة قد يشير إليها القرآن الكريم في قوله تعالى :

« فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس » •

(التكويز : ١٥ - ١٦)

وانهيار النجم على نفسه عند وفاته أمر عظيم يقسم به الله تعالى ليكون جواب القسم حافظا للبشرية على الايمان بالقرآن كما في قوله سبحانه :

« والنجم اذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى *

وما ينطق عن الهوى * ان هو الا وحي يوحى » •

(النجم : ١ - ٤)

حقا ان القرآن كلام الله وهو الوحي الصادق من عند الله وليس من تأليف النبي أو ادعائه • ولقد لاحظنا الاتفاق المذهل بين الآيات القرآنية الكونية والعلم الحديث دون أى تعارض وعيننا أن نستنتج بلا شك أن القرآن حق وأنه يحتوى على أسرار السماوات والأرض من النواحي الفيزيائية والروحية !

وموت النجوم حقيقة لم يكتشفها العلم الا فى القرن العشرين ، ودورة حياة النجوم من موت وميلاد وموت هى قانون كوني شامل ، ولا أحد يستطيع تحديد موعد القيامة !

وعلامات القيامة كما فى حالة العملاق الأحمر قد تمثل النفخة الأولى التى تسبق التوقف الشامل للكون كله كما فى قوله تعالى :

« ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى

الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه آخرى فاذا هم قيام

ينظرون » •

(الزمر : ٦٨)

وبهذا فان النفخة الأولى تمثل الانهيار الذى سينهى كل المظاهر الحالية للكون ويستبدلها بأراضين وسماوات جديدة (انظر بند ٦ - ٥) وفى النفخة الأولى يتم صعق جميع الكائنات ، وفى النفخة الثانية سيبعث

«الجميع وينظرون الى العالم الجديد يوم القيامة حيث تزداد ابصارهم وضوحا ويتقدمون للحساب فى موكب رائع أمام الله .»

الحياة والموت حقائق كونية شاملة . والله الواحد هو الذى يمنح الحياة والموت فى جميع أرجاء الكون ، كما فى قوله تعالى :

« وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم
العليم * وتبارك الذى له ملك السماوات والأرض وما بينهما
وعنده علم الساعة واليه ترجعون » *

(الزخرف : ٨٤ - ٨٥)

وقوله سبحانه :

« والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير » *

(آل عمران : ١٥٦)

ونحن اذا ما أدركنا كل هذه الآيات فى الطبيعة ومعناها الرمزية فى العالم الروحى ، يجب علينا أن نتجه الى القرآن ونسبح بحمده الله فهو عز وجل المحلى القدير واليه المصير .

٦ - الحياة على الكواكب الأخرى

(١) تماثل الكون

تماثل الكون حقيقة هامة تم اكتشافها حديثا فى الأبحاث العلمية الكونية وما يوضح ذلك أن الكون يحتوى فى معظم أرجائه على نفس العناصر ، والايديروجين الكونى يأتى فى مقدمة هذه العناصر بنسبة عالية ويليه عنصر الهيليوم والعناصر الأخرى بنسب منخفضة ، وتنتشر فى الكون أيضا نفس القوانين الفيزيائية والكيميائية ، فالنجوم تعمل جميعها بالتفاعلات النووية الاندماجية فى باطنها ، والمجالات المغناطيسية ومجالات الجذب العام وغير ذلك من ظواهر كونية عامة كلها تعمل دون انقطاع وتنتشر فى جميع أرجاء الكون ! وبهذا فان ما نكتشفه فى هذا الركن الصغير الذى نعيش فيه ما هو الا صورة متكررة وموجودة فى جميع أنحاء الكون الواسعة منذ الأزل وحتى قبل أن يظهر الانسان على مسرح الأحداث فى هذه الحياة ، وكلما ازددنا علما أدركنا التشابه والتماثل التام لعملية الخلق التى تتم بواسطة الله الواحد الذى يقول فى القرآن الكريم :

« وهو الذى خلق السماوات والأرض بالحق »

(الأنعام : ٧٣)

وتماثل الكون يوضح لنا الحقيقة الأساسية فى الاسلام التى تنص على أن الله موجود فى كل مكان ، وهو سبحانه واحد وليس وحده فى تثليث أو وحده فى مشى ، انه الله الواحد الأحمد ليس له شريك ولا ولد .

وهكذا، فالتماثل والتنظام والتناسق الذى يسود هذا الكون برهان منطقى على وحدانية الله وهذا ما يوضحه القرآن كما فى قوله تعالى :

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله
رب العرش عما يصفون » .

(الانبياء : ٢٢)

وقوله عز من قائل :

« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله
عما يصفون » .

(المؤمنون : ٩١)

ان تعدد الآلهة فكرة خاطئة لا يمكن الدفاع عنها اذا ما أخذنا في
اعتبارنا وحدة التصميم وتشابه الخلق والنظام والتماثل ووحدة الهدف
في كون الله الزائع .

والتماثل في الكون يقودنا عادة الى سؤال يشغل فكر الانسان منذ
بدا الخليقة ويمثل حتى الآن أهم وأخطر سؤال في الفلك : هل هناك
حياة في هذا الكون ؟ سؤال محير حقا . . . والإجابة قد تكون : نعم هناك
حياة على الأرض . . . ولكن هذا الجواب معروف لنا جميعا . . . والسؤال
المقصود هو : هل هناك حياة مماثلة لحياة الأرض في مكان ما من هذا
الكون طبقا لمبدأ التماثل وتشابهه ووحدة التصميم الالهي ؟

ولقد حاول العلماء بذل مزيد من الفكر والجهد للإجابة على هذا
السؤال المحير ، وقد تأتي الإجابة الحاسمة في أي وقت في المستقبل ،
وحتى ذلك الحين فاننا نجد متعة ذهنية لذكاء العقل البشري حينما
نتأمل ونفكر في الإجابة على هذا السؤال المدهش ، وسنوف نصل الى
الإجابة الحاسمة اذا حصلنا على اثبات عملي معدد لوجود الحياة خارج
كوكب الأرض ، أو اذا فحصنا الكون بأسره في كل ركن وكل زاوية
وخرجنا بنتيجة سلبية !

(ب) الكواكب المناسبة لوجود الحياة

هل نحن نعيش بمفردنا في فضاء الكون ؟ وهل هناك كائنات
ذكية غيرنا تعيش على كواكب أخرى تدور حول نجوم أخرى غير الشمس؟
وللإجابة على هذا السؤال نحدد أولا نسبية احتمالات وجود الكواكب
المناسبة فلو فرضنا أن ١٠٪ من مجموع النجوم في الكون تتبعها كواكب
تدور حولها تماما مثل نجم الشمس فاننا نكون منصفين في تقديرنا !
وحيث أن عدد النجوم في الكون حوالي ٢٢١٠ فان معنى هذا أن عدد

النجوم المحاطة بكواكب يصل الى حوالي ٢١١٠ نجماً ، ولو أخذنا في اعتبارنا أن ربع هذا العدد (أو حتى عشر هذا العدد) نجوم شابه من الأنواع K.G.F التي تتميز بصفات مقاربة لصفات نجم الشمس، فإننا يمكننا تنزيل العدد الأخير الى ٢٠١٠ نجم تقريبا أي أن عدد الكواكب المحتمل وجودها ودورانها حول هذه النجوم يساوي تقريبا ٢٠١٠ كوكب أي واحد وعلى يمينه ٢٠ صفرا !

(والمجموعة الشمسية كما نعلم تحتوي على تسعة كواكب رئيسية (غير الكويكبات) والأرض والمريخ هما الكوكبان اللذان يوجدان على بعد مناسب من نجم الشمس يتيح لهما درجة حرارة تكفي لوجود الماء في حالة سائلة كمادة حيوية ضرورية للحياة . وقياسا على ذلك يمكن تخفيض العدد الكلي للكواكب المحتمل صلاحيتها للحياة على مستوى الكون الى العشر وبالتالي تصبح لدينا حوالي ١٩١٠ كوكب في نفس ظروف الأرض تدور حول نجوم في نفس ظروف الشمس وعلى مسافة ملائمة تجعل الحرارة مناسبة لنشأة الحياة . فاذا سلمنا بوجود نفس العناصر الموجودة في الأرض على هذه الكواكب فان احتمال وجود الحياة خارج الأرض قائم ولهذا يرى المتخصصون من علماء فيزياء النجوم أن وجود كواكب تشبه الأرض وتحتوي على حياة أمر شديد الاحتمال وذلك بالرغم من استحالة وجود ظروف عامة مشابهة لظروف الأرض على كوكب آخر في اطار المجموعة الشمسية وعلينا أن نبحث عن تلك الظروف في كواكب أخرى خارج النظام الشمسي وهذا هو الاحتمال القائم في نظر الكثير من العلماء وفيما يلي المحاولات المبذولة حتى الآن في هذا المجال .

(ج) البحث العلمي عن الحياة خارج الأرض

البرهان العلمي لوجود حياة خارج الأرض ليس متوقفا الآن ، ولقد اثبتت أبحاث الفضاء في اطار المجموعة الشمسية عدم وجود حياة على كوكب المريخ وذلك أثناء رحلات سفن الفضاء فايكنج عام ١٩٧٦ الى هذا الكوكب حيث أعطت الأجهزة (التي أعدت في هذه الرحلات خصيصا للكشف عن احتمالات وجود الحياة أو آثارها) نتائج سلبية ، وعلى الرغم من ذلك فهناك توقعات علمية غير حاسمة في الاتجاه الايجابي كما يلي :

١ - اكتشاف الأحماض الأمينية في النيازك

اكتشف علماء وكالة ناسا الأمريكية عام ١٩٧٠ لأول مرة احماضاً أمينية على نيزك وقع في استراليا مما أثار دهشة العلماء لأن هذه

الاحماض هي اللبنات الأساسية في تكوين البروتين الذي يعتبر أهم مركبات الخلية الحية . ولقد تكرر اكتشاف الاحماض الامينية في نيزكين آخزين عام ١٩٧١ ، كما عثر العلماء عام ١٩٧٤ على أحماض دهنية في نيازك أخرى ، ورغم أن هذه الاكتشافات لا تعطى دليلا قاطعا على وجود الحياة خارج الأرض الا أنها تثير لدينا انطبعا بأن المركبات الرئيسية للحياة التي نعرفها يمكن تكوينها بطريقة ما خارج الأرض في المجموعة الشمسية !

٢ - اكتشاف الجزئيات في الفضاء

لقد تطورت التليسكوبات الراديوية حديثا لاستقبال امواج راديوية بأطوال موجبة مختلفة تمثل خطوطا طبيعية لعناصر معينة مثل الخط الذي طوله الموجي ٢١ سم المميز لغاز الايدروجين الذي يملأ هذا الكون . وهذه الخطوط تبعثها أيضا الجزئيات الموجودة في الفضاء . ولقد تم فحص الخطوط الطيفية بالتليسكوبات الراديوية وأمكن التعرف على أكثر من خمسين نوعا من جزئيات مختلفة في الفضاء تشمل بخار الماء ! وأول أكسيد الكربون والفورمالدهيد والأمونيا والكحول الميثيلي ! ، وقد تم رصد هذه الجزئيات في سحب ما بين النجوم مثل . سديم أوريون الواقع في اتجاه مركز مجرتنا (سكة التبانة) ، وأكثر الجزئيات اثارا لدهشتنا هي جزئيات بخار الماء وبشائر الاحماض الامينية مثل ميثيل أمين وحامض الفورميك ! ، ويتوقع الفلكيون أن هذه الجزئيات الأساسية لنشأة الحياة منتشرة على كواكب كثيرة في الكون مما يعطى انطبعا تاما بوجود حياة على كواكب أخرى !

٣ - تاريخ مسار النجم

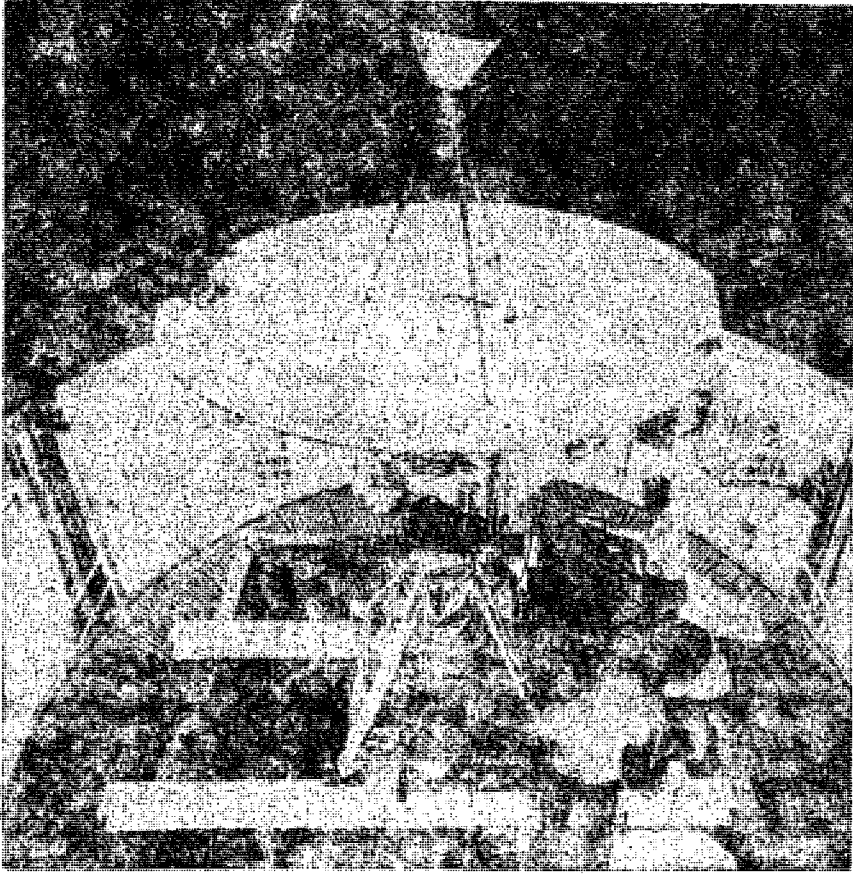
تعطى معظم النجوم القريبة منا خواصا مميزة لمسارها تشير الى وجود نظم كوكبية مماثلة للنظام الشمسي ، وعلى سبيل المثال فانه يعتقد أن حوالي نصف المائة بليون نجم في مجرتنا شمس تدور ببطء مثل شمسنا حول مركز المجرة ، وتلك خاصية تدعو الى التفكير بوجود كواكب تابعة لهذه النجوم في أفلاكها ! ان البعد عن هذه النجوم كبير جدا لدرجة أننا لانستطيع ملاحظة كواكبها التابعة لها والتي يفترض وجودها على الأرجح نظرا للخواص المميزة لمدارات هذه النجوم اذ يدل التموج الخفيف في خط مدار أى نجم على وجود تابع كوكبي مرافق له ! ولهذا السبب يعتقد بأن لنجم بارنارد رفيقا كوكبيا واحدا على الأقل تفوق كتلته كتلة المشتري بل ربما كان له كوكبان تابعان !

يقول د. جيران :

« كما هو واضح فالنظم الكوكبية منتشرة في الكون بكثرة شديدة وليس النظام الشمسي والأرضي فريدين ويستتبع ذلك أن الحياة منتشرة في الكون مثل انتشار الكواكب التي لا حصر لها وتتوفر فيها الظروف الفيزيائية والكيميائية اللازمة لتفتح الحياة وتطورها ! »

(والحقيقة أنه رغم الاشارات العلمية الثلاث السابقة فان التوقعات المستنتجة من هذه الأدلة العلمية غير حاسمة ولا تعطي ردا قاطعا لوجود الحياة خارج الأرض ! ولهذا أتجه العلماء الى استخدام التليسكوب الراديوي للبحث عن اشارات راديوية قادمة من الفضاء وتحتوى على شفرات خاصة تدل على أنها مرسلة من كائنات ذكية تعيش على كواكب أخرى ! ولقد قام فرانك دراك عام ١٩٦٠ بأول محاولات في هذا الاتجاه حيث قضى عدة أسابيع في مراقبة أقرب نجين شبيهين بالشمس باستخدام التليسكوب الذى قطر مرآته ٢٦ مترا والمهيا لاستقبال الموجة ٢١ سم وهى الموجة المنبعثة من الايدروجين الكونى والتي اختارها فرانك باعتبار أنها لا بد وأن تكون مشهورة أيضا بالنسبة للعوالم الأخرى ، ولكن فرانك للأسف لم يحصل على نتائج ايجابية لانه لم يستقبل أى رسالة ذات معنى لغوى من الفضاء !

وبدلا من انتظار استقبال رسائل لاسلكية من العالم الخارجى اتجه العلماء الى ارسال رسالة على هيئة لوحة تحتوى على صور ورموز معينة ووضعوها في سفينة الفضاء بايونير ١٠ (شكل ٦-٤) وبايونير ١١ ، وهاتان السفينتان سوف تتركان المجموعة الشمسية الى الفضاء الكونى ، ولكن الفرصة للعثور على هذه الرسالة (بوصول هذه السفن الى عوالم أخرى) ضئيلة جدا ، لذلك تم ارسال أول رسالة لاسلكية من كوكب الأرض في ١٦ نوفمبر ١٩٧٤ من جهاز ارسال قوى قدرته ٤٥٠ ألف وات فى محطة تليسكوب راديوى فى أريكيبو لعلها تصادف من يستقبلها لاسلكيا فى العوالم الأخرى وكانت هذه الاذاعة موجهة نحو عنقود ١٣- المعروف بعنقود هيركيليس . وتبدأ هذه الرسالة الأرضية المذاعة بالاعداد ١ الى ١٠ ثم تعريف ذرات جزيء D.N.A. بجسم الإنسان ثم تقديم مبسط للمجموعة الشمسية وللمحطة الاذاعية التى تبث هذه المعلومات من التليسكوب الراديوى لأريكيبو ! . وحيث أن هذا العنقود المجرى الذى تتجه اليه الاشارة اللاسلكية يبعد عنا ٢٥ ٠٠٠ سنة ضوئية فاننا معشر البشر لن نتوقع ردا من عوالم ذكية (ان وجدت) قبل مرور ٥٠٠٠ سنة أى قبل انقضاء أكثر من ألف جيل من الآن !



(شكل رقم ٦ - ٤)

سفينة الفضاء بايونير ١٠

وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات السابقة فسوف يستمر البحث العلمي للإجابة على هذا السؤال المدهش المحير الذي سنرده دائما •• هل هناك حياة على الكواكب الأخرى في هذا الكون ؟

(ج) الجواب القرآني :

ما يشير دهشة قارئ القرآن في العصر الحديث هو الآيات التي تدل صراحة على احتمال وجود أراضين مثل أرضنا في هذا الكون ! وهذا أمر لم يتحقق منه الناس بعد في عصرنا •

وفيما يلي نتأمل معاني الآيات القرآنية التي تعالج هذا الموضوع

الشيق في محاولة لمعرفة وضع الانسان بالنسبة لخلق الله في الكون !
يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وأن الله
قد احاط بكل شىء علما »

(الطلاق : ١٢)

وحيث أن الرقم ٧ يشير الى تعدد غير محدود فيمكن استنتاج أن
هذا النص القرآنى يذكر بوضوح وجود اراضين أخرى مثل أرضنا وأن
الامر الالهى يتنزل بينهن جميعا ٠٠ والسؤال الآن : الى من يتنزل هذا
الامر الالهى فى هذه الاراضين ؟ هل هناك عوالم ذكية على هذه الاراضين
لاستقبال هذا الامر الالهى ؟ ٠٠٠ والقرآن الكريم يجيب عن هذا السؤال
فى عدة آيات كريمة وعلى سبيل المثال فان أول آية فى أول سورة فى
القرآن تنص على وجود عوالم كثيرة كما فى قوله تعالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين »

(البقرة : ١ - ٢)

وتعبير العالمين بصيغة الجمع يخبرنا بأننا لسنا وحدنا فى هذا العالم
ولكن هناك عوالم أخرى والله سبحانه وتعالى رب العالمين جميعا ويجب
علينا أن ننظر الى خلق الله ونأمل وحدانية التصميم .

ويتكرر ظهور لفظ العالمين فى القرآن الكريم عشرات المرات
وكذلك لفظ السماوات يذكر متعددا فى صيغة الجمع علاوة على الترقيم
الرمزى بالعدد سبعة الذى يدل أيضا على التعدد . وكل سماء لها أرضها
كما فى قوله تعالى « ومن الأرض مثلهن » ٠٠٠ يقول الله تعالى فى
القرآن الكريم :

« ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من
دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير »

(الشورى : ٢٩)

وكل دابة تشمل الحيوانات والزواحف من كل نوع عاقل وغير
عاقل والتي تنتشر بقدرة الله فى السماوات والأرض . ونحن نعلم أن لكل
سماء أرضها فى لغة القرآن (كما فى الآية الطلاق : ١٢) لهذا فان

الحياة ليست قاصرة على أرضنا فقط ، وهذه حقيقة أعلنها القرآن ورغم هذا فان الانسان لم يتحقق منها حتى وقتنا الحاضر !

انه جميل ورائع حقا أن نتخيل حياة مشابهة لحياتنا على كوكب يدور حول نجم آخر غير الشمس ، ورغم أن ذلك لم يثبت علميا حتى الآن ، فانه من المعقول والمنطقي جدا أن نعتبر الحياة منتشرة في بلايين الكواكب في الفضاء الكوني . انها آية رائعة من آيات الله الذي خلق كل هذه الكائنات التي لا حصر لها في السماوات والأرض وهو سبحانه يمتلك القدرة على جمع هذه المخلوقات .

ومن الناحية اللغوية فان لفظ دابة لا تشمل الملائكة التي ذكرها الله مستقلة في آية أخرى في القرآن كما في قوله تعالى :

« ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » .

(النحل : ٤٩)

وتعبر « ما في السماوات وما في الأرض » يشمل جميع المخلوقات وعلى الأخص الجماد والأحياء الغير عاقلة والملائكة وهذه كلها ابتداء من أحقر المخلوقات وحتى الملائكة يستسجدون جميعاً لله ولا يستكبرون .
حقا ان كل شيء يسبح بحمده الله كما في قوله تعالى :

« تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفورا » .

(الاسراء : ٤٤)

حقا ان كل الطبيعة والمخلوقات الحية العاقلة والجماد تدل على وحدانية الله وعظمته وقدرته وحكمته وتسبح الله وتنزهه وتقدسسه ولكن الكافرين فقط (بمحض اختيارهم وحرمتهم) لا يحاولون فهم هذه الأدلة لأن قلوبهم غافلة وبالتالي لا يفقهون سلوك غيرهم من المخلوقات التي تسبح الله في جميع أرجاء الكون في رضا وسعادة ! يقول سبحانه :

« وربك أعلم بمن في السماوات والأرض » .

(الاسراء : ٥٥)

والله يعلم أيضا القول في السماوات والأرض بما في ذلك كل عمل أو قول في السر والعلانية ، كما في قوله تعالى :

« قال ربي يصلح القول في السموات والأرض وهو السميع العليم »

(الأبيات : ٤)

والتعبير القرآني « القول » يعطى معنى اللغة التي تستخدمها الكائنات الذكية وغير الذكية في السماوات والأرض ، وهذا يشير الى إمكانية وجود حياة عاقلة على الكواكب الأخرى في السماوات وكل مخلوق في هذا الكون يعتمد على الله في حياته كما في قوله تعالى :

« يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن »

(الرحمن : ٢٩)

حقا ان الله هو الرزاق الذي يهب الحياة لكل مخلوقاته وفيما سبق ناقشنا التقدير العلمي لعدد الكواكب التي يحتمل أن تكون مسكونة لكائنات ذكية في هذا الكون ، وتلقينا الرد خلال معاني الآيات القرآنية التي تدل على وجود أراضين متعددة مثل أرضنا وهذه الأراضين مملوءة بالكائنات الحية ! ٠٠٠٠ والآن نسأل عن مدى إمكانية اتصال هذه الكائنات الحية ! ٠٠ أى إمكانية اتصال هذه الكائنات الموجودة في كواكب ما بين النجوم ؟ ٠٠ لقد وصل الإنسان الى القمر في عصرنا الحاضر ٠٠ فهل سيتوغل الإنسان أعمق من ذلك في السماوات ؟ وهل سنقابل كائنات ذكية في يوم ما ؟ وهل ستحاول هذه المخلوقات زيارتنا في ما يسمى بالأطباق الطائرة ؟ وما هي إمكانية الحدث والاتصال بهذه المخلوقات وهي بعيدة عنا بعدا شديدا في مجرات مختلفة ؟ ٠٠٠ وما هي اشارات القرآن في هذا الصدد ؟

الواقع أن الاتصالات اللاسلكية بكواكب ما بين النجوم ستكون من طرف واحد لأن أقرب كوكب مسكون ربما يبعد عنا بدرجة تجعلنا ننتظر قرونا أو أحقابا لكي نتلقى ردا علينا أثناء المحادثة اللاسلكية بيننا وبين السكان العاقلين في الكوكب المزعوم !

ونظرا لصعوبة الاتصال اللاسلكي فلقد أرسل الإنسان رسائل في سفن الفضاء بايونير ١٠ ، بايونير ١١ ، وفوييجر ١ ، وفوييجر ٢ التي تحمل شريطا مسجلا يحتوي على مختارات موسيقية ورسائل صوتية تحمل تحيات البشر من سكان الأرض وذلك بحوالي ستين لغة وتحمل أيضا

رسالة من الرئيس كارتر تعبر عن آمنيات البشرية للانضمام لاتحاد سكان المجرة ! • وهذه السفن غير موجهة لكوكب معين ولكنها سوف تستغرق حوالي ٨٠ ألف سنة لكي تصل الى اقرب نجم بالنسبة للأرض وذلك اذا قدرنا لهذه السفن نجاح الوصول • وهناك علماء متفائلون يعتقدون أن الانسان سوف يستطيع المجازفة باختراق السماوات البعيدة بين النجوم خلال القرنين القادمين ! • ولكن لسوء الحظ فان السفر فيما بين النجوم مسألة ليست هينة كما يتصور كتاب حلقات الخيال العلمي للأطفال ، ان المسافات الفاصلة بين النجوم مسافات هائلة تفوق الوصف والخيال وهي فعلا فوق مستوى ادراك العقل البشرى علاوة على الصعوبات التي تواجهنا عند صنع سفينة فضاء مناسبة لتحمل بشرا في فضاء ما بين النجوم لرحلة تستغرق لاقرب نجم زمنا يقدر بالآلاف المرات قدر العمر العادي لأي مسافر ، ولهذا يجب أن تحمل مثل هذه السفينة أزواجا من البشر كسفينة نوح حيث يتناسل الركاب من ذكر وأنثى وتموت أجيال كثيرة (نظرا لطول الرحلة) وقد يتبقى في النهاية أحفاد لا يعرفون عن أرض أجدادهم (الرواد الأصليين) شيئا ويواجهون لأول مرة عالما جديدا في كوكب آخر بعقلية تختلف تمام الاختلاف عن عقليتنا نحن سكان الأرض ! وللتغلب على مشكلة الزمن لابد من تصميم سفن فضاء عالية السرعة ! ولكن كيف يتم هذا التصميم ! مازال العلماء يفكرون في ذلك ••• ولكن هناك مشاكل كثيرة بالنسبة للسفن عالية السرعة ••• فلو فرضنا أن السفينة ستحمل وقودها معها فلا بد لها من كمية وقود كبيرة جدا لاكتساب سرعات عالية لمدة طويلة • ولقد اقترحت جمعية أصدقاء الفضاء البريطانية مثلا سفينة تعمل بالقنابل الهيدروجينية تدعى دايدالوس بحيث تستطيع الوصول لنجم برنارد في ٤٩ سنة ! مما يستدعي حمل وقود وزنه ٥٠٠.٠٠٠ طن ! وهذا الوقود ربما لا يكفي لحمل المستلزمات الأخرى في السفينة لامداد الرواد بمقومات الحياة من الاغذية والهواء لمدة طويلة خلال هذه الرحلة المزعومة !

ويمكن الوصول الى سرعات أكبر لولا المشاكل العلمية والهندسية التي تحد حاليا من ذلك علاوة على أن الحد الأقصى للسرعات هو سرعة الضوء طبقا لقوانين الفيزياء ! وبهذا فان الرحلة الى نجم برنارد بسفينة تتحرك فرضا بهذه السرعة القصوى سوف تستغرق زمنا قدره ٥٩ سنة (لان هذا النجم يبعد عنا ٥٩ سنة ضوئية) مع مراعاة انكماش الزمن بالنسبة للمسافر واستحالة سفره بسرعة الضوء !

ويزداد الموقف تعقيدا كما شرحنا • ولهذا يسأل الانسان لماذا

لا تقوم المدنيات الأخرى من الكواكب البعيدة بزيارتنا في الأرض ؟
الواقع ليس لدينا للآن أى دليل على تمام مثل هذه الزيارة من العوالم
الأخرى ، ولكن البعض يعتقد أن الأطباق الطائرة تبدو كما لو كانت سفن
فضاء قادمة من الكواكب الأخرى لزيارتنا ، ولكن معظم العلماء لا يؤيدون
هذا الاعتقاد ويعتبرون الأطباق الطائرة وهما ناشتا من بعض الظواهر
الجوية النادرة !

لقد باءت كل محاولات الانسان بالفشل حتى الآن للاتصال بالعوالم
الأخرى ، فلم يتلق علماء الفلك الراديوى أى رسالة من كائنات أخرى
ومازال السفر للأراضين الأخرى مستحيلا ، كما أننا لم نستقبل أبدا
زائرا شريفا من خارج الكرة الأرضية ! ، ورغم هذا فالأمل مازال قائما
والبحث عن وسائل اتصال بالكواكب الأخرى مازال مستمرا ، ويبحث
العلماء عن أحسن الطرق للاتصال بالعوالم الأخرى الذكية لأن الالتقاء
بأى وسيلة مع هذه العوالم سيكون أمرا هاما وخطيرا جدا . ولو افترضنا
ان شاء الله حدوث مثل هذا الالتقاء فان ذلك سيكون بعون الله أعظم حدث
فى تاريخ البشرية كلها ! . فهل ستنتج محاولاتنا لاتمام هذا اللقاء
فى المستقبل ؟ أو هل ستسبقنا الحضارات الأخرى من الكواكب البعيدة
وينجح سكانها فى زيارة كوكب الأرض ؟ .

نحن لا نستطيع الاجابة على هذه الأسئلة ولكن القرآن الكريم
يتحدث عن التقاء مرتقب كما فى قوله تعالى :

« ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما
من دابة وهو على جمهم اذا يشاء قدير » .

(الشورى : ٢٩)

ويلاحظ أن الملائكة لم تذكر فى هذه الآية بعكس الآية
(النحل : ٤٩) السابق اقتباسها فى هذا البند ، ولهذا فاننى أعتقد
والله أعلم أن اللقاء المشار اليه بيننا وبين العوالم الأخرى ربما يحدث
فى حياتنا الدنيا ، ولكن كيف ومتى وأين يحدث هذا اللقاء ؟ هذا أمر
لا أستطيع تخمين اجابته والله سبحانه يعلم كل شىء كما فى قوله تعالى :

« ولله ما فى السماوات وما فى الأرض والى الله
ترجع الأمور » .

(آل عمران : ١٠٩)

ويؤكد القرآن اللقاء فى العالم الآخر كما فى قوله تعالى :

القرآن الكريم - ٢٨٩

« ان كل من فى السماوات والأرض الا آتى الرحمن
عبدا * لقد احصاهم وعدهم علما * وكلهم آتية يوم القيامة
فردا » .

(مريم : ٩٣ - ٩٥)

ولفظ فردا يعنى مسئول بمفرده عن عمله يوم القيامة وتعود كل
المخلوقات الى الله عز وجل كما فى قوله تعالى :

« ان الى ربك الرجعى » .

(العلق : ٨)

ويوم الحساب سيكون موعدا يتم فيه اللقاء العظيم لكل المخلوقات
الذكية المسئولة من جميع العوالم ، وستكون هناك سماوات وأراضين
جديدة (انظر بند ٦ - ٥) وستزول حتما كل آثار الظلم والشر وعدم
المساواة زوالا تاما ، وسوف يظهر النور الالهى ليضيء كل جوانب العالم
الآخر ، وسيختفى الخداع والنفاق والتزييف ويظهر كل شىء على حقيقته ،
ويصف الله سبحانه وتعالى هذا الجو الروحانى بقوله سبحانه :

« وتبرى الملائكة حافين من حول العرش ، يسبحون
بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق ، وقيل الحمد لله
رب العالمين » .

(الزمر : ٧٥)

٦ - المجرات وتمدد الكون

(١) المجرات

كوكب الأرض عضو في أسرة مكونة من تسعة كواكب تدور حول الشمس كأجرام رئيسية في المجموعة الشمسية التي تقع بدورها في طرف ذراع حلزوني من أذرع مجرة سنكة التبانة كما بالشكل (٦ - ٢) . وهذه المجرة تظهر لنا في السماء على هيئة ضوء خافت مبثوث من بلايين النجوم أو الشموس التابعة لها . وقد يدور حول النجوم كواكب شبيهة تماما بالأرض (راجع بند (٦ - ٢)) .

وتبدو مجرتنا (سنكة التبانة) على هيئة قرص ضخم يصل قطره الى ١٠٠.٠٠٠ سنة ضوئية ! وينتفخ قرص المجرة عند المركز لتكوين نواة يصل سمكها الى ١٠.٠٠٠ سنة ضوئية ويقبل السمك الى حوالى نصف هذا المقدار عند أطراف المجرة حيث تقع شمسنا التي تبعد عن مركز المجرة ٣٣.٠٠٠ سنة ضوئية وذلك في أحد الأذرع التي تتشعب من نواة المجرة وتلتوى حلزونيا حولها شكل (٦ - ٣) ! ولقد تم رصد هذه الأذرع بالتليسكوب الراديوي ووجد أن شكل المجرة الحلزوني يتكرر في مجرات أخرى ، وتتجمع النجوم أيضا في عناقيد مجرية ! ، ويرصد حركة النجوم تبين أن كل مجرة تدور حول مركزها ! ولولا هذا الدوران فإن الجاذبية العامة سوف تؤدي الى تقلص المجرة وتكورها وانقباضها على نفسها في مركزها ! ، وهذا التوازن الذي يمنع الانهيار يرجع الى دوران كل نجم في فلكه حول مركز المجرة ! .

وهنا نعيد الى الأذهان آيتين قرآنيتين كريمتين تشيران الى هذا التوازن القائم في السماوات كما في قوله تعالى :

« والسمااء رفعها ووضع الميزان »

(الرحمن : ٢٧)



(شكل رقم ٦ - ٥)
مجرة الأندروميديا

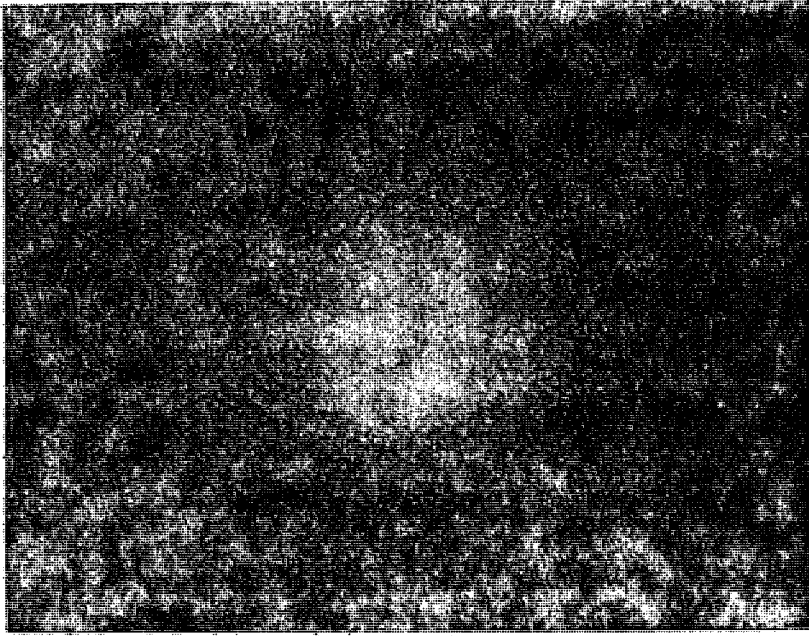
وقوله عز من قائل

« كل في فلك يسبحون »

(الانبياء : ٢٣)

وبهذا فان قوانين التوازن بالطواف فى المدارات والسباحة فى
الأفلاك تسود كل أرجاء الكون من الذرة الى المجرة !

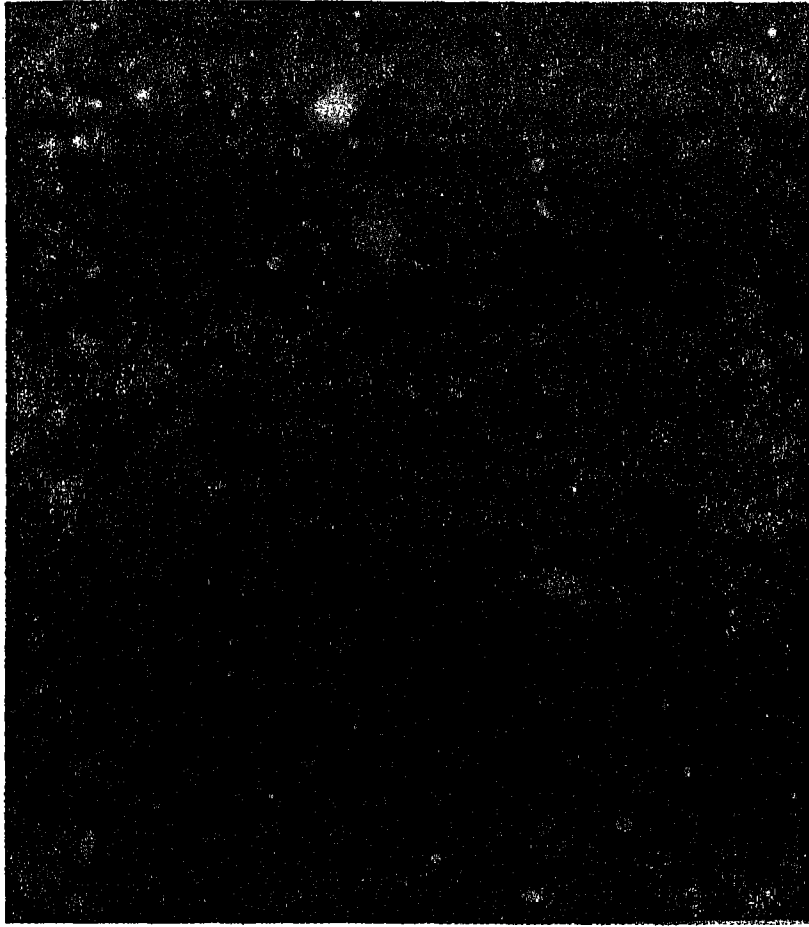
ومن الأمور المدهشة حقا أن تعلم عزيزى القارىء أن من واجبات
المسلم تأدية الطواف أى الدوران حول الكعبة فى بيت الله الحرام فى
مكة المكرمة ، فكل مسلم يصل الى هذه المدينة المقدسة يجب أن يؤدي
هذا الطواف بالدوران سبع دورات حول الكعبة فى خضوع وخشوع
بمجرد دخوله هذا المسجد لأول مرة وأثناء مناسك الحج والعمرة ،
وذلك لأن الطواف رمز للوحدانية وتسبيح الله ، ولقد اتضح لنا علميا
كما سبق أن الطواف قانون كوني شامل يشير الى وحدانية خالق الكون .
حقا ان الله واحد ...



(شكل رقم ٦ - ٦)

تجمع نجمي هائل فى الفضاء الكوني

ولقد تم حديثا الحصول على معلومات عن مجرات كثيرة تطوف
كلها فى الفضاء الكوني وعلى سبيل المثال فان مجرة مسكة التبانة تدور
حول نفسها ولها تابعان يدوران حولها وهما مجرتان صغيرتان تعرفان
بسحب ماجلان وتبعدان عن مجرتنا ٢٠٠.٠٠٠ سنة ضوئية ! ، وأما مجرة
أندروميديا فهى أقرب مجرة مماثلة حجما لمجرتنا وتبعد عنا حوالى ٢ مليون



(شكل رقم ٦ - ٧)

جزء من عنقود فيرجو

سنة ضوئية شكل (٦ - ٥) وتدور حولها مجرتان اهليجيتان مرافقتان،
ويوجد على نفس البعد مجرة أخرى حلزونية تدعى 33-lvl وبهذا يصبح
عدد المجرات في محيط مجرتنا سبعة ! ، وحول هذه المجموعة تم اكتشاف
عشرة مجرات أصغر كما بالشكل (٦ - ٦) وبإضافة هذا العدد الى
السبع مجرات يصبح العدد ١٧ مجرة تكون ما يسمى بالمجموعة المحلية .
وهناك مجرات أخرى خارج المجموعة المحلية ، ولقد تبين من الأرصاد أن
المجرات المجرية ظاهرة متكررة ، وأقرب عنقود مجري بالنسبة لمجموعتنا
المحلية هو عنقود فيرجو ويبعد عنا ١٧٨ مليون سنة ضوئية ويحتوي

داخله على حوالي ٣٠٠٠ مجرة علاوة على الكثير من المجرات التي لم يتم رصدها في هذا العنقود شكل (٦ - ٧) * ويقع عنقود كوما على بعد ٣٧٠ مليون سنة ضوئية ويحتوي على الأقل على ١١٠٠٠ مجرة مرئية ، ومن العناقيد البعيدة جدا عنا عنقود رقم ١٤١٠ ويقع على مسافة قدرها ٥٤٥ مليون سنة ضوئية * ويقدر العلماء عدد المجرات المرئية التي يمكن رصدها بتليسكوب ماونت بالومار بأكثر من بليون مجرة * ويتوقع الفلكيون امكانية رصد المزيد من بلايين المجرات والسدم باستخدام التليسكوب الفضائي الجديد ! فما أكثر المجرات في هذا الكون ! وكل مجرة تحتوى على بلايين النجوم ! نجوم كثيرة حقا تفصلها مسافات هائلة تفوق الوصف ! ومن الجدير بالذكر هنا ذلك القسم الالهى فى الآية القرآنية التالية فى قوله تعالى :

فلا أقسم بمواقع النجوم * وانه لقسم لو تعلمون عظيم »

(الواقعة : ٧٥ - ٧٦)

وتعدد السماوات حقيقة كونية معبر عنها بالرقم ٧ فى القرآن الكريم ، والآن تم ادراك هذا التعدد من معطيات العلم الحديث كما أوضحنا فى اكتشاف العناقيد المجرية والمجرات والنجوم التى لا حصر لها ، يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

« ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا »

(نوح : ١٥)

وقوله تعالى

« ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين »

« غافلين »

(المؤمنون : ١٧)

وقوله تعالى

« الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن »

(الطلاق : ١٢)

والمقرآن يكرر ذكر الرقم سبعة وكثيرا ما ، بمعنى التعدد دون أن تعرف بشكل محدد سبب هذا الاستخدام بذلك المعنى : فالرقم ٧ يبدو

عند اليونان والرومان وكان له نفس معنى التعدد غير المحدد . والقرآن الكريم يعطى الرقم ٧ للسموات وللطرائق وللأراضين بمعنى التعدد اذا وضعنا في اعتبارنا أنه الى جانب القرآن يوجد في نصوص عصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي نصوص القرون الأولى التالية التي أوردت أحاديث الرسول إشارات الى أن الرقم ٧ كثيرا ما يستعمل لمجرد البدالة على التعدد دون تحديد آخر .

السموات اذن متعددة وكذلك الكواكب المشابهة للأرض
حقا أن ما يثير دهشة قارئ القرآن في العصر الحديث أن يجد في نص قرآني (نزل في عصر الوحي منذ أربعة عشر قرنا) تضريحا بإمكان وجود كواكب أخرى تشبه الأرض في هذا الكون ! وهذا أمر لم يتحقق منه الناس بعد في عصرنا الحديث . راجع بند (٦ - ٣) .

وهنا سبب آخر لاثارة الدهشة لقارئ القرآن في القرن العشرين تلك الآيات التي تشير الى ثلاث مجموعات من المخلوقات وهي :

— أشياء موجودة في السماء .

— أشياء موجودة في الأرض .

— أشياء موجودة بين السماوات والأرض .

وفيما يلي بعض هذه الآيات كما في قوله تعالى :

« ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما »

(ق : ٣٨)

وقوله تعالى

« له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت

الثرى » .

(طه : ٦)

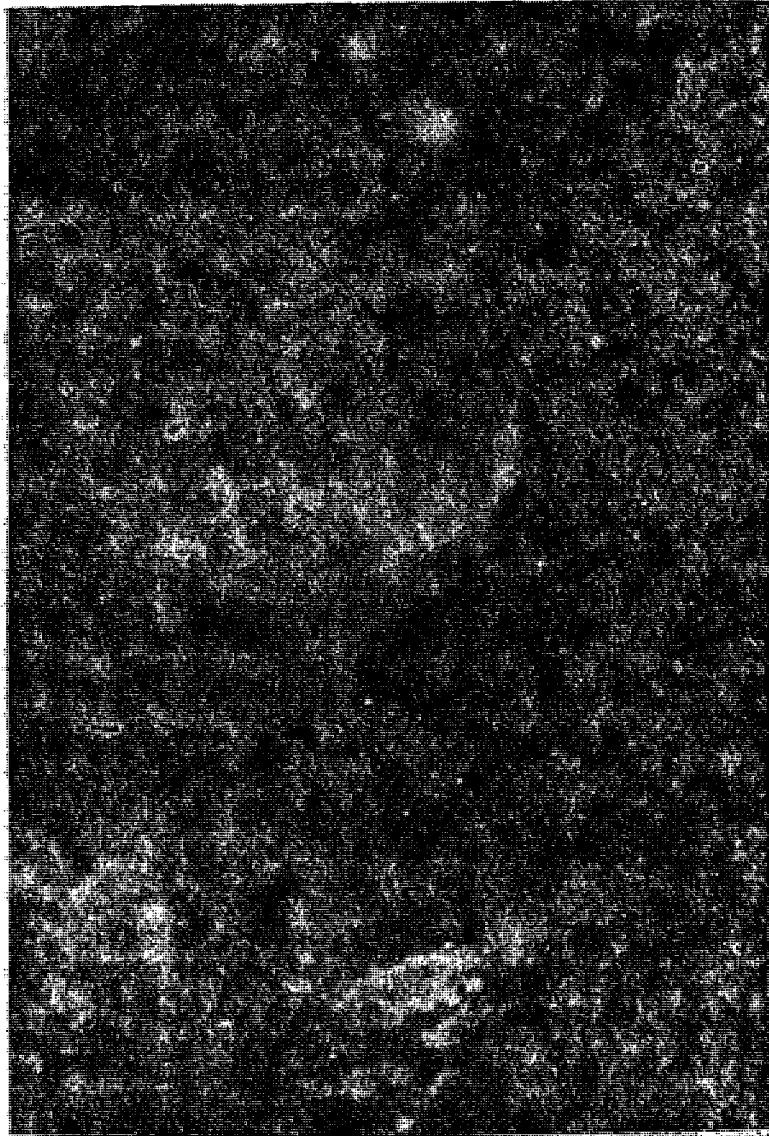
وقوله تعالى :

« الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في

ستة أيام » .

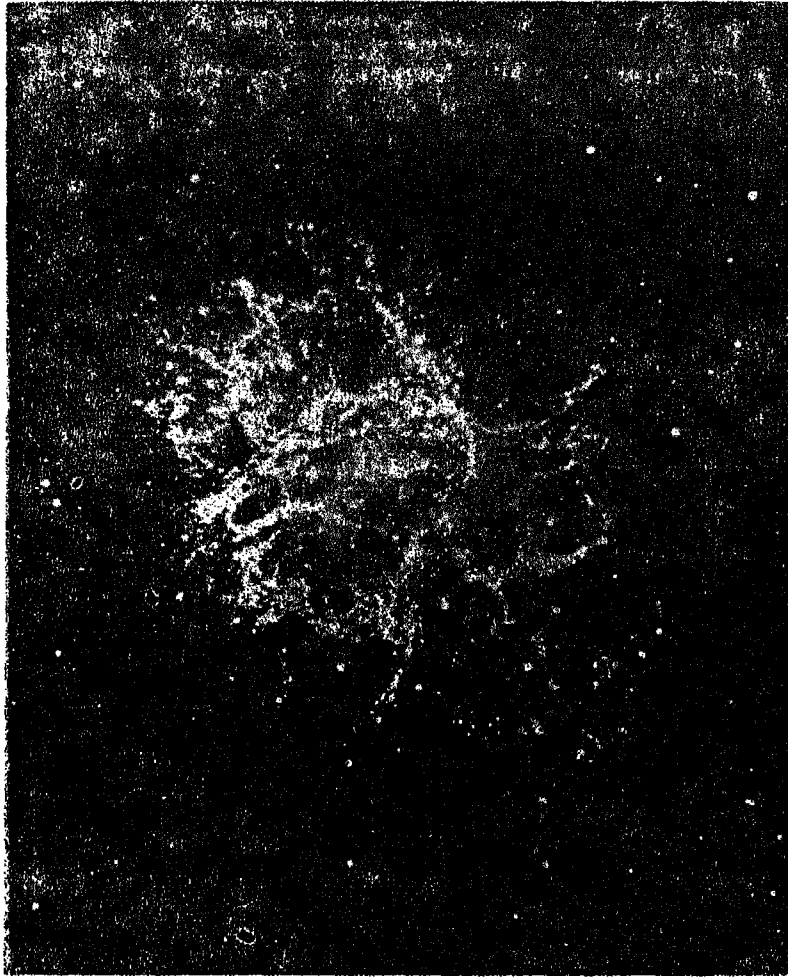
(السجدة : ٤)

وتتكرر الإشارة الى الخلق الموجود بين السماوات والأرض في آيات قرآنية أخرى منها :



(شکل رقم ۶ - ۸)

سندیم اورینون



(شكل رقم ٦ - ٩)

سديم (كراب نيبولا)

(الانبياء : ١٦) ، (الدخان : ٧) ، (النبا : ٣٧) ،
(الحجر : ٨٥) (الأحقاف : ٣) ، (الزخرف : ٨٥) .

وبديهى قد يبدو هذا الخلق صعب التصور لوجوده خارج
السموات وخارج الارض لكن لكى نفهم معانى تلك الآيات يجب علينا
الاستعانة بأحدث الملاحظات البشرية حول وجود مادة كونية خارج المجرات
كما يجب لنفس السبب أن نتناول من جديد المعارف التى أثبتها العلم

المعاصر حول تشكيل الكون (راجع بند (١ - ٨) ، بند (٦ - ٥)) ولقد تبين من الأرصاء الدقيقة لمجرة سكة التبانة وجود بقع داكنة من الغاز والتراب الكوني تتخلل سحب ما بين النجوم وهناك أيضا سديم هائلة مضيئة ذاتيا أو بالانعكاس . (شكل ٦ - ٨ ، شكل ٦ - ٩) .

ان الإشارة الى الخلق الموجود بين السماوات والأرض في القرآن تمثل اعجازا رائعا وربما نكتشف المزيد من التفاصيل عن هذا الخلق في المستقبل !

(ب) توسع الكون

توسع أو تمدد الكون أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث . ولقد أصبح هذا التوسع مفهوما ثابتا وحقيقة لا جدال فيها لدرجة أن المناقشات العلمية تدور فقط حول الطريقة التي يتم بها هذا التوسع أو التمدد ! . ولقد تبنت النظرية النسبية العامة لأينشتاين بهذه الظاهرة . وأجريت قياسات عملية كثيرة على أطلساف المجرات واستخدمت ظاهرة دوبلر للازاحة الطيفية لتدعيم هذه النظرية (وتنبأ ظاهرة دوبلر عندما تتغير المسافة بين المصدر الضوئي والراصد وإذا ازدادت المسافة بينهما عندما يتحرك أحدهما أو كلاهما فان الطيف الضوئي الصادر تحدث له ازاحة معينة نحو الطول الموجي الأكبر بحيث تتناسب الازاحة الطيفية طرديا مع سرعة التحرك وتسمى في هذه الحالة بالازاحة الحمراء ، فلو كان لدينا نجم يتحرك مبتعدا عنا فان طيفه يتغير مزاحا نحو اللون الأحمر لأن كل لون صادر من النجم يبدو في هذه الحالة أطول موجيا بالنسبة لعين الراصد ، وأما إذا كان النجم مقتربا منا فان الازاحة تحدث نحو اللون الأزرق وتبدو ألوان الطيف الصادر من النجم أقصر موجيا في عين الراصد وهكذا) .

ولقد درس إدوين هابل خطوط طيف الامتصاص للمجرات فتبين له ان جميع المجرات خارج مجموعتنا المجرية المحلية تعطى ازاحة حمراء ! وبهذا استنتج هابل أن معظم المجرات تتباعد عنا وكلما ابتعدت المجرات ازدادت سرعة ارتدادها أو تراجعها عنا ! . ولقد تبين أن سرعة التراجع تزداد بمقدار ١٧ كم / ثانية لكل مسافة قدرها مليون سنة ضوئية ! ، ومعنى هذا فان المجرة التي تبعد عنا ١٠٠ مليون سنة ضوئية تتراجع أو ترتد عنا بسرعة قدرها $17 \times 100 = 1700$ كم / ثانية ، بالمثل فان عنقود كوما مثلا الذي يبعد عنا ٣٥٠ مليون سنة ضوئية يتراجع بسرعة $17 \times 350 = 5950$ كم / ثانية . وهكذا ، والمجرة التي

تبعدها بليون سنة ضوئية تتراجع عنا بسرعة ١٧٠٠٠ كم / ثانية ! ، وثابت التناسب هنا وقدره ١٧ كم/ ثانية لكل مليون سنة ضوئية يدعى ثابت هابل ! ، وهذا الثابت سوف يعاد تقييمه في المستقبل عندما يستخدم التليسكوب الفضائي في استقبال الطيف الضوئي من الأجرام السماوية مباشرة دون مشاكل الامتصاص في الغلاف الجوي للأرض .

وقانون هبل ظاهرة تستدعي الانتباه .. عليك أيها القارئ أن تفكر في مفهومها ... كل المجرات تتباعد عنا ... وكلما ابتعدت المجرات .. ازدادت سرعة ارتدادها عنا وهذه الظاهرة تدعى تمدد الكون ! ...

انها ظاهرة مثيرة لدهشتنا فلماذا يتوسع الكون ويتمدد ؟ ولماذا يتباعد الجميع عنا ؟ وهل هذا يعطينا نحن سكان الأرض موقعا فريدا ؟ كلا أنك لو فتحت بالونا مرسوما عليه عدة نقاط فان هذه النقاط سوف تتباعد عن بعضها أثناء انتفاخ البالون وكل نقطة تنظر الى النقاط الأخرى وهي تتباعد عنها ! وبالمثل فالمجرات تتباعد عن بعضها أثناء تحركها في الكون الذي يشبه البالون المنتفخ وبهذا فان الكون يتسع ويتمدد !!

ويمكن مقابلة هذه الظاهرة العلمية الحديثة بالآية القرآنية التالية التي تشير بوضوح الى تمدد الكون كما في قوله تعالى :

« والسمااء بئيناها بايد وانا لموسعون »

(الداريات : ٤٧)

ولقد أعطى المترجمون الذين لم يستطيعوا ادراك معنى كلمة « لموسعون » تفسيرات خاطئة لهذه الكلمة كقول بلاشير في « رحابه وكرم » بدلا من « ونحن نوسعه » لأن الكلمة العربية « لموسعون » تعني « نجعله أوسع » ويتحدث حميد الله في ترجمته للقرآن عن اتساع السماء والفضاء ولكنه يضيف علامة استفهام ! ... ولقد أعطى مؤلفوا المنتخب الذي نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة تفسيراً علمياً لهذه الآية يتحدثون دون أدنى غموض عن توسع الكون .

وبهذا يتبين لنا أن تمدد الكون أمر مشار اليه في القرآن الكريم في آية موجزه في التعبير ومتفقه مع معطيات العلم الحديث . ومثل هذه الآيات القرآنية المتعلقة بخلق الله في الكون والتي نزلت منذ أربعة عشر قرناً تدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم وحى من عند الله وليس من تأليف البشر ..

ولقد تلقى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الوحي القرآني على مدى عشرين عاما في صبر وأمل وإيمان وأدى النبي رسالته في ابلاغ كلام الله كما نزل في القرآن وخلص في تعليم الناس دين الاسلام وانتصرت ارادة الله . . وظل القرآن وسوف يبقى خالدا لهداية البشرية وتوضيح أعماق الحقائق المادية والروحية ، والرد على أسئلة الناس في كل عصر عن الكون والحياة وعن كل ما يدور في عقولهم من مخاوف وشكوك . . فالقرآن دستور سماوى شامل لجميع البشر ليساعدهم على تنظيم حياتهم بما يرضى الله في نقاء وطهارة ! . . والقرآن يحتوى أيضا على معجزات علمية ولغوية وبيانية وروحية يدركها هؤلاء الذين أوتوا العلم والحكمة والقدرة على تمييز الحق ، والذين لديهم الرؤية الثاقبة والعقل والفهم . . وهؤلاء جميعا سوف يتلقون بلا شك القرآن الكريم في خشوع وسعادة ليستقر في قلوبهم كما في قول الله تعالى :

« بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » .

(التكوير : ٤٩)

حقا ان آيات الله ظاهرة في كل مكان وزمان وان قدرته وحكمته وفضله امور واضحة في الكون وفي الوحي الالهي في القرآن . . فكيف ينكر الانسان فضل الله ونعمته ويرفض الاهتداء بالقرآن الكريم ؟

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن .

« حم ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ ان في السماوات والأرض لايات للمؤمنين » .

(البقرة : ١٢٠)

٦ - ٥ الكونيات

(١) نشأة الكون (انفجار البيج بانج)

ناقشنا في البند السابق موضوع توسع الكون وعرفنا أن قانون هابل يوضح أن المجرات تتباعد حاليا عن بعضها ، وهذا يؤدي منطقيا الى الأخذ بالفكرة القائلة بأن هذه المجرات كانت في الماضي أقرب الى بعضها بحيث لو رجعنا بالزمن الى الوراء لوجدنا جميع المجرات بما فيها من اجرام ملتحمة في كتلة واحدة . وهذا يعني أن الكون كله كان في البداية رتقا واحدا في كرة تدعى البيضة الكونية . وهذه البيضة الكونية قد انفجرت في الماضي السحيق انفجارا ضخما أدى الى تناثر أجزائها في مجرات تتحرك متباعدة عن بعضها ، وطبقا لهذه الفكرة فإننا مازلنا نرى الكون يزداد اتساعا حتى الآن نتيجة الدفع الابتدائي الناتج عن الانفجار الأول المسمى البيج بانج في نظرية الانفجار الكبير . ولقد أعلن العالم الروسي جامو هذه النظرية عام ١٩٣٥ ، وأيدها هابل بقياسات طيفية حديثة والسؤال الآن : متى حدث الانفجار الكبير (البيج بانج) ؟

لقد حاول العلماء معرفة تاريخ هذا الانفجار للتعرف بالتحديد على لحظة نشأة الكون ولكن التقديرات العلمية كانت مختلفة . فمذ عام ١٩٥٠ والعلماء يقدرون عمر الكون على أساس قياس البعد الحالي وسرعة ارتداد المجرات ، ولقد تغيرت القياسات نتيجة تقدم وسائل الرصد وكلما تم تصحيح البعد بالنسبة لأي مجرة لمسافة أطول كلما تغير الزمن اللازم لوصول المجرة الى هذا البعد ، وبالتالي يتغير العمر المحسوب للكون . وعلى سبيل المثال فلقد تغير عمر الكون من ٢ بليون سنة طبقا لقياسات عام ١٩٥٠ الى ٤ بليون ثم ٦ بليون ثم ١٠ بليون وحتى ١٧ - ٢٠ بليون سنة ، وهذه القيمة الأخيرة اقترحها تامان وسانداج عام ١٩٧٢ م نتيجة القياسات الجديدة لثابت هابل ، ولكن بعض الفلكيين يعترضون على القيمة الأخيرة وبعضهم يعطى لثابت هابل قيمة تؤدي الى تقدير عمر الكون بعشرة بلايين سنة فقط ، وبهذا فان تاريخ نشأة الكون سيظل



(شكل رقم ٦ - ١٠)

العالمان بينزياس وويلسون واكتشاف تمدد الكون

لغزا متروكا دون حل ! وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن كل المادة الموجودة حاليا في بلايين المجرات كانت متجمعة في البداية في جزء صغير كثيف ملتهب يدعى البيضة الكونية منذ فترة تتراوح بين ١٠ - ٢٠ بليون سنة مضت ! ، وأن هذه البيضة الساخنة قد انفجرت ونثرت أجزائها على هيئة مجرات تتباعد من بعضها في هذا الكون الشاسع !

ولقد حاول العلماء اثبات صحة نظرية الانفجار الكبير الى أن اكتشف العالمان بينزياس ، وويلسون شكل ٦ - ١٠ الأمواج الراديوية التي تأتي من جميع الاتجاهات والتي يطلق عليها اشعاع الخلفية الكونية للجسم الأسود في درجة ٣ كلفن وذلك طبقا لقياسات التليسكوب الراديوى في

معاصر شره بل • ولقد فسّر العلماء في هذا الإشعاع بأنه من بقايا وآثار الانفجار الأول (البيج بانج) عندما كن الكون كرة ملتهبة وكان الإشعاع أكثر نسبيًا من المادة • ويعتبر هذا الاكتشاف تأكيدًا واثباتًا لنظرية جامو ، ومن أجل ذلك حصل العالمن بينزياس وويلسون على جائزة نوبل عام ١٩٧٨ • وهكذا أصبح لدينا برهان جديد على أن الكون كان ملتحمًا في بيضة كونية ملتهبة ثم انفجرت في البيج بانج ، وأن هذا الانفجار هو المسئول عن التوسع المستمر للكون ، وهو سبب بعض الظواهر المقاسة في الوقت الحاضر (مثل إشعاع الخلفية الكونية) !

ويقدم القرآن الكريم في آيتين موجزتين ملخصًا دقيقًا للظواهر التي أدت إلى تكوين العملية الأساسية لتشكيل الكون كما في قوله تعالى :

« أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » •

(الانبياء : ٣٠)

وقوله سبحانه :

ثم استوى إلى السماء وهي دخان •

(فصلت : ١١)

ويجدر بنا هنا الالتفات إلى ما يلي :

(أ) الإشارة بوجود كتلة غازية ذات جزيئات فيما يسميه القرآن بالدخان •

(ب) الإشارة إلى عملية الفتق للكتلة الفريضة الأولى التي كانت عناصرها ملتحمه في البداية فيها يسميه القرآن بالرتق •

وبهذا نستنتج أن مقابلة العلم الحديث بآيات القرآن تثبت عدم وجود أي تعارض بينهما •

وهناك عدة أسئلة تدور الآن في عقول العلماء :

١ - ماذا حدث قبل البيج بانج •

٢ - هل سيظل الكون في التمدد •

٣ - هل يحتوي الكون على مادة لم يتم رصدها حتى الآن •

٤ - هل سيتوقف التمدد الجالي للكون في المستقبل •

٥ - وهل ستعود المجرات الى الاقتراب من بعضها مرة أخرى في انسحاق كبير جديد في كتلة واحدة (كما بدأ أول مرة) .

والاجابة على هذه المشاكل الكبرى تعتبر تحديا لعلوم الفلك والكونيات . ويذكر سبحانه وتعالى في القرآن الكريم آية تدل على أن الانسان اذا فكر في هذه القضايا الكونية فان عليه أن يعلم انه كائن بسيط في هذا الكون الواسع ، وإن الله قادر على صنع المزيد من المعجزات التي تفوق خيال الانسان كما في قوله سبحانه :

**خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن
أكثر الناس لا يعلمون . . ان الساعة آتية لا ريب فيها
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون .**

(غافر : ٥٧ - ٥٩)

(ب) مصير الكون :

مصير الكون يمثل أعظم وأعقد وأكثر الأسئلة إثارة في علم الفلك وهو أقدم لغز محير للبشرية في جميع العصور وجوابه موجود في القرآن الكريم الذي يكشف السر عن مصير الكون ويجعل الأمر واضحا ويحل بذلك الجدل العلمي حول هذا الموضوع كما يلي :

١ - تقلص او انكماش الكون :

في البند السابق (٦ - ٤) ناقشنا توسع الكون وتأملنا قول الله تعالى :

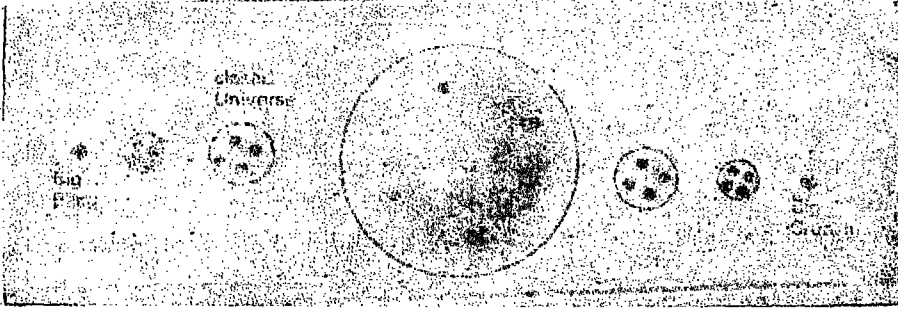
« والسمااء بئيناها بأيدي وانا لموسعون »

(الداريات : ٤٧)

ولقد ثبت الآن أن توسع الكون حقيقة علمية والمجرات تتباعد حاليا عن بعضها ! ولكن طالما أن هناك جذبا متبادلا بين هذه المجرات فان سرعة الارتداد لا بد وأن تتناقص مع مرور الزمن . فهل ستكفي هذه الفرملة لوقف التمدد في يوم ما والعودة بالمجرات الى الحركة في الاتجاه العكسي حيث تلتقي في المستقبل مع بعضها وتكون النهاية في ما يسمى بالكون المنكمش ؟

ولقد ناقشت النسبية العامة لاينشتين ١٩١٥ هذه القضية وقدمت لنا مجموعة من الاحتمالات المثيرة للعقل البشري :

القرآن الكريم ٣٠٥



(شكل رقم ٦ - ١١)
تطور الكون (بداية ونهاية)

(أ) إذا كان الكون مفتوحاً فإن النظرية تتوقع انحناء الكون بدرجة لا تسمح بتوقف التمدد الحالى وتظل المجرات فى التباعد ببطء مع الزمن دون أن تقف !

(ب) إذا كان الكون مغلقاً فإن النظرية تتوقع انحناء الكون بدرجة تكفى بالجاذبية لوقف التمدد الحالى وجعل الحركة فى الاتجاه المضاد فى المستقبل فينكمش الكون على نفسه بسرعة فائقة !

ولقد قدم علماء الكونيات المؤيدون لنظرية البيج بانج ونظرية الكون المغلق صورة جديدة لنهاية الكون كما يلي :

فى الماضى السحيق انفجرت البيضة الكونية فى انفجار البيج بانج وتناثرت المادة فى كل اتجاه وتجمعت فى مجرات متعددة بداخلها نجوم لا حصر لها • ونشأت الأرض (تابعة لنجم الشمس فى احدى المجرات) وجاء البشر ليشاهدوا تمدد الكون بأجهزتهم المقامة على الأرض حيث اكتشف العالم هابل هذه الظاهرة وجاء أينشتين ليتنبأ بالنهاية المتوقعة لهذا التمدد • فالتوسع الحالى لا بد وأن يقف فى المستقبل ! والمجرات سوف تبدأ فى الاقتراب من بعضها !

متى سيحدث ذلك الانكماش ؟ وبعد كم بليون سنة سينكمش الكون على نفسه ؟ لا أحد يدرى !

المهم سيحدث انكماش الكون الذى يعجل من سحق المجرات مع بعضها وترتفع عندئذ درجة حرارة المادة والاشعاع بصورة بالغة وترتفع قوى التجاذب لأن الكون كله سينكمش على نفسه وينسحق فى كرة أصغر ليعود الى أصله حيث بدأ • ويمكن بذلك تلخيص هذه القصة

الكونية من البداية الى النهاية كما فى الشكل (٦ - ١١) طبقا للترتيب والتتابع الزمنى التالى :

الانفجار الكبير (بيچ بانج) - تمدد الكون - انكماش الكون - الانسحاق الكبير . . .

وماذا بعد ؟ سؤال مطروح ايضا ! هل سيظل الكون كرة ملتهبة صغيرة فى النهاية والى الأبد ؟ . . .

هناك من يتوقعون ان هذه الكرة المتكونة فى الانسحاق الكبير ستصبح بيضة كوتية جديدة تنفجر بدورها مرة أخرى لتكوين كون جديد ! وهذا ما يسميه علماء الكون والفلك بنظرية الكون المتذبذب ! والتي تفترض تكرار العملية فى تمدد وانكماش (فى حركة متكررة للبالون الكونى كالمشقق والزفير) وهذه النظرية هى احدى الفروض المذهلة الناتجة عن ذكاء العقل البشرى فى القرن العشرين !

وقد يشير القرآن الكريم الى هذه الفروض العلمية فى آيات موجزة مختصرة معبرة عن الحقيقة اصدق تعبير كما فى قوله تعالى :

« انه يبدؤ الخلق ثم يعيده » .

(يونس : ٤)

والانكماش المتوقع للكون فى المستقبل يشير اليه القرآن الكريم فى احدى الآيات التي تصف حوادث القيامة كما فى قوله تعالى :

« يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعما علينا انا كنا قاعدين » .

(الانبياء : ١٠٤)

وهناك آية تشير الى انسحاق كبير متوقع فى النهاية كما فى قوله تعالى :

« وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة »

(العنكب : ١٤)

وقوله سبحانه

« كلا اذا دكت الأرض دكا دكا » .

(الحجر : ٢١)

٢ - فناء الكون واعادة تكوينه

يفكر المختصون الآن بعمق في المشاكل التي أثارها العلم بشأن المصير المتوقع للكون ! ، ويقول العلماء أنه رغم أن المستقبل البعيد للكون غير مؤكد فهناك عدة احتمالات تدل على النهاية فقد تتجمع النجوم في كل مجرة لتتحول جميعها الى ثقب أسود ! كما يتوقع علماء الفيزياء تحول الثقوب السوداء الى اشعاع ! ..

وهناك من بين الأفكار الواردة ما يعتقدوه العلماء أن البروتون وهو أصل المادة ما هو الا جسيم مشحون ذاتيا وبذلك فان مصير ذرات المادة في هذا الكون الى الزوال والفناء والتحول الى اشعاع بعد بلايين السنين ! ويشير العلماء أيضا قضية وجود المادة المضادة ! ويتساءلون لماذا لا نفترض وجود مجرات كاملة من المادة المضادة بنفس مقدار المجرات المصنوعة من المادة العادية ! ، وأن هذين النوعين من المادة والمادة المضادة تكونا عند نشأة الكون في البيج بانج بنفس المقدار وهما حاليا يتباعدان ولكنهما سوف يلتقيان عند انكماش الكون في المستقبل منا سيؤدى حتما الى زوال هذا الكون بتحوله الى اشعاع ناتج من التقاء المادة بالمادة المضادة !

والآن وفي وسط هذا الكم الهائل من التوقعات فان الاكتشافات العلمية الجديدة في علوم الفيزياء والفلك قد تزيح الستار عن بعض هذه الأمور الغامضة ! ولكن ما يهمنا الآن هو اعتراف العلماء اعترافا صريحا بأن الكون الحالي سوف ينتهي .. فالنجوم لا بد وأن تنطفئ لان وقود الايدروجين مصدره الى النفاذ ، وستموت جميع النجوم وستنتهي الحياة كلها من جميع الكواكب بل وقد تموت المادة نفسها ويتحول الكون كله الى اشعاع !

فتأمل ايها القارئ الزوال المتوقع للكون طبقا للآية القرآنية التالية كما في قوله تعالى :

« ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا » ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده » .

(فاطر : ٤١)

ومفهوم الزوال ربما يرتبط علميا بوجود المادة والمادة المضادة كظاهرة كونية ضمن معاني الآية القرآنية التالية في قوله تعالى :

« ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » .

(الذاريات : ٤٩)

وبهذا فان فناء الكون محتمل في ضوء خلق أزواج المادة لان ظاهرة الأزواج شاملة لكل شيء في الوجود باعتبارها تصميمها الهيا لقاعدة كونية في خلق الله . ويؤكد الخالق سبحانه هذا الفناء كما في قوله تعالى :

« واذا الجبال سيرت » .

(التكوين : ٣)

وهذه الآية مثال للزوال التام في الآخرة حيث تختفي بأمر الله جميع الأشياء الدنيوية وتصبح سرايا خادعا وكأنها لم تكن مما قد يشير الى الفرض العلمي السابق شرحة والذي يتوقع خلق كون جديد بعنه الانسحاق الكبير في المستقبل وهذا التوقع قد يشير اليه القرآن الكريم في قوله تعالى :

« يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار » .

(ابراهيم : ٤٨)

والعبارة القرآنية « تبدل الأرض غير الأرض والسماوات » تشير الى الحالة الجديدة التي سوف تؤول اليها الاشياء في الآخرة ويجب ان نضع في اعتبارنا ان الكون الجديد موصوف لنا في القرآن بأسلوب رمزي مبني على الاستعارة والتشبيه .

وهكذا فان موضوع انكماش الكون على نفسه وفناء هذا الكون واعادة تكوينه في المستقبل حقيقة قرآنية لم يتم الكشف عنها علميا . ولكن الانسان يتوقع هذه الحقائق نظريا من خلال الذكاء البشري وهناك مجهودات مبذولة في أبحاث الفضاء نحو مزيد من التعرف على هذا الكون والبحث عن الحقيقة التي عبر عنها القرآن . الحقيقة التي لا ريب فيها . . .

والآن في عصر الفضاء وقد بدأ العلماء يعترفون بنهاية الكون في المستقبل من واقع أبحاثهم النظرية فأننى أدعوهم الى البحث عن الحقائق الفيزيائية والروحية للآخرة في آيات القرآن الكريم وسوف يتمتعون بلا شك بأوصاف قدرات الله وجمال خلقه في العالم المرئي وغير المرئي من خلال التعبير الدقيق لآيات القرآن وسوف يقدررون ويحيون كلام الله ، كما أدعو كل عاقل لدراسة القرآن للتعرف على الحقيقة المطلقة التي نزلت وحيا من الله عز وجل . . .

يقول سبحانه

« وتعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط
مستقيم »

(الحج : ٥٤)

(ج) الأخرى

ناقشنا فيما سبق المصير الفيزيائي المتوقع لهذا الكون من وجهة
نظر العلم والقرآن ونحن نعيد إلى الأذهان هنا الآية القرآنية الكريمة
في قوله تعالى :

« يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا
أول خلق نعيده وعدنا علينا إنا كنا فاعلين »

(الأنبياء : ١٠٤)

هذه الآية تؤكد أن الكون سوف ينهار وينكسر على نفسه
وأن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق سماوات وأراضين جديدة على
مستوى جديد لاستطيع أن نتخيله في حياتنا ! وأنه سبحانه سيفعل
ذلك حتما طبقا لوعده لنا . ولقد استعرضنا في فصول هذا الكتاب
آيات قرآنية كثيرة تناولت المصير النهائي المحتوم للشمس والقمر
والأرض والجبال والبحار والنجوم وغير ذلك ضمن الثورة الكونية التي
ستحدث يوم القيامة . هذه الثورة العظيمة التي يجذب القرآن انتباهنا
إليها بالقسم الإلهي التالي حتى نعتبر ونستعد نفسيا ليوم القيامة كما في
قوله تعالى :

« لا أقسم بيوم القيامة »

(القيامة : ١)

وسياتى يوم القيامة حتما وسوف تتوقف جميع العمليات الطبيعية
السائدة في هذا الكون الذي سيختفي تماما في ذلك اليوم وعندئذ
تظهر أمامنا حقيقة العالم الروحي !

وقد نسأل : متى سنقوم القيامة ؟ ...

وبعد كم بليون سنة في المستقبل تحدث القيامة ؟

الواقع أنه من المستحيل علينا الإجابة على هذا السؤال ! والله وحده
عنده علم الساعة وهو الذى يستطيع كشف جميع أسرارها ويقول
سبحانه :

« اليه يرد علم الساعة »

(فصلت : ٤٧)

يجب علينا اذن الا نجادل فى مثل هذه الأمور ويكفى أن نعتبرها
مجرد تأملات فى حدود ذكاء وقدرات العقل البشرى وعلينا فقط تأدية
واجبنا فى هذه الحياة . . علينا أن نعبد الله ونؤمن برسوله محمد صلى الله
عليه وسلم علينا أن نفعل الخير ونستعد ليوم الحساب . . نحن
لا نستطيع مطلقا الحصول على اجابة لكل ما يدور فى عقولنا لأن لله
سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

(الاسراء : ٨٥)

عليك أيها القارىء أن ترجع الى الله وتأمل آيات القرآن الكريم
لتجد فيها وصفا تفصيليا كاملا لحياة الآخرة من الناحية الفيزيائية
والروحية . . . فلماذا لا تنجى الى القرآن وتهتدى بآياته العظيمة لتنجح
فى امتحان هذه الدنيا وتخضع لأمر الله الذى يقول سبحانه :

« افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفلها »

(محمد : ٢٤)

ورغم نصائح القرآن فسوف يظل بعض الناس كافرين بدين
الاسلام حتى قيام الساعة لانهم سيغلقون قلوبهم عن استقبال أهم
مصادر الرحمة الالهية فى نور القرآن وسيخضعون دائما لوساوس
الشیطان حتى يأتهم عذاب الله وعندئذ لن ينفع الندم ولا يستطيعون
الاستفادة بكلمات الله فى القرآن كما فى قوله تعالى :

« ولايزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة
بغتة او يأتهم عذاب يوم عقيم . الملك يومئذ لله يحكم بينهم
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم . والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين » .

(الحج : ٥٥ - ٥٧)

الخاتمة

والآن وقد قدمت لك دون أى تعصب مقارنة موضوعية بين القرآن الكريم والعلم الحديث وتبين لنا أن الاتفاق بينهما مدهش ورائع ، وأن النتائج تتحدث عن نفسها ، فإن الانسنان لا يمكن ان يتصور ان المقولات القرآنية ذات السمة العلمية كانت من تأليف البشر . وهذا بسبب حالة المعارف فى عصر محمد عليه الصلاة والسلام .

لذلك فمن المشروع تماما أن ينظر الى القرآن على انه تعبير الوحي من الله، وان تعطى له مكانة خاصة حيث أن صحته أمر لا يمكن الشك فيه ، واحتواء القرآن على المعطيات العلمية الحديثة يتحدى أى تفسير وضعى .

حقا ان القران رسالة الله ويقول سبحانه

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

• حقا ان محمدا صلى الله عليه وسلم « رسول الله وخاتم النبيين » .

وعلينا قبل فوات الأوان أن نتجه الى الله عز وجل الرحمن الرحيم ، ونؤمن بالقرآن الكريم ونثق فى رسول الله ، ودين الله فى الاسلام ، ذلك الدين العالمى الذى لم ينزل من السماء لشعب معين أو قبيلة من القبائل أو جنس خاص من البشر فى زمن معين . فالاسلام دين الله لكل البشرية فى جميع العصور حيث يقول سبحانه لرسوله محمد :

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر

الناس لا يعلمون » •

(سبا : ٢٨)

وقبل أن أختتم كتابى هذا أدعوك لتتأمل معى حكمة وجمال هذا الدعاء القرآنى :

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم
فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع
الأبرار • ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم
القيامة انك لاتخلف الميعاد » +

(آل عمران : ١٦٣ - ١٦٤)

ملحق

تولاً : أهداف الاسلام

١ - أود في بداية الحديث عن أهداف الاسلام أن أوضح لكم أن الاسلام ليس اسماً لعقيدة فريدة من نوعها أو دينا أتى به محمد عليه الصلاة والسلام لأول مرة مؤسساً للاسلام كما يعتقد البعض ، ولكن الاسلام كما يقرر القرآن الكريم هو التسليم الكامل والخضوع الشامل للإنسان أمام الله . وأن الاسلام بهذا المفهوم القرآني هو محور جميع الأديان السابقة التي نزلت إلى البشرية منذ بدء الخلق حيث نادى به نوح وإبراهيم وموسى والمسيح وجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله على مر الزمان . وبهذا لا يجوز لأحد أن يسمى دينا ما باسم أحد الأنبياء لأن كل نبي أرسله الله ليكرر نفس المبدأ ويؤكد نفس العقيدة التي نادى بها السابقون وهي « الاسلام » .

٢ - وحيث أن مبادئ الاسلام أساس جميع الأديان ، فما الذي يميز النبي محمداً عن سائر الأنبياء ؟ وللإجابة على هذا السؤال نأخذ في اعتبارنا ما يلي :

(أ) محمد خاتم الأنبياء .

(ب) أرسل الله محمداً لإحياء الاسلام كعقيدة نادى بها الأنبياء من قبل .

(ج) لقد قام البشر على مر العصور بإجراء التحريفات وإدخال الدسائس على النص الأصلي للديانات السابقة حتى أصبحت غريبة عن العقيدة الأصلية فجاء النبي محمد ليحذف بأمر الله كل التحريفات والشوائب الغريبة ونزل القرآن على النبي محمد فنقله بالحق إلى البشرية وظهر بذلك الدين الحقيقي في صورته النقية المثلة في الدين الاسلامي .

(د) حيث ان محمدا هو خاتم الأنبياء فان القرآن قد ظل وسيظلم محفوظا برعاية الله في صورته الأصلية دون أى تحوير ليكون كتابا مقدسا خالدا ومنبعا شاملا لهداية كل البشر على مر العصور .

(هـ) لقد تم تسجيل تاريخ حياة النبي محمد ليشمل جميع أخلاقياته وأحاديثه وسلوكه وأفعاله في سجل كامل يسمى « السيرة النبوية والسنة المطهرة » والتي انتقلت اليها عبر الخلفاء الراشدين وأصحاب النبي وآل بيته وعلماء الحديث . وهذه السيرة تميز النبي محمدا عن سائر الأنبياء الذين لم تدون سيرتهم بمثل هذه الدقة وهذا الكمال وهذه التفاصيل .

(و) نظرا لهذه الاعتبارات السابقة فان القرآن الكريم والسنة المطهرة هما معا المصدر المعتمد لمعرفة الاسلام وأهدافه ومبادئه وما يكفله للفرد من هداية وحقوق وما يفرضه عليه من واجبات .

٣ - نحن معشر المسلمين نؤمن بجميع الأنبياء الذين سبقوا النبي محمدا سواء الأنبياء الذين ذكرهم الله في القرآن أو الذين لم يذكرهم وهذا المبدأ متم لعقيدتنا بمعنى أننا لو كفرنا بالأنبياء السابقين فأننا بذلك نكون قد خرجنا عن أساس الدين الاسلامي .

وأما من ناحية التعاليم الدينية فنحن كمسلمين نتمسك فقط بما جاء في القرآن والسنة وتبع النبي محمدا وحده ، وليس هذا تعصبا ، ولكن هناك أسبابا منطقية تستدعي ذلك نوضحها فيما يلي :

(أ) محمد هو خاتم الأنبياء ولهذا كانت رسالته كاملة شاملة لجميع الأوامر الالهية .

(ب) صدق القرآن ونقاؤه ، فليس بالقرآن أى شوائب بشرية وهو محفوظ برعاية الله في صورته الأصلية ، ولغة القرآن لغة حية يتحدث بها ملايين البشر وظلت هذه اللغة مستقرة في قواعدها النحوية دون أى تغيير منذ الوحي وحتى الآن .

(جـ) وجود تسجيل كامل عن تاريخ حياة وسلوك وأخلاق وأقوال وأفعال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وهذا التسجيل محفوظ بدقة فائقة وعناية كاملة وتفصيل شامل في كتب السنة والسيرة النبوية ولهذا السبب فنحن نتبع النبي محمدا ولا نقنطد بالأنبياء الآخرين لعدم توفر سيرتهم ، وبهذا فنحن نتبع تعاليم الاسلام في القرآن والسنة ونؤمن في نفس الوقت بجميع الأنبياء السابقين .

٤ - نحن نؤمن بأن محمداً رسول الله الى البشرية كلها في جميع العصور للأسباب التالية :

(أ) أعلن القرآن عالمية رسالة محمد وأيدها .

(ب) من المنطقي جدا أن يكون الاسلام ديناً عالمياً لهداية البشر في كل زمان ومكان طالما أن محمداً خاتم النبيين ولا نبي بعده .

(ج) لقد أرسل الله محمداً بجميع التعاليم الالهية التي يحتاجها البشر وبذلك فإن تمام الرسالة الاسلامية وشمولها تعزيز وتأكيد لعالمية الدين الاسلامي بمعنى أنه لا حاجة لنبي بعد محمد وأن الدين عند الله الاسلام .

(د) الآن وقد مضى ١٤٠٠ سنة على ظهور الاسلام فقد ثبتت الحقيقة الساطعة بأن محمداً خاتم الأنبياء بدليل أنه لم يأت أحد بعده له صفات النبوة أو شخص يقدم للناس وحياً الهياً .

٥ - ان الحاجة لمعرفة الحقيقة المطلقة بالوحي الالهي أمر طبيعي ولا بد من اتصال الله بعباده عن طريق الأنبياء ولقد حصل الانسان الأول على المعرفة الجزئية من خلال الملاحظة والاستنتاج ، ثم تطور الأمر الى البحث الفطري دون حاجة الى ارشاد مباشر من الله وهناك بلا شك قصد الالهي لمساعدة الانسان في البحث والاختراع ومحاولة كشف أسرار الخلق الالهي ، وهناك من البشر الموهوبين الكثير من العلماء الذين استطاعوا بإذن الله في لحظات تأملاتهم النادرة الوصول الى جزء من علم الله في الخليقة واكتشفوا بذلك بعض قوانين هذا الكون ، ولكن البحث عن الحقيقة المطلقة لن يصل أبداً الى درجة الكمال لأن الانسان عاجز بطبيعته عن ادراك ذلك ولهذا فان نظرتنا للكون قاصرة ، وأن هناك أموراً كثيرة لا بد وأن يلجأ الانسان فيها الى الله طلباً للعلم الالهي وبحثاً وراء الحقيقة المطلقة ، ولن يحصل الانسان على هذه المعلومات من دور النشر ولكنه يستمدّها عبر الأنبياء الذين يختارهم الله لهداية البشر .

٦ - وظيفة النبي محمد لم تكن قاصرة على ابلاغ الوحي الى الناس بل كان عليه أيضاً أن يقدم بسلوكه نموذجاً للعلاقة بين الانسان وربّه وبين الانسان وأخيه الانسان وقد أمر الله النبي أن يوضح المنهج الأخلاقي وطرق العبادة وأسس الدين والأوامر الالهية والمبادئ السماوية التي يجب أن تسود حياتنا ويقرر طبقاً للوحي الالهي أسس العلاقات الاجتماعية والثقافية وكذلك المعاملات الاقتصادية والقضائية والسياسية ، وأمور الحرب والسلام والعلاقات الدولية . وهكذا فإن الدين في الاسلام ليس

مجرد طقوس دينية ولكنه الدين الذي يأتي بنظام متكامل للحياة يحتوي على برنامج عمل ناجح وأسلوب فكر مستنير بشرائع الله .

٧ - لم يقتصر النبي محمد على اعلان رسالته ولكنه أرشد أتباعه وعلمهم المذهب الاسلامي وأعطاهم الشفرة الروحية والوصايا الالهية وأوضح لهم شكل العبادة بمفهومها الشامل لجميع نواحي الحياة ، ورسم لهم بالقول والعمل الدين الذي ينادى به ويدافع عنه ، وكانت حياته الخاصة نموذجاً يقتدى به جميع المسلمين لتنظيم حياتهم فأعطى بذلك التدريب اللازم للفرد المسلم وهيا المجتمع الاسلامي للمشاركة العملية في نشر الحضارة والثقافة الاسلامية ، ولقد تخرج في مدرسة النبي محمد الكثير من عظماء الاسلام الذين أقاموا دولة الاسلام حتى انتشرت كلمة الله وسادت في الأرض ولم ينجح الأنبياء كما نجح محمد ، ولكن اخفاق بعض الأنبياء في تحقيق رسالتهم لم يكن بسبب نقص في العقيدة أو خطأ شخصي ولكن بسبب الحقد والتعصب الذي انتشر في أوقامهم .

لقد كان لجميع الأنبياء السابقين نفس الرسالة والهدف ولكن محمداً قد تميز عنهم جميعاً في نجاحه الباهر في انشاء مملكة الله في الأرض بنشر الاسلام .

٨ - ان الايمان بالله ورسوله محمد مطلوب من جميع البشر بصرف النظر عن الجنس أو اللون . والمؤمنون هم الذين يقبلون الاسلام ديناً ومحمداً رسولاً . والدعوة الاسلامية ليست قاصرة على منطقة معينة أو قبيلة أو جنس أو لون أو شعب معين ولكنها موجهة لكل الناس في جميع العصور ولذلك يوجه القرآن النداء لبني آدم ليؤمنوا مبدئياً بدين الاسلام ثم يوجه التفاصيل والتعليم الدينية الى الذين آمنوا .

والاسلام كدين عالمي حقيقة يؤكدها القرآن وتعاليم الاسلام .

٩ - وحدانية الله هي أهم مبادئ الاسلام التي تنص على أن الله واحد وانه أيضاً الخالق والمسيطر والمهيمن والمنظم لهذا الكون فالكون موجود وكل شيء يؤدي وظيفته بأمر الله . وهو سبحانه وحده الذي يمنح الطاقة لكل كائن ليعيش وينمو . وهو الله الذي يملك كل صفات الجلال والالوهية ولا يشاركه فيها أحد . وهو وحده المسيطر على المكان والزمان ويرى الكون كله في لمحة واحدة بل ويعلم الماضي والحاضر والمستقبل وهو سبحانه الأول والآخر وهو الحي الباقي الذي لا يموت ، وكل شيء هالك الا وجهه ويفسنى الكون ويبقى وجهه الله ذو الجلال والاکرام ، وهو تعالى الواحد الأحد لم يلد ولم يولد ، وكل شيء مخلوق له ، وليس لأحد بأى حال من الأحوال أن يدعى الانتساب اليه أو يشرك

به شيئا فالشرك بالله ليس اثما كبيرا فحسب ولكنه ظلم عظيم . ونحن حين نصلى لله تعالى نرفع أيدينا اليه بالدعاء لأنه وحده القادر على اجابة دعائنا ، أما اذا انصرف الإنسان عن الله في استعلاء واستكبار وطلب العون من غيره فهذا جهل تام . وخلاصة القول : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ولا تشرك به شيئا » .

١٠ - ان الملك الالهى ليس مجرد ظاهرة خارقة فى علم الغيب بل ان ملك الله يشمل ويهيمن على كل ملك سياسى أو مدنى للدول والأفراد وليس لأحد الاعتراض على حكم الله ولله ملك السموات والأرض ولا سلطان لأحد سواء كان ملكا أو قائدا سياسيا أو اماما أو زاهيا ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وأى محاولة لتحديد سلطان الله أو منع تطبيق شريعة الله أو جعل القانون الالهى مجرد طقوس للعبادة فقط هى فى الواقع عصيان على أمر الله واغتصاب لحق الله فى الأرض وليس لأحد أن يتحدى السلطة العليا لله الواحد القهار .

١١ - ان مبدأ الوحدانية فى الاسلام يؤدى الى المفاهيم الأساسية

التالية :

(أ) الله وحده هو المستحق للعبادة .

(ب) الله وحده هو المهيمن على كل قوى الطبيعة وهو المعز المدلل وعلى الإنسان ان يتوجه الى الله وحده فى الصلاة والدعاء ولا يستجد مطلقا لغير الله .

(ج) الله وحده هو المسيطر على أقدار الناس ولا يستطيع أى إنسان ان يتحكم فى مصيره أو مصائر الآخرين ولهذا يجب أن يتوجه الجميع بمطالبهم وآمالهم الى الله وحده فى خشوع ورهبة .

(د) الله وحده خالق الكون وهو يعلم الحقيقة الكاملة عن أمرار الكون وأعماق الإنسان وهو سبحانه يوجه عباده فى هذه الحياة المعقّبة ويوضح لهم طريق الخير وعواقب الشر .

وحيث أن الله وحده هو الخالق المسيطر فان السيادة يجب ان تكون له وحده ومن مظاهر الكفر أن يستغنى الإنسان عن الله أو ينفى لنفسه السلطان على عباد الله كما أن البعد عن أحكام الشريعة والخضوع للمخلوق فى معصية الخالق كفر والحاد .

ان السيادة العليا والتشريع المطلق لله الواحد وقابون الله فوق الجميع وللإنسان أن يشرع فى إطار القانون الالهى دون أن يتجاوز هذا الأطسار .

١٢ - عرفنا في البند السابق أن المبدأ الأول في الإسلام هو وحدانية الله . والآن نبدأ في مناقشة المبدأ الثاني في الإسلام وهو الايمان بصدق نبوة سيدنا محمد ، فلقد أنزل الله رسالته الى البشر عن طريق النبي محمد بوسيلتين : -

(أ) القرآن الكريم الذي نزل على النبي باللغة العربية .
(ب) البسمة النبوية ممثلة في أقول وأفعال الرسول ، فلقد كان سلوك النبي وأخلاقه مرشدا للبشر وهاديا لهم في حياتهم حيث أتى الرسول بأفعال ونهى عن أفعال طبقا لتوجيه الهى .
والايمان بنبوة محمد متم للايمان بالله في الإسلام لأن النبي هو النموذج العنقى الذي يترجم خلال قيادته وأخلاقه المبادئ الأساسية لهداية البشر ، وبالتالي يتحول الايمان بالله الى ثقافة وحضارة ومنهج للحياة في دين الإسلام ولهذا فان توجيهات النبي لم تقتصر على الأوامر الالهية فحسب ، بل كانت اطارا عاما ونموذجا عمليا للسلوك .

ولن يكون الانسان مسلما الا اذا آمن بالرسول محمد تماما مثل ايمانه بالله أى يشهد المسلم بأنه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

١٣ - ولقد تم تعريف مهمة النبي محمد بوضوح في الإسلام فلقد كان النبي بشرا رسولا وكان عبدا لله مناديا بأن يكون البشر جميعا عبيدا لله ولقد علمنا محمد كيف فصلى ونذكر « شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله عدة مرات كل يوم كما أن القرآن يؤكد بدون شك ان النبي ما هو الا بشر وليس له نصيب فى الألوهية ، ولم يكن النبي انسانا خارقا منزها عن الضعف البشرى بل كان فقيرا يتيما لا يملك من كنوز الدنيا شيئا ولا يطلع على علم الله فى الغيب ، ولا يملك لنفسه أو لغيره ضرا ولا نفعا .

وهكذا فالاسلام ينظر الى النبي على أنه رسول الله وما عليه الا ابلاغ البشر بتعاليم الله وليس للنبي سلطان على الناس ليكرههم على الايمان بالله وليس من حقه عقابهم اذا لم يؤمنوا . ولقد أدى محمد عليه الصلاة والسلام رسالته بأمانة بالغة . والنبي محمد لم يشرع من تلقاء نفسه دون وحى الهى ، والاسلام يحرم تأليه النبي ويدين بشدة ما حدث لبعض الأنبياء من أصحابهم وأقوامهم حين نسبوا لأنبيائهم قوى خارقة وجعلوهم أندادا لله أو ذرية له وهذه المبالغة فى وصف الأنبياء مرفوضة تماما فى الإسلام حيث أرسى الدين الإسلامى مركز النبي محمد كما يلى :

- (أ) لا يؤمن أحدنا إلا إذا آمن به محمد ورسول الله .
- (ب) من يطع الرسول فقد أطاع الله .
- (ج) طريق النبي هو طريق الهداية الالهية .
- (د) ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .

وتوجيهات النبي في أمور الدين في السنة الشريفة تفسير لما جاء في القرآن ووحى أيضا من عند الله ، وأي تفسير أو شرح للقرآن على لسان النبي محمد معتمد من الله وليس لأحد أن يأتي بتفسير للقرآن مخالف لما جاء في السنة النبوية .

ولقد أعلن الله ان حياة محمد نموذجية ولن يؤمن أحد الا اذا أطاع الرسول . وليس للمسلمين حق في اتخاذ قرار جديد بشأن أي مشكلة سبق أن جاء بشأنها أمر قرآني أو حديث شريف .

وهكذا نقل الله من خلال الرسول أمرا الهيا وتشريرا دائما صالحا لكل العصور وهذا يعني أن ما كان خيرا طبقا للقرآن والسنة سيقبل خيرا دائما وما كان شرا سيقبل شرا دائما وما كان واجبا سيقبل واجبا وسيظل الحلال حلالا والحرام حراما فلا تعديل ولا تبديل ولا تحويل ولا حذف ولا إضافة في شريعة الله الا اذا كان المقصود هو التنكر للمهاجنة الاسلام من خلال محاولات الكفار والملحدون . وطالما ظل المسلمون معسكين بلذيتهم فان من المشجع ان يخلت في مجتمعاتهم أو قواتهم ما يعارض مع شرع الله ولن يصبح الحلال عندهم حراما أو الحرام حلالا .

١٤ = المبدأ الثالث في الاسلام يدور حول الايمان بالآخرة ولن يكون ايمان المنتظم صحيحا اذا أنكر الآخرة وبذلك فان الاعتراف باليوم الآخر أمر جوهري وعقيدة اسلامية أصيلة تقرر ما يلي :

(أ) لن يترك الانسان في هذه الدنيا سدى يقربه كذا لو كان حيوانا غير مسئول بل «سيحاسب» أمام الله على كل أفعاله فالحياة الدنيا ما هي الا اختبار وابتلاء وسوف ينغشنا الله يوم الحساب لنقدم كشفا بما فعلنا من حسنات وما ارتكبنا من سيئات .

(ب) ان يوم الحساب (القيامة) يعلمه الله وفي هذا اليوم ينتهي ملك الانسان على هذه الأرض ويزول النظام الحالي ويبدل الله السماوات والأرض ويبعث البشر جميعا في عالم جديد .

(ج) سوف يحشر الناس يوم القيامة ليواجهوا ربهم وبلقون جزاءهم طبقا لأعمالهم في الحياة الدنيا وسوف يواجه كل انسان منا في ساحة

القضاء الالهية تسجيلا دقيقا كاملا مدعما بالبراهين المختلفة للأعمال التي ارتكبتها سرا أو جهرا وكذلك للدوافع التي سيطرت على سلوكه في الحياة الدنيا .

(د) لن تكون هناك شفاعاة ولا رشوة ولا دفاع لأحد ، ولكن الله سيقضى بين الناس جميعا بالحق يوم القيامة ولن يكون هناك ظلم لأحد وكل طائره فى عنقه ولن يستطيع أحد من أقرب الأقربين أو الأصدقاء أو القادة أو رجال الدين أو حتى من يدعى الألوهية أن يقدم عوناً لأحد فى هذا اليوم حيث يقف كل منا بمفرده أمام الله ليواجه مصيره النهائى طبقا للحكم الالهى .

(هـ) سنوفه يكون الحكم قائما على أساس الاجابة على سؤال محدد : هل كان الانسان خاضعا لله ملتزما بأحكامه وشرائعه السماوية مؤمنا بأنبيائه وباليوم الآخر ؟

فاذا كانت الاجابة : نعم كان مصير الانسان فى الجنة .

وإذا كانت الاجابة : لا كان مصيره جهنم .

١٥ - ينقسم الناس الى ثلاثة طوائف بالنسبة لمفهومهم للآخرة :

(أ) هناك من ينكرون وجود الآخرة ويعتقدون أن الأمر قاصر على الحياة الدنيا . وبهذا فان مفاهيم الخير والشر تخضع فى نظر هؤلاء لمدى الاستفادة أو الضرر العائده عليهم فى الدنيا دون التقيد بمعنى الحلال والحرام ودون اعتبار للآخرة .

(ب) هناك من يؤمنون بالآخرة ولكنهم يعتمدون على شفاعاة شخص معين ليكفر عنهم سيئاتهم ، أو يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار بدعوى ان الله سوف يغفر لهم خطاياهم وحدهم وهؤلاء جميعا يعيشون فى خيال يحرمهم مميزات الايمان بالآخرة وكانهم لا يعترفون بيوم الحساب .

(ج) النوع الثالث هم المؤمنون حقا الذين يعتقدون فى الآخرة ويتصورونها تماما حسب المفهوم الاسلامى السليم . فهم لا يخدعون أنفسهم ولا يتصورون لأنفسهم علاقة خاصة بالله ولا يطلبون شفاعاة أحد بل يؤمنون أنهم مسئولون أمام الله وبهذا فان الآخرة فى نظرهم تمثل قوة روحية جبارة تجعلهم يخشون دائما عقاب الله ويطمعون فى ثوابه وضمايرهم حية دائما تلومهم وتحذرهم وتبذرهم عندما يبتعدون عن الطريق المستقيم . مما يوفر للمجتمع اصلاحا ذاتيا دون حاجة لمحاكمتهم فى ساحة القضاء أو الى بوليس يقتص منهم أو شاهد يدينهم أو رأى عام يفضحهم والاحساس الدينى يمثل عندهم صمام أمن مستيقظ دائما

ليتدخل اذا تعدى الانسان حدود الله ، فالضمير المستتر في أعماق النفس البشرية يجعل المؤمنين يخافون الله من تلقاء أنفسهم ويؤدون واجبهام بأمانة دون حاجة لرقيب ويتجنبون ارتكاب الحرام ويندم الفرد منهم اذا أخطأ ويتعهد أمام ضميره بأنه لن يعود الى معصية أبدا . . كل هذا بفضل الاعتقاد والايان بالآخرة الذى يمثل قوة محركة لخشية الله واتزانها نفسيا للمسلم الذى يتمسك بشرائع الله التى ثبت بالتأكد صلاحيتها فى جميع العصور ؟

ان الايمان بالآخرة شرط متمم للايمان بالله ورسله فى الدين الاسلامى .

١٦ - ذكرنا سابقا أن الاسلام يقدم حضارة متكاملة وثقافة شاملة وتشريعا عاليا وأخلاقا سامية هداية للبشر . والقيم الاسلامية لم تنزل لغرض الرهبانية أو الابتعاد عن أمور الدنيا ولكن هذه الشرائع الاسلامية نزلت لتجمع بين الدين والدنيا . . .

ان ما يبحث عنه الناس فى الكنائس والأديرة موجود فى الاسلام . كما ان رؤساء الدول والحكومات والقضاة والقادة ورجال الشرطة والعسكريين ورجال المال والتجارة والصناعة ورجال الجامعات بل والطلاب جميعا يخدعون فى الاسلام دستوروا الهيا شاملا لكل نواحي الحياة .

ليس هناك تمييز بين السلوك الخاص والعام فى الاسلام وليس هناك فرق بين سلوك الفرد مع أهله وسلوكه فى المجتمع فالاسلام قانون شامل عادل ينطبق على كل مؤسسة أو هيئة حكومية أو غير حكومية بل ينطبق على سياسة الدول على أساس الصدق والعدل والمساواة والاعتراف بحقوق الانسان . والاسلام يوصى بأن يكون سلوك الانسان فى الحروب متحضرا وليس بربريا كما أن الانسان الذى يخضع لارادة الله فى الاسلام يجب عليه ان يقبل القانون الالهى كاسمى قانون ويرتب حياته طبقا لشريعة الله فى القرآن والسنة واضعا نصب عينيه دائما الايمان بيوم الحساب . . . هذا السلوك المسلم يجب أن يكون سلوكا عمليا ليس فى نطاق المسجد فحسب بل سلوكا ممتدا الى الحياة كلها أى سلوكا اسلاميا انسانيا يليق بالانسان كخليفة لله فى الأرض .

هذه باختصار هي أهداف الاسلام وصورة المجتمع الاسلامى وهي ليست صورة خيالية كالتى رسمها افلاطون فى المدينة الفاضلة . . . بل صورة حقيقية قابلة للتنفيذ والدليل على ذلك ان الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه قد طبقوا هذه المبادئ والأهداف فاقاموا بذلك المجتمع الاسلامى الحق ليصبح نموذجا وقدوة للبشر على مر العصور .

ثانيا : التدريب الروحي في الاسلام

يعتمد الاسلام في التدريب الروحي للنفس البشرية على خمسة اركان أساسية لاعداد الفرد والجماعة للدخول في دين الاسلام .

١ - الصلاة :

والصلاة تربط الإنسان بزوجه خمس مرات يوميا وذلك يذكر الله والخشوع أمامه والدخول في محبته ، فيتذكر بذلك أوامر الله ويعتود على طاعة الله ويجب تأدية الصلوات الخمس في أوقاتها المحددة بل ويجب تأدية بعضها أو كلها في المسجد مع الجماعة المسلمة وبذلك تكون الصلاة وسيلة للارتقاء الروحي بالفرد والجماعة .

٢ - الصوم :

ومدة الصوم شهر كل سنة لتدريب الفرد والجماعة المسلمة على التقوى وكبح جماح النفس البشرية والطبوع ، ولإتاحة الفرصة للفتن ليدوق الجوع فيشعر بالأم الفقير وليعتود الجميع التضحية في سبيل ارضاء الله .

٣ - الزكاة :

هذه الفريضة تنمي روح التضحية بالمال في سبيل التعاون بين المسلمين حيث يساعد الغني الفقير وقد يخطيء البعض فيعتقد أن الزكاة هي مجرد ضريبة مفروضة على الأغنياء من المسلمين بينما جوهر هذه الفريضة مختلف تماما عن الضرائب فكلمة زكاة في اللغة العربية تعني حرفيا التطهر والارتقاء وباستخدام هذه الكلمة بالذات فإن الاسلام يشير الى أن الفرد المسلم عندما ينفق ماله ليساعد أخوته الفقراء بدافع من حب الله فإن هذه الزكاة من شأنها أن تمننو بروحه وتطهرها .

٤ - الحج :

هذا الركن يربى روح الأخوة بين المسلمين في جميع أنحاء العالم حيث يجمع بينهم لتلبية نداء الحق سبحانه وتعالى . ولقد تجلت هذه الأخوة في فريضة الحج على مر العصور وسوف يظل المسلمون محافظين على أداء هذه الفريضة طالما استطاعوا إليها سبيلا .

٩ - الجهاد :

وهو التضحية في سبيل اعلاء كلمة الله وازالة العقبات في طريق الاسلام وذلك باللسان أو القلم أو السيف ، ولا يستخدم السيف الا للدفاع عن الاسلام ضد من يعتدى عليه كما في قوله تعالى :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

(البقرة : ١٩٠)

والأركان الخمسة السابقة هي الممارسة العملية الروحية للاسلام بأسلوب تطبيقي في حياة المسلم وليس باعتزال الحياة بين جدران الأديرة ، فالاسلام تأكيد للحياة واعادة لبناء النفس البشرية على الفضيلة والتقوى بدلا من الرهبانية وهذا ما يميز الدين الاسلامي .

وأود أن أضيف هنا أن الجهاد لا يعني الهلاك والدمار ولكن الجهاد في الاسلام يعني العمل على انتشار حقوق الله وحقوق الإنسان في بلاد جديدة ولا تقوم روح الجهاد على القتال الوحشي فالاسلام ليس دين تعصب أو ارهاب أو رعب ، ولكنه دين محبة وأخلاق فاضلة ودين يحافظ على حقوق الانسان .

وحيث ان المواضيع الاسلامية كثيرة لا يمكن تغطيتها بالكامل في هذا الملحق المختصر فأنى أرى أن أختتم هذا الموجز بفكرة عن حقوق الانسان في الاسلام .

ثالثا : المبادئ الرئيسية لحقوق الانسان في الاسلام

(أ) يمكن تلخيص حقوق الانسان في الاسلام كما يلي : -

١ - كرامة الانسان طبقا للنص القرآني في قوله تعالى :

« ولقد كرمنا بنى آدم » .

(الاسراء : ٧٠)

٢ - كرامة وحقوق الانسان مكفولة لجميع البشر دون تمييز بسبب الجنس أو العنصر أو النسب أو الثروة حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام .

« لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » .

٣ - وحدة الأسرة الانسانية : يقول الرسول الكريم :
« كل الناس عبيد الله وأحبكم الى الله أنفعكم للناس »

٤ - الدعوة الى التعارف والتعاون بين شعوب العالم وأداء الأعمال الانسانية للصالح العام لخير البشرية بصرف النظر عن الدين أو الجنسية وهذا واضح في قول الله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(الحجرات : ١٣)

وقوله سبحانه :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

(المتحنة : ٨)

٥ - الحرية الدينية مكفولة لكل انسان ولا جبرية في الاسلام كما في قوله تعالى :

« لا اكراه في الدين » .

(البقرة : ٢٥٦)

« افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

(يونس : ٩٩)

وبهذا يحرم الاسلام أى ضغط أو اجبار يمارسه الانسان على أخيه الانسان بهدف اعتناق دين معين .

٦ - تحريم الاعتداء على أملاك أو حياة الآخرين فلا ارهاب في الاسلام .

٧ - حصانة وحرمة المنازل مكفولة للمحافظة على أمن وحرية الانسان كما في قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » .

(النور : ٢٧)

٨ - المسؤولية مشتركة بين جميع أفراد المجتمع فالاسلام يحافظ على الملكية الخاصة بمعنى أن كل فرد له الحق بالطرق المشروعة أن يصبح غنيا ويعيش حياة كريمة بعيدا عن آلام الفقر والحاجة وفي نفس الوقت يجب على الأغنياء أن يتبرعوا بنسبة معينة من أموالهم للفقراء كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى :

« وفي أموالهم حق للسائل والمحروم »

(الدريات : ١٩)

٩ - محاربة الجهل بفرض التعليم على كل مسلم ومسلمة كما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »

كما يفتح الاسلام آفاق البحث في الأرض والسماء لكل المسلمين ليكتشفوا قوانين الطبيعة كما في قوله تعالى :

« قل انظروا ماذا في السماوات والأرض »

(يونس : ١٠١)

وقوله تعالى :

« يا معشر الجن والإنس ان استتعتن ان تنفلوا من

القطار السماوات والأرض فانفلوا لا تنفلون الا بسطان »

(الرحمن : ٣٣)

والقرآن الكريم قد يشير هنا بلفظ « سلطان » الى سلطان العلم كما يتضح من سياق الآية .

١٠ - فرض العقوبة على الرافضين أو المتهربين من التعليم : وهذا المبدأ لا يوجد في قانون أى دولة ولكنه مفروض في الاسلام طبقا لأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام في عصر لم تكن هناك فيه مدارس أو معاهد أو جامعات .

١١ المحافظة على الصحة العامة : اعتنى الاسلام بحماية المجتمع من الفقر والجهل كما في البنود السابقة ولكنه أيضا أشار الى مكافحة المرض ، فمنذ أربعة عشر قرنا من الزمان دعى الاسلام الى اتخاذ احتياطات معينة للوقاية ومنع انتشار الأوبئة فسبق بذلك كل المنظمات والهيئات الصحية الدولية .

(ب) علاوة على ما تقدم فان هناك العديد من التشريعات التي تحافظ على حقوق الانسان في الاسلام والتي يصعب حصرها بالتفصيل ويجب

احترامها وتطبيقها وعدم الاعتداء عليها لأنها تتعلق بجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية للإنسان دون تمييز بين البشر بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين أو الرأي أو الوطن أو الأصل الاجتماعي أو المستوى المادى .

وهذه التشريعات كلها أعلنها الإسلام منذ قرون قبل أن يعلنها الميثاق الدولى لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ علاوة على أن الإسلام أضاف حقاً من حقوق الإنسان لم يرد ذكره فى الميثاق الدولى ولكنه ورد فى معنى الآيات القرآنية التالية :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خير بما تعملون » .

(المائدة : ٨)

وقوله سبحانه :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

(المائدة : ٢)

(ج) أعلن الإسلام أسلوب المساواة بين الرجل والمرأة فالنساء فى الإسلام يتمتعن بنفس الحقوق وعليهن نفس الواجبات باستثناء قوامة الرجال على النساء بحكم تكوينهم الذى يناسب تحملهم مسئولية الأسرة لصالح جميع أفرادها . وهذه القوامة عيه كبير على أكتاف الرجال واعفاء النساء من هذه المسئولية لا ينقص من كرامتهن أو حقوقهن بل يمثل قمة العدل بين الجنسين .

يتضح مما تقدم كيف أن الإسلام اهتم منذ أربعة عشر قرناً بجميع حقوق الإنسان فسبق بذلك المنظمات الدولية والأمم المتحدة .

حقاً ان الإسلام جاء بالخير والهداية لكل البشر ويجب على كل مسلم أن يدعو لنشر الإسلام كما فى قوله تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

(آل عمران : ١٠٤)

صدق الله العظيم

المراجع

1. The Meaning of the Glorious Quran, by Abdulla Yusuf Ali, Dar Al-Kitab Al-Masri, Cairo.
2. The Bible, The Quran and Science by Maurice Bucaille, North American Trust Publication, 1979.
3. The Muntakab, by supreme Council for Islamic Affairs, Cairo (1978).
4. The Changing Earth, by Brainerd Mears, Jr. D. Van Nostrand Company (1978).
5. Discovering the Universe by Charles E. Long, Harper & Row Publishers (1980).
6. Our Changing Universe, by John Gribbin Macmillan London Limited (1976).
7. The Mysterious Universe by Nigel Henbest, Ebury Press London (1981).
8. Earth Science and The Environment by Richard J. Ordway D. Van' Nostrand Company (1974).
9. Astronomy, by Jacqueline Mitton, Faber and Faber London (1978).
10. Astronomy A.E. Roy and D. Clarke, Adam Hilger Ltd.ristol (1978).
11. The Beginning of Human Life, by Erich Bleckschmidt, Springer-Verlag New York Inc. (1977).
12. Astronomy, by William Kaufmann Macmillan Publishing Co., Inc. (1977)
13. The Structure of the Universe, Jayant Narlikar, Oxford Univ. Press (1977).

14. New Horizons in Astronomy, by Brandt, J.C., W.H. Freeman, San Francisco (1972).
15. Universe and scientific marvels of the Quran (in Arabic), by Mansour Hassab El-Naby, Dar. El-Fikr Al-Araby, Cairo (1980).
16. The Journals of Islamic Awareness Makka P.O.Box No. 2035.
17. Islam in Science age, by M.A. Gamrawy (in Arabic), Dar El-Ketab El-Hadith Cairo (1973).
18. The Islam Challenges, by W.E. Khan (in Arabic), Al-Mokhtar Al Islami Cairo (1970).
19. The meaning of Glorious Quran, Marmaduke Pickthall, Taj Company Ltd.
20. Al-Faisal Medical Journal, Vol 8 1984, College of Medicine, King Faisal Univ.
21. Your Psychic Powers, Hereward Carrington (1978), the Aquarian Press.
22. Sahih Al-Bukhari, Muh. Muhsin Khan Hilal Yayinlari, Ankara, Turkey, P.O.B. 448.
23. Islamic Way of Life, Abu Ala Maududi, The holy Quran Publishing House, Beirut.
24. Atomic Sciences in Islamic Culture 1977 (Arabic), Ahmed Abd Alwahab, Wahba, Bookshop, Abdin Cairo.
25. The First Three Minutes. A modern view of the Universe, Steven Weinberg, Basic Books, New York, 1977.
26. The Galactic Club, Ronald N. Bracewell, Freeman San Francisco, 1975.
27. The Science of the Earth, Eardley, A. J., Harper & Row, New York, 1973.
28. Man Discovers the Galaxies, Richard Berendzen, Richard Hart, and Daniel Seeley, Science History Publications New York, 1976.

29. Black Holes in Space, Lain Nicolson, New York, 1974.
30. Red Giants and White Dwarfs, Jastrow, R. ; Harper & Row, New York, 1971.
31. Understanding our Atmospheric Environment, Neiburger, M. Edinger, J., and Bonner, W., Freeman, San Francisco, 1973.
32. The Origin of the Solar System, H. Reeves, Mercury, March/April, 1977.
33. The Sun and the Amateur Astronomy, W.M. Baxter, David and Charles, South Pomfret, 1973.
34. The Marvels of the Quran, M. Sharawy, Ketab Al-Youm (in Arabic). Dar Akhbar Al-Youm Cairo, 1977.
35. Lunar Glasses : The lunar rocks, Brian Mason, 1970, John Wiley.
36. High Aluminous Glasses in Lunar Soil, Geochemico et Cosmochemico Acta, 1972 Vol. 36. Page 903-912.
37. Islamic Self-Education — Plan and other Islamic Publications :
 - The Muslim Students' Association of U.S.A. & Canada P.O.Box 264 Plainfield, IN 46168.
 - Muslim World League — UN Office. P.O.Box 4174, Grand Central Str. New York. N.Y. 10017.
 - Rabetat Al-Alam Al-Islami, Saudi-Arabian Kingdom, Makkah Al-Mukarramah, P.O.Box. 538.
38. The Developing Human with Islamic Addition by K. Moore and A. Azzindani (1983). Dar Al-Qiblah for Islamic Literature : P.O.Box 10932, Jeddah, Saudi Arabia.
39. The Eighth Saudi Medical Conference Proceedings 1983.
40. First & Second Conference Proceedings on Medical Miracles of Quran & Sunnah 1986 and 1988. Dar El Hekma, Kasr El-Ainy Str. Cairo.

41. Hans Wehr, A Dictionary of modern writing Arabic. ed., J. Milton Cowan (1980).
42. Al-Azhar Magazine (1980), Islamic Research Council, Cairo.
43. First International Conference Proceedings on Scientific Miracles of Quran & Sunnah (1987), International Islamic Univ. Islamabad, Pakistan.
44. Catastrophes in the Earth's History, I.A. Rezanoy, Mir Publishers, 1984.
45. Strasburg Conference, Dar Al-Kitab Allubnani, Beirut-Lebanon.
46. Selections from the writings of : Abul Ala Maududi and Ref : 1, 2, 3, 16, 19, 22, 23, 37 and 45.

المراجع العربية

- ٤٧- القرآن الكريم والتوراة والانجيل والمسلم - د. موريس بوكاي
دار المعارف ١٩٧٩ .
- ٤٨- المنتخب في تفسير القرآن الكريم . المجلس الأعلى للشئون
الاسلامية ، ١٩٧٨ .
- ٤٩- الكون والاعجاز العلمي للقرآن . د. منصور محمد حسب النبي ،
دار الفكر العربي ، ١٩٩٠ ، القاهرة . (الطبعة الثانية) .
- ٥٠- الاسلام في عصر العلم . د. محمد أحمد الغمراوي ، دار الكتاب
الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

الفهرس

الصفحة	
٥	اهداء
١١	تقديم
١٣	مقدمة
١٧	تمهيد
١٧	١ - اديان التوحيد الثلاثة
٢٢	٢ - موقف المسيحية من الاسلام
٢٣	٣ - عيسى تنبأ باحمده
٣٢	٤ - صححة القرآن
٣٦	٥ - الاتجاه العلمى الاسلامى
٤٣	الباب الأول : كوكب الأرض
١١٧	الباب الثانى : الحياة على الأرض
١٦٥	الباب الثالث : الغلاف الجوى والطقس
١٩٥	الباب الرابع : القمر وغزو الفضاء
٢٢٣	الباب الخامس : المجموعة الشمسية
٢٥٥	الباب السادس : الكون
٣١٣	الخاتمة
٣١٥	ملحق
٣٢٩	المراجع
٣٣٥	

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٣٩ / ١٩٩٠

ISBN — 977 — 01 — 2645 — 4

● ● صدر هذا الكتاب عن الهيئة باللغة الانجليزية

بعنوان :

The Glorious Qur'an And Modern Science

والنوم نقدم هذه الترجمة العربية التي قام بها المؤلف .
والكتاب رسالة موجهة للغرب لإثبات صدق نبوة سيدنا
محمد عليه الصلاة والسلام ، خاتم النبيين ورسول الله
للبنية .

ويعتمد المؤلف على بيان الإعجاز العلمي للقرآن الكريم
في الآيات التي تشير إلى كوكب الأرض ، والحياة ،
والظواهر الجوية ، وارتداد الفضاء ، والمجموعة
الشمسية ، والنجوم ، والمجرات وغير ذلك من قضايا
الكون الرئيسية .

وهذا الكتاب مفيد للدعوة الإسلامية في العصر الحديث
الذي لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب
والاقتناع .

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

<http://kotob.has.it>

<http://www.al-maktabeh.com>



مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير
ومقارنة الأديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism,
Orientalism & Comparative Religion.

لا تنسونا من صالح الدعاء

Make Du'a for us.